

دراسات وبحوث مؤتمر الإمام الحسين (عليه السلام)
كلمة وزير الأوقاف في الجمهورية العربية السورية

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) قم المقدسة

مؤتمر

الإمام الحسين (عليه السلام)

القسم الثالث

سوريا
محرّم الحرام ١٤٢٤ هـ / ق / اسفند ١٣٨١ هـ . ش
٢٠٠٣ م

هويه الكتاب

بسمله

فهرس اجمالي

المقدمة

- ١ - الولاة والبراءة في زيارة عاشوراء ...
 - ٢ - الإمام الحسين (عليه السلام) عطاء مستمر في حياة الأمة وعزتها ...
 - ٣ - عاشوراء وثقافة الشهادة ...
 - ٤ - كلمة وزير الأوقاف في الجمهورية العربية السورية ...
 - ٥ - السيدة زينب ومواجهة السلطة المستبدة ...
 - ٦ - الكوفة وثورة الحسين ...
 - ٧ - ثورة الحسين في الشعر والأدب ...
 - ٨ - الحسين من التربية النبوية الى الحالة الثورية ...
 - ٩ - استلهاام المنهج الحسيني في منع حدوث ازدواج الشخصية لدى المسلم ...
 - ١٠ - أبو عبدالله الحسين الشهيد الخالد بسبب انحراف السلطة ...
 - ١١ - أضواء على النهضة الحسينية ...
 - ١٢ - أبعاد المنهج العلمي في دراسة نهضة الإمام الحسين ...
 - ١٣ - الإمام الحسين (عليه السلام) على قمة هرم الحضارة الإنسانية ...
 - ١٤ - الإمام الحسين (عليه السلام)، إمامته ...
 - ١٥ - المد الحسيني في مصر ...
 - ١٦ - الإمام القدوة ...
 - ١٧ - وقفة مع مدرسة الحسين (عليه السلام) التربوية الخلقية ...
 - ١٨ - الحسين والعشق الإلهي ...
 - ١٩ - وقفة العزّ ...
 - ٢٠ - ملحمة الحسين (عليه السلام) ...
 - ٢١ - أسماء ليقظة الدم ...
 - ٢٢ - رثاء عبيدالله بن الحرّ الجعفي للإمام الحسين (عليه السلام) ...
 - ٢٣ - الملحمة الحسينية في فكر الشهيد مطهري ...
- الفهرس التفصيلي ...

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

مشاهد الولاء والبراءة

في زيارة عاشوراء

الشيخ محمد مهدي الأصفي

مشاهد الولاء والبراءة في زيارة عاشوراء

زيارة عاشوراء، من الزيارات الصحيحة التي وردت عن أهل البيت(عليهم السلام)وقد رواها (ابن قولويه) في كامل الزيارات بسند معتبر، كما التزم بذلك(رحمه الله) في كل ما يرويه في هذا الكتاب، كما رواها الشيخ الطوسي(رحمه الله) وغيرهم من ثقة المحدثين.

وقد دأب المؤمنون على المواظبة على قراءة هذه الزيارة على امتداد السنة، يعلنون بها انتماءهم الى مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ومقاطعتهم لأعدائهم والناصبين لهم الحرب، ويشهرون بها ولاءهم للحسين(عليه السلام)وأهل بيته، والبراءة من أعدائهم في المرعة الفاصلة التيح صلت بنى الحسين(عليه السلام) وأهل بيته من جانب وبني أمية من جانب آخر في سنة (٦١ هـ) بكربلاء.

وهذه الزيارة حافلة بمفاهيم الولاء والبراءة، والانتماء والمقاطعة، والسلام واللعن.

وبين يدي القارئ رسالة موجزة تتضمن مجموعة من الأفكار حول (الولاء والبراءة) في هذه الزيارة.

الولاء والبراءة أبرز خصائص يوم عاشوراء

يوم عاشوراء يوم حافل بالايمان والاخلاص والعطاء والقيم. ولكن أبرز خصائص هذا اليوم هو الولاء لله ولرسوله وأولي الأمر، والبراءة من أعدائهم. ويتجلى هذا الولاء والبراءة في التضحية النادرة التي قام بها أصحاب الحسين(عليه السلام) في كربلاء. فقد شهدت كربلاء أروع مشاهد التضحية والعطاء والصمود والمقاومة في التاريخ، وهذه التضحية النادرة من ثمرات الولاء والبراءة.

ونجد في هذا المشهد النادر والعجيب من مشاهد الولاء والبراءة مشاهد جمالية نادرة في القيم والأخلاق، هي التي شدّت الناس الى عاشوراء منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً الى اليوم، من الايمان، والتوحيد، والإخلاص، والإيثار، والعطاء، والعبر، والمقاومة، والحب لله وفي الله، والبغض في الله، والزهد عن الدنيا، والإقبال على الله، والوفاء، وعزة النفس، والقوة، والشجاعة، والصراحة والوضوح، والذكر، والشكر، والتقوى، وبعد النظر، وנفاذ البصيرة، وما لست أعلم من المشاهد الجمالية، وروائع الأخلاق، والقيم التي عرفها التاريخ لهذه الكوكبة المباركة التي رافقت الحسين(عليه السلام) في مسيره الى الله يوم عاشوراء. وقبل هذا اليوم .

وهذه المشاهد الجمالية هي التي شدّت الناس الى هذا اليوم العجيب في التاريخ، والجمال يجذب الإنسان أينما يكون في الطبيعة أم في المجتمع، وفي الصور والأشكال، أم في القيم والأخلاق والمعاني.

ومن العجب اننا نجد الولاء والبراءة أيضاً في المعسكر المقابل لمعسكر الحسين(عليه السلام)، ولكن في الاتجاه المعاكس تماماً: الولاء للطاغوت والبراءة من أولياء الله، والولاء لحزب الشيطان والبراءة من حزب الله.

وعندما ينعكس الولاء والبراءة تنعكس القيم والأخلاق أيضاً، وهذه من سنن الله، كما أن تلك من سنن الله. فنشهد في هذا المعسكر المقاتل للحسين(عليه السلام) .

الغفلة عن الله في مقابل الذكر.

والإقبال على الدنيا والاستغراق فيها، مقابل الزهد.

والشرك في مقابل التوحيد.

والإثرة مقابل الإيثار.

والجبن مقابل الشجاعة.

والضعف مقابل القوة.

والفكر مقابل الشكر.

والفجور مقابل التقوى.

وحب أعداء الله وبغض أولياءه، مقابل الحب لله وفي الله والبغض في الله.

والأنانية في مقابل الإيثار.

واللؤم مقابل العطاء.

والذل مقابل العزّة والكرامة.

والجزع مقابل النصر.

وغير ذلك من أصدقاء القيم في هذا المعسكر مقابل القيم التي يزرع بها معسكر الحسين (عليه السلام).

في المعسكر الأول يرفع العباس (عليه السلام) في المعركة هذا الشعار بعد أن قطعوا يمينه في ساحة القتال:

والله ان قطعتموا يميني *** إني أحامي أبداً عن ديني
وعن امام صادق اليقين

وفي المعسكر الثاني نقرأ ان الذي قتل الحسين (عليه السلام) لما قابل ابن زياد قال له مطالبنا بالجائزة.

أوقر ركابي فضة أو ذهباً *** ائي قتلت السيد المهذباً

قتلت خير الناس أمأ وأبا *** وخيرهم إذ يذكرون نسباً^(١)

وهذان الولاءان المتعاكسان، والبراءات المتعاكستان واللذان نجدهما يوم عاشوراء في كربلاء في المعسكرين المتقابلين نجدهما امتداد التاريخ، في أنصار الحسين وأنصار بني أمية.

فنقرأ في التاريخ أن أناساً كانوا يتحملون ألوان العذاب والاضطهاد ومشاق السفر ليزوروا قبر الحسين (عليه السلام) وآخرين كانوا يكرهون موضع القبر ويحرقونه ويزرعونه ويروون الأرض بالماء ليضيّعوا معالم مرقد الحسين (عليه السلام) وكانوا يقتلون زوار الحسين، ويقطعون أيديهم ليصدوا الناس ويردعوهم عن زيارة الحسين (عليه السلام).

لقد حفلت ساحة الطف يوم عاشوراء بمشاهد الولاء والبراءة، في كل من المعسكرين، وحفلة بالقيم وأصدقاء القيم، التي يفرزها الولاء والبراءة في هذا المعسكر وذلك، وشطرت الناس منذ سنة (٦١ هـ) الى اليوم الى شطرين من الولاء والبراءة.

الخصائص الثلاثة لساحة الطف

وأبرز خصائص هذه الساحة في الولاء والبراءة ثلاث:

فهي الساحة الوارثة للولاء والبراءة، ولم يكن الولاء والبراءة في هذه الساحة أمراً جديداً، وإنما ورثتها هذه الساحة من ساحات الصراع الطويل بين الأنبياء وأتباعهم من جانب، والطغاة من جانب آخر.

وهي الساحة الفاصلة التي شطرت الناس من سنة (٦١ هـ) الى اليوم الى شطرين متمايزين متعاكسين في الولاء والبراءة.

(١) مرة الجنان للباقي: ١٣٢/١ .

وهي الساحة المورثة التي ورثنا منها الولاء والبراءة، ولولا هذا الميراث الذي تلقيناه من كربلاء، لم يسلم لنا الولاء والبراءة، فقد أفسد بنو أمية على الناس الولاء والبراءة، كما أفسدوا عليهم كثيراً من أصول دينهم ومعالمه وأحكامه، وسلبوا منهم ولاءهم وبرائتهم وحرّفوهما عن مجاريهما، فوضعهما الحسين بمصرعه ومصرع الفتية من أهل بيته وأصحابه في مواضعهما. وإليك توضيح وتفصيل هذه النقاط الثلاثة:

١ - الساحة الوارثة

ساحة الطف ساحة الصراع بين الحق والباطل، والتوحيد والشرك، والدعوة الى إخلاص العبودية الله والتسليم، والدعوة الى الطاغوت وتحكيمه على رقاب الناس وتعبيد الناس له. وهذا الصراع من أضرى ألوان الصراع في التاريخ، وأكثرها شراسة؛ وذلك لأنه صراع على الولاء والبراء. بين الولاء لله، والبراءة من الطاغوت من جانب، أو الولاء للطاغوت من جانب آخر، ولم يكن هذا الصراع حدثاً جديداً في التاريخ، حدث في كربلاء سنة (٦١ هـ)، وانما كان امتداداً للصراع الحضاري حول محوري الولاء والبراءة بين الأنبياء وأتباعهم من جانب، والطغاة والسلاطين ومن يحفُّ بهم من الملام من جانب آخر.

فقد كان الحسين(عليه السلام) على خط الأنبياء وأتباعهم، وكان بنو أمية وأعدائهم وعمّالهم على خط الجبابرة والطغاة والسلاطين. يقول أرباب السير: كان الإمام الحسين(عليه السلام) يردّد في خروجه من المدينة ذكر يحيى بن زكريا كثيراً وقتله.

وكانت القيم التي تميز بها معسكر الحسين في كربلاء هي نفس القيم والسنن التي تميز بها معسكر الأنبياء في التاريخ، من التوحيد، والإخلاص، والإعراض عن الدنيا وزهوها، والاستقامة والتضحية في سبيل الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الظالمين والذكر، والتقوى، والبر، والمعروف. وكانت الخصال التي يميز بها معسكر بني أمية في كربلاء هي نفس الخصال والسنن التي كان يتصف بها معسكر الظالمين والجبابرة والطغاة في التاريخ.

لقد مضى أصحاب الحسين(عليه السلام) ليلة العاشر ولهم دويّ كدويّ النحل، بين قائم وقاعد وراكع وساجد^(٢).

سمة العبيد من الخشوع عليهم *** الله أن ضمتهم الأسحار
وإذا ترجّلت الضحى شهدت لهم *** بيض القواضب إنهم أحرار

(٢) مقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرّم: ٢٣٨.

تقول فاطمة بنت الحسين: «وأما عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة في محرابها تستغيث الى ربها، والله، فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رئة»^(٣).

كذلك كان الأمر في معسكر الحسين (عليه السلام) : الشوق الى لقاء الله، والإعراض عن الدنيا وزخرفها، والانقطاع عن الدنيا الى الله والاستبشار بالشهادة في سبيل الله، حتى لقد كان بعضهم يداعب أصحابه ويمازحهم في الليلة العاشرة فقد هازل برير عبدالرحمن الأنصاري (رحمه الله) . فقال له عبدالرحمن: ما هذه ساعة باطل، فقال برير: لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، ولكني مستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين، إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ولوددت أنهم مالوا علينا الساعة^(٤).

والطرف الآخر في هذه المعركة كان همّه ما يصيب من الذهب والفضة والإمارة والجائزة في قتال ابن بنت رسول الله.

فقد تولى عمر بن سعد أمر قتال ابن بنت رسول الله طمعاً في إمارة الري. يقول الياضي: ووعد الأمير المذكور (عمر بن سعد) أن يملكه مدينة الري، فباع الفاسق الرشيد بالغي وفيه يقول:

أترك ملك الري والري بغيتي *** أو أرجع مأثوماً بقتل حسين
ثم يقول: وحزّ رأس الحسين بعض الفجرة والفاستين وحمله الى ابن زياد ودخل به عليه وهو يقول:

أوقر ركابي فضّة أو ذهباً *** إني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أمأ وأبا *** وخيرهم إذ يذكرون نسبا
فغضب ابن زياد من قوله وقال له: إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته؟ والله لا سلمت مني خيراً أبداً^(٥).

ويتبجح الأحنس بن مرثد الخضرمي في رضه للأجساد الطاهرة بعد استشهادهم وهو يعلم أنه يعصي الله تعالى في طاعة أميره ويقول كما يروي الخوارزمي:

نحن رضضنا الظهر بعد الصدر *** بكل يعبوب شديد الأسر
حتى عصينا الله رب الأمر *** بصنعنا مع الحسين الطهر^(٦)
لقد كان همّ الحسين وأصحابه في كربلاء مرضاة الله ولقاء الله، وكان هم جند ابن زياد، ما يدفع لهم الأمير من الجائزة والإمارة والذهب والفضة^(٧).

(٣) مثير الأحزان: ٥٦ .

(٤) تاريخ الطبري: ٢٤١/٦ .

(٥) أنظر مرآة الجنان للياضي: ١٣٢/١ .

(٦) مقتل الحسين للخطيب الخوارزمي: ٣٩/٢ .

(٧) في رحاب عاشوراء، لكاتب هذه السطور: ٢٢٩ - ٢٣٠ .

هذان سلوكان، وثقافتان، ومنهجان في الحياة، وأسلوبان في العمل وسنتان، وهما متميزان على امتداد تاريخ الصراع بين حزب الله وحزب الطاغوت.

ورغم ان مرور الزمن يغيّر ملامح وأشكال المناهج والأساليب والسنن، ولكن يبقى جوهر هاتين السنتين والثقافتين والمنهجين واحداً.

وهاتان السنتان هما سنّة أولياء الله ومناهجهم وسنّة أولياء الطاغوت ومناهجهم. ونحن نجد بوضوح هذا الفارق العظيم بين هذين المنهجين والثقافتين والسنتين في ساحة كربلاء في مواجهة هذين المعسكرين، على فاصل بضعة أمتار عن بعض. نقرأ في زيارة أمير المؤمنين(عليه السلام) المعروفة بـ (زيارة أمين الله): «فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك، مستتة بسنن أوليائك، مفارقة لأخلاق أعدائك».

سنتان، ومنهجان، ونحن نسأل الله تعالى أن يرزقنا سنن أوليائه في الحياة، ويفارق بيننا وبين سنن أعدائه.

لقد كانت ساحة الطف امتداداً لساحة الصراع في تاريخ الأنبياء من قبل، وكان الحسين(عليه السلام) على مواقع الأنبياء والأوصياء وأولياء الله، وكان بنو أمية على مواقع السلاطين والجبابرة في التاريخ.

وكان الولاء نفس الولاء، والبراءة نفس البراءة، وكانت هذه الساحة (ساحة وارثة) بالمعنى الدقيق للكلمة، نقلت كل القيم وأضداد القيم، وكل الولاء والبراءة من أعماق التاريخ الى عصر الحسين. وكلما يتأصل ويتجذر (الولاء والبراءة) يزداد عمقاً وصلابة وقوة ووعياً، لقد كان الولاء والبراءة في كربلاء، في معسكر الحسين(عليه السلام) يحمل كل صلابة وقوة ووعي الولاء والبراءة في تاريخ الأنبياء.

ولأمر ما، ورد السلام على الحسين(عليه السلام) في زيارة وارث بهذه الصيغة العجيبة المعبرة عن موقع الحسين(عليه السلام) في كربلاء، وهي صيغة وارثة الأنبياء:

السلام على وارث آدم صفوة الله

السلام على وارث نوح نبي الله

السلام على وارث إبراهيم خليل الله

السلام على وارث موسى كليم الله

السلام على وارث عيسى روح الله

السلام على وارث محمد حبيب الله

الساحة الفاصلة

لقد كان يوم عاشوراء يوماً من أيام الفرقان في التاريخ، وأعظم أيام الفرقان في هذه الأمة (بدر) و(صفين) و (الطف).

يقول الله تعالى عن يوم بدر: (يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان) .

وأيام الفرقان تشطر الناس، في حوزة الصراع شطرين، ولا تستثني أحداً في هذه الساحة، فقد كان الناس يومئذ على وضوح كامل وبيّنة كاملة من أمر الحق والباطل والهدى والضلال في هذا الصراع، ولم يكن ليلتبس الأمر على أحد في الساحة التي عاصرت هذا الصراع وكان الأمر في هذه المعركة أوضح وأجلى من أن يتمكن إعلام بني أمية من تلبيسه وتضيبه.

وقد ضل من ضل يومئذ عن علم وبيّنة، ولم يضل أحد عن التباس الحق بالباطل. ووقف الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء بين الصّفين وخاطب الجيش الأموي، فقال:

«أيها الناس، انبنوني من أنا؟ ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوا وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم، وابن وصيّه، وابن عمّه، وأول المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمّي؟ أوليس جعفر الطيار عمّي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذا ن سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، فوالله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضرب به من اختلقه.

وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم. سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبرونكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي. أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي».

فقال شمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: (والله أني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً. وأنا أشهد أنك صادق، ما تدري ما يقول، وقد طبع الله على قلبك)^(٨).

وقال الحسين(عليه السلام) للوليد عامل يزيد على المدينة، لما أراد أن يجبر الحسين(عليه السلام) على البيعة ليزيد والرضوخ له:

«يا أيها الأمير إننا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمر، وقاتل النفس المحترمة، معطن الفسق، ومثلي لا يبايع مثله»^(٩).

ووضح الحق والباطل، والهدى والضلال في هذه الساحة شَطَرَ الساحة يومئذ الى شطرين كاملين في الولاء والبراءة.

(٨) تاريخ الطبري: ٢٢٣/٦.

(٩) مقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرم(رضي الله عنه): ١٢٧ ط النجف، في رحاب عاشوراء لكاتب هذه السطور:

فمن وقف مع الحسين(عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه كان ولاؤه لله
ولرسوله ولأئمة المسلمين من بعده، وبراءته من يزيد وعمّاله وجلاوزته والملاّ الذي
يحف به.

ومن لم يقف مع الحسين(عليه السلام) يومئذ فولأؤه ليزيد وبراءته من حزب الله
الشرفاء ولا يقبل من أحد عذر في اللبس والجهل. ولا يقبل من أحد عذر أن يقف
موقف المتفرج، الذي لا يبالي ماذا يحدث في الساحة.

فمن عرف استغاثة الحسين(عليه السلام) لنصرة دين الله، ومن سمع واعية
الحسين(عليه السلام)، ثم لم يقف مع الحسين(عليه السلام)، ولم يغضب له، ولم يحزن له، ولم
يحاول أن يذب عنه، فقد كان راضياً بفعل القوم، ويدخل بالضرورة في حوزة اللعن
والبراءة.

ولقد نقرأ في زيارة وارث:

لعن الله أمة قتلتك...

ولعن الله أمة ظلمتك...

ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به...

وهذه من خصائص أيام الفرقان في التاريخ يفصل بين الناس فصلاً كاملاً.
والمعيار الفاصل في هذا الفصل هو الولاء والبراءة، يقسم الناس الى معسكرين،
حول محور الولاء والبراءة، ويرفض المتفرجين، الذين يقفون على هامش الساحة،
ايثاراً للعافية.

وقد يتصور هؤلاء المتفرجون في ساحات الصراع عندما يحتدم، انهم يسلمون
بدينهم، إذا تجنبوا الوقوف مع كل من المعسكرين، ولا يعلمون أنهم يدخلون الفتنة من
أوسع أبوابها!

كما قال الله تعالى: (إلا في الفتنة سقطوا)^(١٠).

فمن يشهد حقاً وباطلاً في صراع محتدم، ثم لا يقف مع الحق، فقد وقف مع
الباطل لا محالة، شاء أم لم يشأ.

لقد كانت المعركة يوم عاشوراء فاصلة، شطرت الناس الى شطرين، ومحور هذا
الانشطار الولاء والبراءة.

ورحم الله زهير بن القين فلقد كان ملء إهابه الوعي والبصيرة يوم خرج إليهم
على فرس ذنوب له، وهو شاك في السلاح، فقال: «يا أهل الكوفة، نذار لكم من
عذاب الله نذار. إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة على
دين واحد، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فاذا وقع السيف،

انقطعت العصمة وكنا أمة، وأنتم أمة. إن الله ابتلانا وإياكم بذرية نبيّه محمد(صلى الله عليه وآله) لينظر ما نحن وأنتم عاملون، أنا ندعوكم الى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبدالله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا السوء عمر سلطانهما ليمثلا أعينكم، ويقطعا أيديكم وأرجلكم، ويمثلا بكم، ويرفعاكم على جذوع النخل، ويقتلا أمثالكم، وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه».

فسبّوه، وأثنوا على عبيدالله بن زياد، وقالوا: لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه الى عبيدالله بن زياد مسلماً.

فقال زهير: عبادالله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم، فأعيدكم بالله ان تقتلونهم فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فلعمري انه يرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين(عليه السلام).

فرماه الشمر بسهم، وقال: اسكت اسكت نأمتك. أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير: يا ابن البوال على عقبيه ما إياك أخاطب، انما أنت بهيمة، والله ما اظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. ثم أقبل على القوم رافعاً صوته، وقال:

عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمد(صلى الله عليه وآله) قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحابه: إنّ أبا عبدالله يقول لك: أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء، فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ^(١).

٣ - الساحة المورثة

وقد ورثنا نحن (الولاء والبراءة) من ساحة الطف يوم عاشوراء، ولولا عاشوراء، لم نعرف نحن الولاء والبراءة إلا الولاء للحكام والسلطين كيف ما كانوا، والبراءة من أعدائهم، مهما كانوا إذ أن الولاء لمن بيده السوط وان جار، والولاء عن خرج عليه، وان كان يدعو الى الله ورسوله.

فقد أفسد بنوأمية على الناس الولاء والبراءة، والافساد والتخريب في الولاء والبراءة يعني الافساد والتخريب في كل شيء في هذه الأمة، وما الأمة في أصح تعاريفها إلا الولاء والبراءة، وقد عرف بنوأمية هذه الحقيقة جيداً، وعرفوا كيف يكون السطو على هذين العمودين في كيان الأمة.

(١١) تاريخ الطبري: ٢٤٣/٦.

ورحم الله الفرزدق، لما سأله الإمام عندما التقاه في الطريق، عن الناس من خلفه، قال له (عليه السلام): على الخبير سقطت، قلوبهم معك وسيوفهم عليك.

وهذه نقطة البداية، في تخريب الولاء والبراءة، وبعد هذه النقطة ينتقل الالفساد والتخريب من السيوف والمواقف، الى القلوب والحب والبغض، وهو كل شيء في الولاء والبراءة.

لقد عمد بنوأمية الى أهم شيء في كيان الأمة، وهو الولاء والبراءة، فأفسدوهما وسلبوهما من الناس، ولكي يفسدوا على الناس الولاء والبراءة، كان لابد لهم أن يسلبوا الناس (وعيهم)، و(ارادتهم)، و(مقاومتهم) ولما يفقد الناس هذه الثلاثة لا يبقى منهم إلا الزبد والرغوة.

وقصة هذا السطو طويلة، لا يسعنا هنا تفصيلها وقد فصلناها في كتابنا (وارث الأنبياء).

لقد واجه الحسين(عليه السلام) هذا الواقع المؤلم المؤسف، حيث يقول - وهو يصور مأساة المسلمين في ذلك العصر كلاماً كله حسرة وألم - :

«ان الدنيا قد تغيرت وتكرت، وادبر معروفها، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء، وخسيس عيش، كالمرعى الوبيل، ألا ترون الى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه». فلم يجد الحسين(عليه السلام) بدأ أن يخرج لقتال الطاغية بنفسه وأهل بيته، وأصحابه، وان قتلوا. وحقق بمصرعه المفجع أعظم مكسبين للإسلام والمسلمين، وهما:

- إعادة الوعي والإرادة السلبية والمقاومة الى نفوس المسلمين.
- سلب الشرعية عن حكومة بني أمية.

لقد أحدث مصرع الحسين(عليه السلام) والكوكبة المباركة من أهل بيته وأصحابه هزة عميقة في نفوس المسلمين الخاملة يومئذ، الذين تركوا الحسين(عليه السلام) وحده مع فئة صغيرة من أهل بيته وأصحابه، وأقبلوا يتفرجون على المعركة الرهيبة التي دارت رحاها في كربلاء بين الحسين(عليه السلام) والطاغية، دون أن يحركوا ساكناً.

لقد هزّ مصرع الحسين(عليه السلام) بتلك الصورة المفجعة ضمائر المسلمين التي عطلتها بنوأمية هزة قوية عنيفة، وأعادوا الى نفوسهم ما سلبهم بنوأمية من إرادتهم ووعيهم ومقاومتهم، وهذا هو أعظم المكسبين.

والمكسب الآخر: أن الحسين(عليه السلام) سلب بمصرعه شرعية حكومة بني أمية، فقد كان بنوأمية يحكمون المسلمون من موقع خلافة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وكانوا

يكسبون شرعية الحكم من هذا الموقع، وكانوا يحرفون أحكام هذا الدين وقيمه وأصوله من خلال هذا الموقع بالذات.

فلما خرج الحسين(عليه السلام) لقتال الطاغية، وسقط شهيداً على يد جلاوزة بني أمية عرف الناس أن رسول الله ودينه وأمته براء من بني أمية. واستمر بنو أمية في الحكم، بعد مصرع الحسين(عليه السلام)، ولكن كأى أسرة حاكمة من الحكام والسلاطين الزمانيين، وعادوا يمثلون خلافة رسول الله(صلى الله عليه وآله)في نفوس المسلمين.

وعرف المسلمون منذ ذلك التاريخ خطين مختلفين: خط الفقهاء، وخط الحكام. وكان خط الفقهاء لدى المسلمين هو الخط الشرعي، ما لم يقفوا على أبواب الحكام.

هذا في حوزة أهل السنة من المسلمين، وأما في مساحة أتباع أهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم، فقد كان الأمر أوضح من ذلك وأجلى. ولولا مصرع الحسين(عليه السلام)، لم يعرف الناس الدين إلا من خلال قصور بني أمية الحافلة بالترف والبذخ واللغو الحرام والطرب والظلم والفتك. ولو لم يحدث الذي حدث من مصرع الحسين(عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته لما بقي من الإسلام إلا اسمه، وكان الأمر كما قال الحسين(عليه السلام)لمروان يوم دعاه الى بيعة يزيد:

«فعلى الإسلام السلام، إذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد».

إذن، فإن الحسين(عليه السلام) حفظ لهذه الأمة دينها ورسالتها، وولاءها وبراعتها. ونحن اليوم نرث ما نعرف من الولاء والبراءة من يوم عاشوراء، ولولا عاشوراء، لم نكد نعرف من الولاء والبراءة إلا ما يعرفه الناس من الولاء للحكام كيفما كانوا، والبراءة عن أعدائهم مهما كانوا، الولاء لمن بيده السيف وان جار، والبراءة عمّن خرج عليه، وان كان يدعو الى الله ورسوله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

المعايشة الوجدانية لمأساة الطف في زيارة عاشوراء

والنص المعروف بـ (زيارة عاشوراء) يجسد الولاء والبراءة تجسيدا قويا واضحا، ويبلور بصراحة ووضوح كل الولاء والبراءة الذي تحفل به ساحة الطف، وكل الولاء والبراءة الذي يستقطبه هذا اليوم العجيب في التاريخ منذ سنة (٦١ هـ).

والذي يقرأ هذا النص المعروف بـ (زيارة عاشوراء) يستشعر بقوة المعيشة المباشرة لهذا اليوم منذ ذلك التاريخ الى اليوم وهو شعور صادق، يعرفه ويلمسه الذين ألفوا قراءة هذا النص وواظبوا عليه. وما أصدق وأدق وأرق هذه المعيشة الوجدانية الشقافة لمأساة الطف في هذه الكلمات المفجعة الواردة في هذه الزيارة.

«لقد عظمت الرزية، وجلت وعظمت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام، وجلت وعظمت مصيبتك في السموات على جميع أهل السموات... مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام، وفي جميع السموات والأرض».

ولأمر ما ورد التأكيد على أهل البيت(عليهم السلام) وعلماء مدرستهم في المواظبة على قراءة هذه الزيارة والمواظبة عليها.

فإن قراءة هذا النص تجعلنا في أجواء عاشوراء، وتنقل إلينا معاني الولاء والبراءة التي كانت تحفل بها عاشوراء، وتنقل إلينا القيم التي يحفل بها الولاء والبراءة، وتعمق وتجدر في نفوسنا الولاء والبراءة، فإن الولاء والبراءة يقربان البعيد ويبعدان القريب.

والأفكار التي أدونها في هذه المقالة هي مجموعة تأملات حول الولاء والبراءة في زيارة عاشوراء، لعل الله أن يرزقنا تذوق الولاء والبراءة، وتذوق المفاهيم الرفيعة التي تزخر بها هذه الزيارة.

وإليك فيما يلي طائفة من هذه الأفكار والتأملات، مقتبسة منها.

مشاهد الولاء والبراءة في زيارة عاشوراء

(الولاء) و(البراءة) تغطيان كلّ مساحة حياة الإنسان، كل مساحة الزمان والتاريخ، وكل مساحة المكان و(الجغرافيا).

ولا أعرف حالة تغطي حياة الإنسان مثل هذه الحالة.

فالولاء والبراءة، يشطران التاريخ شطرين، شطر أولياء الله وشرط أعداء الله.

فنحن اليوم نعيش مع إبراهيم(عليه السلام) ونوح(عليه السلام) وموسى(عليه السلام) وعيسى(عليه السلام) ورسول الله(صلى الله عليه وآله) والأئمة الهداة المهديين(عليهم السلام) من بعده من أهل بيته، وبتولاهم ونهتدي بهدايم، كما لو كنا نعيش في عصرهم، ونتمنى أن نكون معهم في الدنيا والآخرة، كما نتبرأ الى الله من فرعون، وهامان، ونمرود، وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، وقتلة الأنبياء من بني إسرائيل، ومن أبي سفيان وأبي جهل، ويزيد كما لو كنا في عصورهم.

لا يحجب التاريخ والقرون والعصور ولاءنا من الطائفة الأولى، ولا براءتنا عن الطائفة الثانية. ومن خصائص الولاء والبراءة أنّهما يخترقان العصور والقرون ويصلان بين أطراف المسيرة الواحدة عبر العصور.

ونحن اليوم نتفجع لمصاب الحسين(عليه السلام) ومصرعه في كربلاء، كما لو كان قد حدثت المصيبة المفجعة في حياتنا اليوم.

وكما يخترق الولاء والبراءة التاريخ، كذلك يخترق (الجغرافيا). فنحن اليوم نشارك المسلمين في فلسطين وكشمير والبوسنة والشيشان، والباكستان والعراق فيما يلقون من اضطهاد وعذاب على يد أعداء الله، ومن قتل وحرمان كما لو كان ذلك يقع في صفوفنا وداخل عوائلنا.

ونعادي إسرائيل وأمريكا، كما لو كانت إسرائيل وأمريكا يمارسان العدوان على أسرنا وبيوتنا.

إنّ الولاء والبراءة يقربان البعداء، ويبعدان المتقاربين في المكان.

ولرب أخ يعادي أخاه الشقيق، من أبيه وأمه، ويوالي ويحن الى إخوان له من غير أبيه وأمه، في بقاع نائية من الأرض، لم يشهدهم، ولم يعرف لهم اسماً ولا صورة.

إنّ الولاء والبراءة، يجمع سلمان الفارسي(رضي الله عنه) الى البيت النبوي، ويفصل أبالهيب، ويطرده، ويشجبه (تبت يدا أبي لهب وتبّ) .

فالولاء والبراءة يخترقان الزمان والمكان، ويغطيان كل مساحة التاريخ والجغرافيا.

وكذلك الولاء والبراءة يغطيان كل مساحة حياة الإنسان: داخل نفسه وقلبه، وعقله وثقافته وفي علاقاته الاجتماعية، وحياته السياسية وفي حربه وسلمه، فلا يبقى من حياته وسلوكه وشخصه وفكره وحبه وبغضه وهواه وما حوله شيء خارج الولاء والبراءة.

وفي زيارة عاشوراء نلتقي مشاهد عجيبة من الولاء والبراءة، تتوزع على كل جوانب وأبعاد حياة الإنسان .
وإليك نماذج من هذه المشاهد في كلمات هذه الزيارة.

الولاء والبراءة والعداء

وهذا عنوان عريض في المواصلة، والمفاصلة، والانتماء، والقطيعة، والحب والبغض. وقد تكرر ذكره في هذه الزيارة:

«أني أتقرب الى الله بموالاتك، وبالبراءة ممن قاتلك ونصب لك الحرب».

وهذا إعلان صريح في الولاء والبراءة.

وورد أيضاً في نص هذه الزيارة:

«وولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم».

وتقابل الولاء والبراءة، وتقابل الولاء والعداء، يوضح بشكل دقيق وصريح موقف المؤمن في ساحة الصراع التي امتدت عبر العصور الى اليوم.
ولاء لآل رسول الله وبراءة وعداء لاعدائهم، وليس بعد هذا الوضوح وضوح .

السلام واللعن

ويتحول هذا الولاء الى سلام في العلاقات الاجتماعية، والى لعن ودعاء بالطرده من ساحة رحمة الله، ومقاطعة، ومفاصلة في العلاقات الاجتماعية.
في زيارة عاشوراء:

«السلام عليك يابن رسول الله، السلام عليك يابن أميرالمؤمنين، السلام عليك يابن فاطمة

الزهراء، لعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها».

السلام إعلان للمودة، والمحبة، والتعاون، والتسالم، واللعن إعلان للمقاطعة، والانفصال، والطرده.

السلم والحرب

عجيب أمر الولاء والبراءة، يمتدان من النيات، والقلوب، والثقافة والإعلام، والأدب، والشعر، والمساجلات الأدبية الى ساحة القتال والمواجهة والمقارعة. ورد في زيارة عاشوراء:

«اني سلم لمن سالكم، وحرب لمن حاربكم الى يوم القيامة».
ولا ينتهي أمد هذا السلم والحرب حتى يوم القيامة، حيث يفصل الله تعالى بين الناس .

وفي فقرة أخرى من هذه الزيارة:

«اني سلم لمن سالكم، وحرب لمن حاربكم، وولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم».

ولأمر ما هذا التكرار والتأكيد والتثبيت.

ان أمر الولاء والبراءة جوهر هذا الدين وروحه، ويجب أن يثبت منهُما المؤمن في كل مساحات حياته، ولاءً وبراءةً، وحرباً وسلاماً، وانتماءً وقطيعةً، ومن دون ذلك لا يكتمل إيمانه.

المعيرة والمفاصلة

ومن مشاهد الولاء والبراءة في هذه الزيارة (المعيرة) والمفاصلة، المعيرة الكاملة في الدنيا والآخرة، ورد في هذه الزيارة:

«فأسأل الله أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة، وأن يثبت لي عندكم قدم صدق...».

والمعيرة على نحوين: معيرة صادقة ومعيرة كاذبة، نحو معيرة المؤمن الذي كان يحاور صاحب الجننتين، وهذه المعيرة ليس هي المطلوبة، وإنما المطلوب المعصية الصادقة في السراء والضراء، وأن يثبت لنا قدم صدق معهم «وأن يثبت لي عندكم قدم صدق».

وورد أيضاً في نفس الزيارة في الدعاء:

«وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين».
والثبات والصدق هنا عند الله مع الحسين(عليه السلام)، والفقرة التي ذكرتها من الزيارة تشتمل على كلا الأمرين معاً (عند الله) و(مع الحسين).
ولا بد أن يكون كذلك.

فكل قدم صدق (عند الله) لا بد أن يكون (مع) عباد الله الصالحين وأولياء الله، وكل قدم صدق (مع أولياء الله) لا بد أن يكون (عند الله).

هذه المعية للصالحين من عباد الله، والصادقين في السراء والضراء، ويأمر بها الله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)^(١٢).

وهذه المعية تحتاج الى صبر وسعة صدر:

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)^(١٣).

وهذه المعية، معية المسيرة الطويلة الشاقة في طاعة الله ورسوله، فمن أطاع الله ورسوله كان مع الصالحين من عباد الله.

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)^(١٤).

ونعمت الصحبة هذه الصحبة، ونعمت الرفقة هذه الرفقة (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) وهي معية شاملة في الدنيا والآخرة، وفي الحياة والممات.

فنسأل الله تعالى أن يجعل محيانا محيا محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله)، ومماتنا ممات محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله).

ففي زيارة عاشوراء:

«اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد، ومماتي ممات محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله)».

وهو من غرر الأدعية القصار. فلاحياة أفضل من حياة محمد وآل محمد، ولا ممات أفضل من مماتهم، ولا معية أفضل من معية الله ومعية محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله).

وورد في دعاء القنوت من صلاة عيد الفطر:

«اسألك بحق هذا اليوم... أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تدخلني في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد وأن تخرجني من كل سوء أخرجت منه محمداً وآل محمد، صلواتك عليه وعليهم أجمعين».

هذه المعية الشاملة للصالحين ولمحمد وآل محمد (عليهم السلام) هي خير ما يطلبه العبد من الله تعالى في دعائه.

وفي مقابل هذه المعية، المفاصلة التامة لأعداء الله ورسوله وأوليائه في أيام أحزانهم وأفراحهم وعاداتهم وتقاليدهم ومجتمعاتهم ومحافلهم وثقافتهم وسننهم وأخلاقهم.

(١٢) التوبة: ١١٩.

(١٣) الكهف: ٢٨.

(١٤) النساء: ٦٩.

فهانحن نتبرأ في زيارة عاشوراء ممّا كانوا يشعرون به من الفرح والسرور والانشراح لما أصابهم من الظفر بأهل بيت رسول الله (عليهم السلام)، ومن مصرع الحسين وأهل بيته، فنفارقهم ونفاصلهم في المشاعر والعواطف والأحاسيس، تأملوا: «اللهم أن هذا (يوم عاشوراء) يوم تبركت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد.. وهذا يوم فرحت به آل زياد وآل مروان بقتلهم الحسين صلوات الله عليه... اللهم فضاعف عليهم اللعن منك والعذاب الأليم. اللهم إني أتقرب إليك في هذا اليوم، وفي موقفي هذا، وأيام حياتي بالبراءة منهم واللعنة عليهم وبالموالاتة لنبيك وآل نبيك عليه وعليهم السلام».

هذه المفاصلة الكاملة، وتلك المعية الشاملة من مشاهد وآثار البراءة والولاء في حياة الإنسان.

التفجّع والثأر

ومن مشاهد الولاء والبراءة في هذه الزيارة التفجّع بمصاب الحسين (عليه السلام) وأهل بيته والدعاء بالتوفيق للثأر والانتقام من أعدائه وقتلته لعنهم الله. ونسأل ومن هم قتلة الحسين حتى نثار منهم وننتقم؟ فأقول: كل ظالم رضي بمصرع الحسين (عليه السلام) وسرّه ذلك فهو شريك لقتلة الحسين، أينما وضعه الزمان في عصرنا أم قبل هذا العصر. وفجيعتنا بمصرع الحسين من آثار الولاء وافرازاته في حياتنا، ولا يصح الولاء من دون هذه المشاركة العاطفية والوجدانية لأهل البيت (عليهم السلام) في مصابهم وما حلّ بهم من الظلم على أيدي الظالمين. تأملوا في زيارة عاشوراء:

«لقد عظمت الرزية، وجلّت وعظمت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام، وجلّت وعظمت مصيبتك في السموات على جميع أهل السموات، مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام، وفي جميع السموات والأرض».

وقد صحّ في الحديث أن من تفجّع بما أصابهم من المؤمنين رزقه الله تعالى ثواب أصحاب الحسين (عليه السلام) وحشره الله معهم.

وفي مقابل هذا التفجّع والتأسّف على مصرع الحسين (عليه السلام)؛ الدعاء بالتوفيق للثأر والانتقام من قتلة الحسين.

وإذا فاتنا أن نقف الى جنب الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء سنة (٦١ هـ) في كربلاء، فلن يفوتنا إن شاء الله الانتقام لدم الحسين (عليه السلام) وأصحابه، من قتلهم، ومنّ على هواهم.

تأملوا في زيارة عاشوراء:

«فأسأل الله الذي أكرم مقامك، وأكرمني بك أن يرزقني طلب تارك مع إمام منصور من أهل بيت محمد(صلى الله عليه وآله)».

«واسأله أن يرزقني طلب تارك مع إمام منصور».

ولربما تسأل وأين تجد قتلة الحسين والظالمين له لنثار للحسين(عليه السلام)، وننتقم منهم؟

ونترك الجواب للقرآن، ففي القرآن نور وبصائر:

يقول تعالى في اليهود الذين عاصروا رسول الله(صلى الله عليه وآله) وطالبوه أن يأتي لهم بقربان تأكله النار حتى يؤمنوا به، يقول تعالى:

(قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^(١٥).

ونقرأ الآية الكريمة من بدايتها:

(الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا الْأَتْمَانُ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقْرَبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^(١٦).

ولم يقتل اليهود في عصر رسول الله(صلى الله عليه وآله) نبياً قط، فكيف أسند الله تعالى إليهم قتل الأنبياء (فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين) .

وبيان ذلك في كتاب الله، أن هؤلاء رضوا بفعل أسلافهم، فحسب الله تعالى عليهم جرائم أسلافهم، وأدانهم بها، وسوف نتحدث عن هذه النقطة لدى الحديث عن تعميمات الولاء والبراءة إن شاء الله .

وعلى هذا النهج القرآني فكل ظالم، وقاتل، ومجرم، من طغاة الأرض، سره مصرع الحسين، فهو شريك لقتلة الحسين(عليه السلام) في قتلهم وحربهم للحسين(عليه السلام). بل كل طاغية، عاث في الأرض فساداً، وأهلك الحرث والنسل، وقتل عباد الله، وأذاقهم الاضطهاد والظلم، فهو راض بالضرورة بمصرع الحسين(عليه السلام) وشريك بالضرورة لقتله الحسين(عليه السلام).

(١٥) آل عمران: ١٨٣ .

(١٦) آل عمران: ١٨٣ .

الولاء والبراءة وجهان لقضية واحدة

الولاء والبراءة وجهان لقضية واحدة، وقيمة الولاء بالبراءة، فإن الولاء من دون البراءة لا يكلف الإنسان شيئاً، ولا يشقّ على الإنسان إن يشمل جميع الأطراف المتصارعة بالمجاملة والمداراة والتظاهر بالموودة والحب، فيكسب ودّ الجميع واحترامهم، ويوقّر على نفسه معاناة المواجهة .

ولكن ذلك لا يزيد على المجاملة والتظاهر بالموودة والحبّ، ولا يمكن أن يكون من الولاء من الولاء في شيء، فإن الولاء انتماء، وليس مجاملة ولا تظاهراً بالموودة والحب، والإنتماء لا يكون من دون الانفصال عن الجهة المقابلة، وليس يمكن تحقيق الانتماء في جبهات الصراع من دون انفصال .

جاء رجل الى الإمام علي(عليه السلام) فقال له: إني أحبك وأحب خصومك. فقال(عليه السلام): «أما الآن فأنت أعور، فأما أن تعمى أو تبصر».

ورؤية الأعور رؤية نصفية، غير كاملة، والرؤية الكاملة في ساحة الصراع لن تتحقق بغير اقتران الولاء والبراءة معاً.

إن الولاء من دون براءة ولاء ناقص وضعيف وعقيم. ففي حديث صفوان، قيل للصادق(عليه السلام):

إنّ فلاناً يواليكم، إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال: «هيهات كذب من ادعى محبتنا، ولم يتبرأ من عدونا»^(١٧).

وفي الحديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) لعلي(عليه السلام):

«إن ولايتك لا تقبل إلا بالبراءة من أعدائك. بذلك أخبرني جبرئيل، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»^(١٨).

وعن الإمام الصادق(عليه السلام)، قال للصفواني: «واعلم انه لا تتم الولاية ولا تخلص المحبة، ولا تثبت الموودة إلا بالبراءة من عدوهم، قريباً كان أو بعيداً»^(١٩).

وقد ورد في زيارة عاشوراء التأكيد البليغ على شعار الولاء والبراءة في مواضع عديدة.

«إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم الى يوم القيامة».

(١٧) بحار الأنوار: ٥٨/٢٧ .

(١٨) بحار الأنوار: ٦٣/٢٧ .

(١٩) بحار الأنوار: ٥٨/٢٧ .

«إني اتقرب إلى الله وإلى رسوله وإلى أمير المؤمنين وإلى فاطمة والحسن وإليك بموالاتك وبالبراءة ممن قاتلك، ونصب لك الحرب، والبراءة ممن أسس أساس الظلم والجور عليكم».

«اتقرب إلى الله ثم اليكم بموالاتكم، والبراءة من أعدائكم والناصبين لكم الحرب، والبراءة من أشياعهم».

«إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، وولي لمن والاكم وعدو لمن عاداكم». وغير ذلك.

وكل هذا التأكيد لئلا يميل الناس إلى الدعة والعافية، فيأخذون بالولاء ويدعون البراءة فلا معنى للانتماء والولاء في ساحة المعركة، من دون البراءة.

تكريم الله للإنسان بالولاء والبراءة في زيارة عاشوراء

إن ساحة الحياة ساحة صراع منذ أول ما أسكن الله بني آدم على وجه الأرض... وهذا هو التاريخ، ومحور هذا الصراع التوحيد والشرك، والحق والباطل، فمن الناس من ينتمي إلى محور التوحيد، ومن الناس من ينتمي إلى محور الشرك ويدافع عنه، وهذا هو جوهر الصراع.

فالتاريخ، هو الصراع بين محور التوحيد ومحور الشرك، والناس كل الناس شريحتان: منهم من ينتمي إلى محور ولاية الله، وهؤلاء هم دعاة التوحيد، ومنهم من ينتمي إلى محور ولاية الطاغوت، وأولئك هم المشركون والله تعالى يخرج الطائفة الأولى من الظلمات إلى النور، والطائفة الثانية يخرجهم الطاغوت من النور إلى الظلمات.

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)^(٢٠).

ولكل من هذين المحورين امتدادات ومساحات من الحياة، وامتداد المحور الأول هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأولي الأمر والمؤمنين.

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)^(٢١).

والمحور الآخر محور الطاغوت ولهذا المحور امتدادات ومساحات، كما لمحور التوحيد والألوهية، ولكل من هذين المحورين مساحة في الحب.

هنا أمة توحد الله وتوالي الله ورسوله وأولى الأمر من بعده، والمؤمنين والمؤمنات، وهناك أمة توالي الطاغوت وامتداداته.

(٢٠) البقرة: ٢٥٧ .

(٢١) المائدة: ٥٥ .

وكل أمة مجموعة مترابطة، تربطها ببعض علاقة عضوية، يعبر عنها القرآن الكريم بهذا التعبير الدقيق: (بعضهم من بعض) (بعضهم أولياء بعض).

فالمؤمنون أمة واحدة.

يقول تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (٢٢).

(وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) (٢٣).

وَالْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (٢٤)

(وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) (٢٥).

إذن المجتمع البشري، شريحتان، وأمتان، ومحوران، ولكل منهما ولاء وبراءة، واتصال وانفصال، وإنتماء وابتعاد.

والولاء والبراءة يشطران ساحة الحياة الى شطرين متميزين مختلفين.

فأين يكون موضع الإنسان من هذه الخارطة؟

والى أي محور ينتمي؟

ومع أي فئة يصنّف؟

هذا السؤال هو من أهم الأسئلة وأخطرها التي يواجهها الإنسان، وقيمة الإنسان في ذلك.

إن قيمة الإنسان في الموقع والموقف الذي يقف فيه من هذه الخارطة. مع الله وأتباعه وأوليائه. أم مع الطاغوت والهوى.

وهنا تبرز قيمة الولاء والبراءة في حياة الإنسان، أن الولاء لله ورسوله وأوليائه والمؤمنين، والبراءة من أعداء الله يضعان الإنسان في الموضع الصحيح الذي يجب أن يكون فيه، ويحفظانه من الانزلاق الى موقع الطاغوت وجنده وأوليائه.

ومن يؤس الإنسان وشقائه أن يعيش ساحة هذه الحياة، ولا يعرف أين يقف، ومع من يقف والى أي محور ينتمي، ومن يحارب ويقاقل، ومن يسالم وينصر؟

إنّ أقل ما يقال في هؤلاء أنهم يعيشون حالة الضياع والتهيه، وأخطر ما يكون الضياع والتهيه في ساحات الصراع، حيث يجب على الإنسان أن يحدد موقعه منها.

ويعيش الإنسان في هذه الدنيا في ساحة الصراع البتّة، وليس له مفر منها؛ فلا بد من أن يحدد موقعه فيها.

(٢٢) التوبة: ٧١ .

(٢٣) الأنفال: ٧٢ .

(٢٤) الأنفال: ٧٤ .

(٢٥) التوبة: ٦٧ .

ومن أخطر الأشياء أن لا يعرف الإنسان موقعه وموقفه في هذه الساحة، ويعيش في ضياع وتيه في وسط ساحة الصراع.

هؤلاء ينزلون الى الجهة المقابلة للتوحيد، لا محالة، ولا يطول بهم الضياع، حتى يقفوا في موقف المناوئ والعداء لأولياء الله.

إنّ الولاء لله ولرسوله وأوليائه والبراءة من أعدائهم وعي ومعرفة، ومن أجلّ أنواع الوعي والمعرفة، وقد أكرمنا الله تعالى بهذه المعرفة، وأخرجنا من الضياع والتيه، ومن الظلمات.

ونعم الله كثيرة، وعظيمة، ومن أعظم النعم التي أكرمنا بها الله تعالى هي نعمة المعرفة والولاء والبراءة.

وفي زيارة عاشوراء اشارة الى ما أكرمنا الله تعالى به من نعمة المعرفة والولاء والبراءة.

فأسأل الله الذي أكرمني بمعرفتكم، ومعرفة أوليائكم، ورزقتي البراءة من أعدائكم، أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة».

لقد حبانا الله تعالى بمواهب عظيمة ونعم جليلة ومن أجل هذه النعم وأعظم هذه المواهب الولاء.

عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) قال: «بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضل لأنها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ، ثم قال: ذروة الأمر وسنامه، وباب الأشياء ورضى الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته»^(٢٦)

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي(عليه السلام) أو الحسن بن علي(عليه السلام) قال: «إنّ الله افترض خمساً، ولم يفترض إلا حسناً جميلاً: الصلاة والزكاة والحج والصيام وولايتنا أهل البيت، فعمل الناس بأربع واستخفوا بالخامسة، والله لا يستكملوا الأربع حتى يستكملوها بالخامسة»^(٢٧).

والإنسان من دون الولاء والبراءة، يبقى هائماً لا ينظم حركته وحياته محور، ولا خط، فإذا تولّى الله ورسوله وأوليائه الذين أمرنا الله بولايتهم، والتبري من أعدائهم، وجد موضعه ومكانه في هذه الحياة، وثبت عليه .

(٢٦) بحار الأنوار: ٣٣٢/٦٨.

(٢٧) بحار الأنوار: ١٠٥/٢٣.

تعميمات الولاء والبراءة في زيارة عاشوراء

التعميم في الولاء والبراءة من معارف هذا الدين. وبموجب هذا التعميم تنتسح رقعة الولاء ورقعة البراءة اتساعاً عظيماً، فيعمّ الولاء من أوجب الله على المؤمنين ولاءهم، ومن والاهم، ومن أحبهم، ومن رضي بهم من جميع العصور. وتتسع رقعة البراءة، فتشمل من أمر الله تعالى بالبراءة، منهم، من أعداء الله، ومن يرضى بفعلهم ويحبهم، من جميع العصور. وليس التعميم في الولاء والبراءة فقط، وإنما يشمل التعميم الثواب والعقاب، والإدانة والاحتجاج. فيعمّ الثواب قوماً لم يحضروا الجهاد، ولم يتحملوا جوعاً وظلماً ولم يمسهم السيف، ولكنهم كانوا يحبون أولئك المجاهدين، ويرضون بفعلهم. ويعم العقوبة قوماً لم يرتكبوا قتلاً، ولكنهم كانوا يحبون القتلة ويرضون بفعلهم، فيعاقبهم الله بجرائم القتلة.

عامل التعميم

وعامل التعميم (الرضا والسخط) والرضا والسخط من الحب والبغض. فإذا رضى الإنسان بعمل قوم أشرك في عملهم، من خير أو شر، عوقب عليه إن كان شراً، وأثيب عليه، إن كان خيراً. وإذا سخط الإنسان على قوم تبرأ منهم. فالحب والرضا يلحقان الإنسان بالآخرين الذين يحبهم ويرضى عنهم. والبغض والسخط يفصلان الإنسان عن الآخرين الذين يبغضهم ويسخط عليهم. فهو عامل للوصل والفصل.

وحيث كان اليهود المعاصرين لرسول الله (صلى الله عليه وآله) راضين بفعل آبائهم في قتل الأنبياء؛ فإن الله تعالى يحملهم مسؤولية جرائم آبائهم ويدينهم بها ويعاقبهم عليها، ويلزمهم الحجة بذلك، مع أنهم لم يعاصروا أولئك الأنبياء ولم يدركوهم فضلاً من أن يكون لهم دور في قتلهم.

روي عن أبي عبدالله الصادق(عليه السلام): إن الله حكى عن قوم في كتابه: (ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبيئات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين).

قال: بين القتالين والقائلين خمسمائة عام، فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا.
وعن محمد بن الأرقط عن أبي عبدالله الصادق(عليه السلام)، قال: تنزل الكوفة؟
قلت: نعم.

قال: فترون قتلة الحسين بين أظهركم؟

قال: قلت: جعلت فداك ما رأيت منهم أحداً.

قال: فإذا أنت لا ترى القاتل إلا من قتل أو من ولي القتل.

أم تسمع الى قوله الله: (قد جاءكم رسل من قبلي بالبيئات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين).

فأي رسول قتل الذين كان محمد(صلى الله عليه وآله) بين أظهرهم.

ولم يكن بينه وبين عيسى(عليه السلام) رسول؟

إنما رضوا قتل أولئك، فسموا قاتلين^(٢٨).

الإشراك بـ (الرضا)

فالرضا يشرك الراضي في فعل من يرضى عنه، من خير أو شر، مارس الفعل أم لم يُمارسه، وفي كل الآثار: في المثوبة والعقوبة، والمسؤولية والإدانة.
عن أمير المؤمنين(عليه السلام)، برواية الشريف الرضي في نهج البلاغة:
«أيها الناس، إنما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمهم الله بالعذب، لما عموه بالرضا».

قال سبحانه: (فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ).

فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة»^(٢٩).

وعن أمير المؤمنين(عليه السلام): «الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به، والرضا به»^(٣٠).

والإمام (عليه السلام) يحلّل: في هذه الكلمة العناصر التي تتركب منها الجريمة الى إثمين: إثم العمل به وإثم الرضا به.

ولا يختص أمر هذا التعميم على الباطل والإثم، بل يعمّ الحق والثواب أيضاً.

(٢٨) تفسير البرهان: ٣٢٨/١ .

(٢٩) نهج البلاغة: ٢٠٧/٢ .

(٣٠) نهج البلاغة: ١٩١/٣ .

المشاركة في الرضا والسخط

ورد في بعض النصوص الجامعة في زيارة الأئمة(عليهم السلام):
(فنحن نشهد أنا قد شاركنا أوليائكم وأنصاركم المتقدمين في إراقة دماء الناكثين والقاسطين والمارقين وقتلة أبي عبدالله(عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة بالنيّات والقلوب والتأسّف على فوت تلك المواقع). وهو نص عجيب لا يفقهه إلا ذو علم بصير بسنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع.

وهذا باب واسع من الفقه في هذا الدين. وهو فقه «الرضا» و«السخط»، وانطلاقاً من هذا الفقه، فنحن قد شاركنا إبراهيم(عليه السلام) رائد التوحيد في دعوة التوحيد، وفي تحطيم الأصنام، ومقاومة طاغية عصره نمرود، وشاركنا موسى(عليه السلام) وعيسى بن مريم(عليه السلام) في دعوة التوحيد، ورفض طغاة عصرهم، وشاركنا رسول الله(صلى الله عليه وآله) في حربه وغزواته، ونشارك الصلحاء والأولياء وأئمة التوحيد والدعاة الهداة، والذاكرين المسبحين لله تعالى، عبر التاريخ في الدعوة الى الله، والنصيحة لعباد الله، والذكر والتسبيح، والآلام، والهموم، وما أراقوا من دماء الظالمين، وما أريق لهم من الدماء وما هدموا من أركان الظلم والشرك وما أشادوا من أركان التوحيد والعدل...»^(٣١).

تعميمات الولاء في زيارة عاشوراء

ونجد في الزيارة عدّة مراحل وتعميمات من الولاء :

المرحلة الأولى من الولاء

في هذه المرحلة نعلن ولأنا للحسين(عليه السلام) في المعركة التي خاضها ضد بني أمية.

«إني أتقرب الى الله بموالاتك، والبراءة ممن قاتلك».

وهذه هي المرحلة الأولى من الولاء يخص الإمام الحسين(عليه السلام).

المرحلة الثانية من الولاء

في المرحلة الثانية من الولاء تعمم الولاء له (عليه السلام) وللأرواح التي حلت بفنائها في كربلاء، وضحت ووقفت دون ابن بنت رسول الله، ونصرته وذبت عنه «وعلى الأرواح التي حلت بفنائك».

المرحلة الثالثة من الولاء

(٣١) الهجرة والولاء: ١٦٤ - ١٦٧ لكاتب هذه المقالة.

في المرحلة الثالثة، الولاء لمن يتولاهم، وهذه المرحلة من الولاء، تمتد، وتشمل كل المواليين لهم، من كل العصور، وكل من يتولاهم مشمول بهذا الولاء.

«وأقرب الى الله ثم إليكم بموالاتكم وموالاتكم وليكم».

«اني سلم لمن سالمكم وولي لمن والاكم».

وهذا التعميم الأخير للولاء تعميم شامل يمتد امتداد الزمان المكان.

عن الرضا(عليه السلام) فيما كتبه للمأمون من محض الإسلام فيما ذكر من الولاية: «الولاية للمؤمنين والذين مضوا على منهاج نبيهم، ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد، والولاية لاتباعهم وأشياعهم والمهتدين بهداهم والسالكين على منهاجهم»^(٣٢).

تعميمات البراءة في زيارة عاشوراء

وكما عرفنا للولاء عدة تعميمات، فكذا للبراءة عدة تعميمات.

التعميم الأول للبراءة

التعميم الأول للبراءة، البراءة من القتل والذين نصبوا الحرب على الحسين(عليه السلام)، والذين مهّدوا لقتاله، ومكّنوا من قتاله.

«لعن الله أمة قتلتمكم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم.

«لعن الله آل زياد وآل مروان، ولعن الله بني أمية قاطبة، ولعن الله ابن مرجانة، ولعن الله عمر بن

سعد، ولعن الله شمراً، ولعن الله أمة أسرجت وألجمت وتنقبت لقتالك».

«اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين، وشايعت وبايعت وتابعت على قتله».

التعميم الثاني للبراءة

في التعميم الأول أعلننا البراءة عن الظالمين والممهدين لهم، والذين مكّنوهم من الجريمة.

في التعميم الثاني نعلن البراءة عن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم ومن بايعهم ومن رضي عنهم من الناس .

وهذا التعميم تعميم واسع، يمتد على امتداد الزمان والمكان.

«برنت الى الله وإليكم منهم، ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم».

«أتقرب الى الله بموالاةكم، وبالبراءة من أعدائكم والناصبين لكم الحرب، وبالبراءة من أشياعهم وأتباعهم».

التعميم الثالث للبراءة

التعميم الثالث للبراءة يشمل الجذور: الذين أسسوا أساس الظلم لأهل البيت، والذين وضعوا الأسس في هذه الظلمة الكبيرة لآل البيت (عليهم السلام) .

«والبراءة ممن أسس أساس الظلم والجور عليكم، وأبرأ الى الله والى رسوله ممن أسس أساس ذلك».

التعميم الرابع للبراءة

التعميم الرابع للبراءة يشمل الذين جاروا على أشياع أهل البيت وأتباعهم، وليس عليهم فقط، فإن الجور على أشياعهم وأتباعهم من الجور والظلم عليهم. «وأبرأ الى الله والى رسوله ممن أسس أساس ذلك وبنى عليه بنيانه، وجرى في ظلمه وجوره عليكم وعلى أشياعكم، برئت الى الله وإليكم منهم».

التعميم الخامس للبراءة

وهو أشمل التعميمات وأوسعها:

«اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد، وآخر تابع له على ذلك...».

وهذا التعميم يشمل الظالمين لهم، والراضين بظلمهم من أول يوم ومن أول ظالم الى آخر ظالم والى آخر من يرضى بهذا الظلم. وهو من أوسع وأشمل التعميمات في البراءة.

التوحيد والاخلاص في الولاة في زيارة عاشوراء

الولاة من مقولة التوحيد

وهذا أصل هام من أصول هذا الدين والقرآن حافل بهذه الحقيقة، يقول تعالى: (إن الحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفْصُلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)^(٣٣)
(إن الحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)^(٣٤).
(إن الحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)^(٣٥).
والآيات بهذا المضمون كثيرة.
ولا يصح من الولاة إلا ما كان في امتداد ولاية الله تعالى وبإذنه وبأمره، يقول تعالى:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)^(٣٦).
وكل ولاء لا يقع في امتداد ولاية الله، فهو من الولاة الباطل الذي يرفضه الإسلام.

يقول تعالى:

(أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ)^(٣٧)

(قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)^(٣٨)

(وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)^(٣٩).

والقرآن الكريم صريح في تقرير هذه الحقيقة. وإليك طائفة من آيات الله المباركات من كتابه الحكيم في إيضاح هذه الحقيقة: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)^(٤٠).

فالآية الكريمة تقرّر أن ملك السماوات والأرض كله لله، ولا يملك غير الله تعالى شيئاً من السماوات والأرض... وانطلاقاً من هذه الحقيقة فلا بد أن تكون له تعالى الولاية المطلقة على الإنسان، وليس للإنسان أن يتخذ غير الله ولياً، وله سبحانه

(٣٣) الأنعام: ٥٧ .

(٣٤) يوسف: ٤٠ .

(٣٥) يوسف: ٦٧ .

(٣٦) المائدة: ٥٥ .

(٣٧) الشورى: ٩ .

(٣٨) الأنعام: ١٤ .

(٣٩) العنكبوت: ٢٢ .

(٤٠) البقرة: ١٠٧ .

الولاية المطلقة والسلطان المطلق على كل شؤون الإنسان، ما يتعلق منه بجوارحه أو جوانحه، وليس لأحد من دون الله تعالى سلطان وولاية على الإنسان إلا أن يكون بإذن الله وأمره، وفي امتداد ولاية الله. والآية الكريمة تفيد حصر الولاية في الله تعالى من ناحيتين:

أ - من حيث إن ملك السماوات والأرض لله تعالى وحده، فلا بد أن تكون الولاية لله تعالى وحده على الإنسان، دون سائر مخلوقاته.

ب - ومن ناحية الدلالة اللفظية أيضاً، فإن (ما وإلا) من أدوات وسائل الحصر في اللغة العربية^(٤١).

ويحل (غير) محل (إلا)، فيجوز الحصر بـ (ما وغير)^(٤٢)، كما تقول: (ما جاءني أحدٌ غير محمد).

وكلمة (دون) في الآية الكريمة: (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) بمعنى (غير)^(٤٣).

فعلية، فإن صياغة الآية الكريمة صياغة حاصرة تحصر الولاية في الله من ناحية (المعنى) ومن ناحية (اللفظ).

والحصر يأتي بمعنى السلب والإيجاب والنفي والإثبات معاً، فينبغي الولاية عن غير الله ويثبتها لله تعالى.

وبهذا المضمون وردت آيات عديدة في كتاب الله، يقول تعالى:

(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)^(٤٤).

ويقول تعالى: (وَرَأَى الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسْبَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ)^(٤٥).

ويقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)^(٤٦).

وفي سورة السجدة:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)^(٤٧).

(٤١) دلائل الاعجاز للجرجاني: ٢٦٠.

(٤٢) المصدر نفسه: ٢٦٨.

(٤٣) تفسير الجلالين: ١٦، ومفردات الراغب: ١٧٦.

(٤٤) الأنعام: ٥١.

(٤٥) الأنعام: ٧٠.

(٤٦) التوبة: ١١٦.

وتربط الآية الكريمة بشكل واضح بين سلطان الله على السماوات والأرض وولايته التكوينية الشاملة على الكون، وبين ولاية الله التشريعية على الإنسان، وانحصار الولاية فيه تعالى دون غيره ممن يتخذهم الناس أولياء من دون الله^(٤٨).

عن أبي خالد الكابلي، قال: أتى نفر الى علي بن الحسين بن علي (عليه السلام) فقالوا: ان بني عمنا وفدوا الى معاوية بن أبي سفيان طلب رفده وجائزته، وإنا وفدنا إليك صلة لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال علي بن الحسين (عليه السلام): «من أحبنا لا لدنيا يصيبها منها، وعادى عدونا، لا لشحناء كانت بينه وبينه، أتى الله يوم القيامة مع محمد وإبراهيم وعلي»^(٤٩).

فالولاء الحق هو ما كان مما يتقرب من الإنسان الى الله، ولا يتقرب الإنسان الى الله إلا بما أمر به الله تعالى.

فلا يكون الولاء صحيحاً وحقاً، إلا إذا كان قد أمر به الله تعالى.

وولاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته مما أمر به الله تعالى ورسوله، عن الإمام عن الصادق (عليه السلام): «وشد الله حبل طاعة ولي أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته...»^(٥٠).

وبهذا الولاء نتقرب الى الله تعالى، فلننا نطلب من ولاء أهل البيت (عليهم السلام) شيئاً من حطام الدنيا ومرضاة الحكام، وانما نطلب رضى الله تعالى، ونتقرب به إليه عزّ شأنه، في زيارة عاشوراء:

«اني أتقرب الى الله تعالى بمولاتك».

وورد في هذه الزيارة أيضاً عن الاخلاص في البراءة: «اللهم إني أتقرب إليك في هذا اليوم، وفي موقفي هذا وأيام حياتي بالموالاة لنبيك وآل نبيك عليه وعليهم السلام».

وورد أيضاً في هذه الزيارة:

«إني أتقرب الى الله، والى رسوله، والى أمير المؤمنين، والى فاطمة، والى الحسن، وإليك بمولاتك، وبالبراءة ممن أسس ذلك (ظلم أهل البيت) وبنى عليه بنيانه، وجرى في ظلمه وجوره عليكم، وعلى أشياعكم، وأتقرب الى الله ثم إليكم بمولاتكم وموالاة وليكم...».

(٤٧) السجدة: ٤ .

(٤٨) الولاء والبراءة: ٩٣ - ٩٥، لكاتب هذه الأسطر.

(٤٩) بحار الأنوار: ٥٦/٢٧.

(٥٠) الكافي ج ١ ص ١٨٢، مبتدأ ب (وصل الله طاعة ولي...).

التوحيد والاخلاص في البراءة في زيارة عاشوراء

وكما الولاء من مقولة التوحيد، كذلك البراءة من مقولة التوحيد. فليست البراءة انفعالاً نفسياً، وحالة مزاجية، وانما (البراءة) موقف، في امتداد الولاء، والوجه الثاني للولاء، ولا يمكن ان ينفصل عنه. فكما كان الولاء من مقولة التوحيد فكذلك البراءة من مقولة التوحيد. فلا تحصل البراءة في فراغ وإنما تتحقق البراءة في ساحة الصراع. فمن يوالي أولياء الله، يوالي الله، ومن يعاديهم يعادي الله. في الزيارة الجامعة:

«من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن أعتصم بكم فقد أعتصم بالله».

ولا معنى للبراءة في ساحة الصراع من دون الولاء، فإنّ البراءة هي اعلان الانفصال والمواجهة والحرب في ساحة الصراع. ولا معنى للانفصال في ساحة الصراع من دون الانتماء والانضمام الى المحور الآخر.

والذين يتصورون أن بالامكان تجريد البراءة عن الولاء، يُخطؤون في تعريف البراءة، ويتصورون ان البراءة من قبيل الانفعالات النفسية والمزاجية التي تحصل في العلاقات ما بين الأشخاص، والأمر ليس كذلك.

فإن البراءة اعلان لموقف الانفصال والمواجهة في ساحة الصراع، وهو لا يمكن من دون الانتماء والانضمام الى المحور الآخر في الساحة، وهو الانتماء والولاء.

فلا براءة من غير الولاء، ولا يمكن تجريد البراءة عن الولاء. فكل براءة انفصال واتصال، كما لو كان المقاتل ينفصل في ساحة المعركة والمواجهة من جهة، فإنه بالضرورة يتصل بالجهة الأخرى.

والى هذا المعنى الدقيق تشير الكلمات الواردة في زيارة عاشوراء: «وأبرأ الى الله والى رسوله ممن أسس أساس ذلك (ظلم أهل البيت) وبنى عليه بنيانه».

«برأت الى الله وإلهم منهم».

وهو تعبير دقيق ورقيق وينطوي على مغزى عميق، يستوقف الإنسان، فكل براءة في ساحة الصراع تتحدد بنقطتين وليس بنقطة واحدة.

وهاتان النقطتان هما (من) و (الى). ولا يصح تحديد البراءة بالجهة التي يتبرأ الإنسان منها، وهي الجهة التي تحدها كلمة (من).

وما لم ينضم الى هذه الجهة، الجهة التي ينضم إليها الإنسان، وينتمي إليها في ساحة المعركة، فلن تكون البراءة كاملة، والبراءة الناقصة ليست من البراءة، وإنما هي حالة من المزاجية والانفعال النفسي.

وأما البراءة في ساحة الصراع فيتحدد في وقت واحد بالجهتين معاً: الجهة التي يتبرأ منها الإنسان، والجهة التي ينضم وينتمي إليها، وهو ما عبرنا عنه بـ (من) و (الى).

والى هذا المعنى تُشير الكلمات الواردة في زيارة عاشوراء:
«برئت الى الله وإليكم منهم (قتلة الحسين عليه السلام) ومن أشياعهم وأتباعهم وأولياهم».
«برئت الى الله وإليكم منهم».

«وابراً الى الله وإلى رسوله ممن أسس أساس ذلك (الظلم)».
وعندئذ تدخل (البراءة) في مقولة التوحيد، فإن البراءة لا تصح إلا إذا كانت لله، وفي سبيل الله، وتضم صاحبها الى المحور الإلهي في ساحة المعركة.
ومهما تعددت نقاط البراءة، فإن البراءة في جميع هذه النقاط تنتهي الى ما يبرء منه الله تعالى والانتماء الى المعسكر الموالي لله تعالى لا محالة، وهذا هو معنى التوحيد في البراءة.

الإخلاص في البراءة

وكما كانت البراءة من مقولة (التوحيد)، فإنها كذلك من مقولة (الإخلاص لله).
فإن من أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله، البراءة من أعداء الله، فإذا أخلص الإنسان في حبه وبغضه لله تعالى، فأحب في الله، وأبغض في الله كان من خيار عباد الله.

فإن الدين حبّ وبغض، والإخلاص لله في الحبّ والبغض معاً حب أولياء الله، وبغض أعداء الله.

وقد وردت الإشارة في زيارة عاشوراء الى هذا المعنى:

«واني أتقرب الى الله وإلى رسوله... بالبراءة ممن قاتلك ونصب لك الحرب».

فالبراءة ليست انفعالاً، ولا مزاجاً، وإنما هي موقف وإعلان للانفصال والحرب في ساحة الصراع، يتقرب به العبد الى الله تعالى.

وقد تواترت النصوص الإسلامية في قيمة البراءة والبغض لأعداء الله، إذا كانت البراءة لله تعالى. وان حقيقة الايمان هي الحب في الله، والبغض في الله، وان الحب في الله والبغض في الله من محض الإيمان.

عن أبي محمد العسكري(عليه السلام) عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، قال رسول الله لبعض أصحابه ذات يوم:

«يا عبدالله، أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان، وإن كثرت صلواته وصيامه، حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادلون وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً»^(٥١).

عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبدالله، أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لا تُنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان، وإن كثرت صلواته وصيامه حتى يكون كذلك^(٥٢).

وعن أبي عبدالله الصادق(عليه السلام) قال: «إن من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله عزّ وجلّ»^(٥٣).

فلا ينال أحد ولاية الله - إذن - إلا إذا أخلص قلبه لله، فكان في الله حبه وبغضه وقربه وبعده وولايته وبراءته، ولن يكون بين عرى الإيمان، وهي كثيرة، عروة أوثق من الحب والبغض في الله.

عن أبي عبدالله الصادق(عليه السلام): «من أحب كافراً فقد أبغض الله، ومن أبغض كافراً فقد أحب الله، ثم قال(عليه السلام): صديق عدوّ الله عدوّ الله»^(٥٤).

وعن أبي جعفر الثاني(عليه السلام) قال: أوحى الله الى بعض الأنبياء:

أما زهدك في الدنيا فتعجّلك الراحة، وأما انقطاعك إليّ فتحرزك بي، ولكن هل عادت لي عدوّاً أو واليت لي ولياً^(٥٥).

وعن أبي عبدالله الصادق(عليه السلام): من أحبّ الله، وأبغض الله وأعطى الله، ومنع الله فهو ممن كمل إيمانه»^(٥٦).

وعن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) عن رسول الله(صلى الله عليه وآله): «ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان ألا ومن أحب في الله، وأبغض في الله، ومنع في الله، فهو من أصفياء الله»^(٥٧).

(٥١) بحار الأنوار: ٥٤/٢٧.

(٥٢) أمالي الصدوق: ٨.

(٥٣) أمالي الصدوق: ٣٤٥.

(٥٤) أمالي الصدوق: ٣٦٠.

(٥٥) تحت العقول: ٤٧٩.

(٥٦) المحاسن: ٢٦٣.

(٥٧) أصول الكافي: ١٢٥/٢.

وعن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه:
أي عرى الإيمان أوثق؟
فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم الصلاة، وقال بعضهم الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم الحجة، وقال بعضهم الجهاد.
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وكل ما قلتم فضل، وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، وتوالي أولياء الله والتبري من أعداء الله»^(٥٨).
وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «إذا أردت ان تعلم أن فيك خيراً، فانظر الى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله عزّ وجلّ، ويبغض أهل معصيته ففك خير، والله يحبك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله، ويحب أهل معصيته، فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحب»^(٥٩).
وقد ورد في زيارة عاشوراء هذا المعنى أكثر من مرة تثبيتاً وتأكيدياً:
«اللهم إني أتقرب إليك في هذا اليوم، وفي موقفي هذا وأيام حياتي بالبراءة منهم (أعداء آل محمد) واللعنة عليهم».
وورد أيضاً: «إني أتقرب الى الله والى رسوله، وإلى أمير المؤمنين، والى فاطمة، والى الحسن، وإليك بموالاتك، والبراءة ممن أسس أساس ذلك (ظلم أهل البيت)، وجرى في ظلمه وجوره عليكم وعلى أشياعكم».
فالبراءة من أعداء الله وأعداء أوليائه، كالولاء، (توحيد) و(اخلاص) في وقت واحد.

(٥٨) أصول الكافي: ١٢٥/٢ .

(٥٩) أصول الكافي: ١٢٦/٢ .

لا يجتمع ولاءان في قلب عبد مؤمن

وذلك لأن الولاء، كما قدمنا، من مقولة التوحيد، والولاء الحق لله تعالى ولمن يأمر الله بولائه، فكل ولاء يأتي على هذا الامتداد فهو من الولاء الحق، وكل ولاء ليس لله، ولم يأمر الله تعالى به، ولا يأتي في امتداد ولاية الله، فهو من الولاء الباطل. والولاءات الحقّة، بعضها من بعضها، وهي تقع جميعاً في امتداد ولاية الله، فهي ولاية واحدة بالضرورة.

ولا يجتمع ولاءان مختلفان في قلب سليم.

وذلك ان القلب الواحد لا يحتمل غير ولاء واحد، وحباً واحداً. وليس في جوف الإنسان إلا قلب واحد، إلا أن يفسد القلب أو يفسد الولاء.

يقول تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) (٦٠).

وقد جاء في زيارة الجامعة: «فمعكم معكم لا مع غيركم» (٦١).

وتكرار (المعيّة) لهم (عليهم السلام) في هذه الفقرة من الزيارة، ونفي معيّة الغير يؤكد معنى وحدة الولاء، التي أشرنا إليها، فإن كل ولاء غير ولائهم من الولاء الباطل، وذلك أن الولاء الحق ما كان لله، وفي امتداد ولاية الله، فما كان من الولاء لأنبياء الله ورسله وخلفائهم والمؤمنين فهو من الولاء لله، البتّة. وما لم يكن من الولاء لله تعالى ولرسله وأوليائه والمؤمنين فهو ولاء آخر غير ولائهم، ولا يجتمع ولاءان في قلب واحد، ولا يجتمع قلبان في جوف امرء واحد، كما يقول تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ).

عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) فيحب بهذا أو يبغض بهذا. فأما محبتنا فيخلص الحب لنا، كما يخلص الذهب النار، لا كدر فيه، من أراد أن يعلم حبنا فليمتحن قلبه، فإن شاركه في حبنا عدونا، فليس منا، ولسنا منه» (٦٢).

فلا يمكن أن يجمع الإنسان ولاءين في قلب واحد، إلا أن يكون الولاء ناقصاً أو القلب مريضاً.

قالوا إنّ رجلاً قدم الى علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: يا أمير المؤمنين إني أحبّك، وأحب فلاناً، وسمي بعض أعدائه، فقال (عليه السلام): «أما الآن فانت أعور، فأما أن تعمى، وأما أن تبصر» (٦٣).

(٦٠) الأحزاب: ٣ .

(٦١) كما في بعض نسخ الزيارة الجامعة.

(٦٢) بحار الأنوار: ١٩٥١ .

والمعروف ان الأعور يرى رؤية نصفية ناقصة فهو لا يملك رؤية كاملة،
والرؤية الناقصة رؤية عاجزة على كل حال من الإدراك والابصار الصحيح.
روي أن الناس وجدوا في قراب سيف رسول الله(صلى الله عليه وآله) بعد وفاته
صحيفة (قصاصة) صغيرة فيها: «من تولى غير مواليه فعليه لعنة الله...»^(٦٤).

(٦٣) بحار الأنوار: ٥٨/٢٧.

(٦٤) بحار الأنوار: ٦٤/٢٧.

معارج الولاء والبراءة في زيارة عاشوراء

أكثر شيء ينقي التوحيد والاخلاص، الولاء والبراءة، وذلك لأنّ الولاء والبراءة أشقّ اختباراً للتوحيد والاخلاص، ولا يمكن إختبار درجة الاخلاص والتوحيد بشيء أدقّ وأشقّ من الولاء والبراءة.

ففي الولاء والبراءة تبرز درجة صدق الإنسان في التوحيد والاخلاص. فليس كل من يدعي الاخلاص والتوحيد يصدق في التوحيد، ويخلص في الإيمان والتوحيد، حتى يختبره الله تعالى في ساحة الصراع والمواجهة بالولاء والبراءة، فيعلم الله صدقه في الحب، والبغض، والنصرة، والتضحية لمن أمر الله بولائهم، والمقاومة والثبات، وتحمل العذاب والاضطهاد من أجله، وفي حبّ من يحبّهم، وبغض من يبغضهم، ومقاطعة من يحاربهم ويبغضهم، حتى لو تضرر بذلك. وليس في ساحة الحياة الدنيا، اختبار أفضل وأدقّ للتوحيد والإخلاص من الولاء والبراءة.

فلا يمكن معرفة التوحيد والإخلاص في ساعات اليسر والعافية، وبالتنظير والدعوى، قبل أن يحلّ التوحيد والإخلاص في ساحة الصراع والمواجهة، ويتطلب من صاحبه الولاء والبراءة والنصرة، والتضحية، والعطاء وتحمل العذاب والاضطهاد، وفقدان البنين والأموال، والمخاطر والمجازفة. عندئذ يعلم الله الصادقين من غيرهم.

ولذلك فقد جعل الله تعالى (الولاء والبراءة) من أعظم منازل رحمته في حياة الإنسان، فإن منازل الرحمة تتناسب مع درجة خلوص التوحيد ونقاء الإيمان، ولما كان الولاء والبراءة في ساحة المواجهة والصراع، متبلوراً لأعلى درجات التوحيد والاخلاص، كانت من أعظم منازل الرحمة في حياة الإنسان.

ورحمة الله تعالى هابطة نازلة في كل مكان وزمان، ولكن هناك منازل للرحمة تتميز من غيرها في (الزمان) و (المكان) و(الأحوال).

وأقصد بالمكان المواضع والمحال التي تستنزل رحمة الله أكثر من غيرها مثل: المسجد الحرام، ومسجد رسول الله ووادي عرفة، يوم عرفة والحائر الحسيني.

واقصد بالحالات، الحالات التي تستنزل الرحمة مثل حالة (الدعاء) و(الاضطرار الى الله) و (انكسار القلب) و(البكاء) و (التضرع) فهي تستنزل رحمة الله أكثر من غيرها من الحالات.

والولاء والبراءة الصادقتان من أفضل الحالات التي تستنزل رحمة الله تعالى.

فهي من أفضل منازل الرحمة في حياة الإنسان. فيها يستجاب الدعاء، وفيها تنزل الرحمة والبركة على الإنسان، وفيها ترق القلوب.

ومنازل الرحمة في حياة الإنسان، هي معارج الإنسان الى الله، ومن هذه المنازل يعرج دعاء الإنسان وذكره، وحبه وشوقه، وإخلاصه وتوحيده، وتضرّعه الى الله. فهي منازل الرحمة، ومعارج الإنسان الى الله تعالى، و(ولاء أهل البيت والبراءة من أعدائهم). من أفضل وأجلّ منازل الرحمة، ومعارج الإنسان الى الله تعالى. فقد علمنا الله تعالى بالولاء والبراءة معالم ديننا، وأخرجنا من ظلمات الجهل، وأنقذنا من الهلكة.

نجد في الزيارة الجامعة الإشارة الى طائفة من هذه (المنازل) و(المعارج) «بموالاتكم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وبموالاتكم تمت الكلمة، وعظمت النعمة، وأنتلفت الفرقة، وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة». «وبكم أخرجنا الله من الذل، وفرّج عنا غمرات الكروب، وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ومن النار».

«سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضلّ من فارقكم، وفاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدقكم، وهدى من اعتصم بكم...». ولنتأمل الآن في منازل الرحمة ومعارج الإنسان الى الله في الولاء والبراءة في زيارة عاشوراء.

التكريم والوجاهة

وأول هذه المنازل: أن الله تعالى أكرمنا بولاء أهل البيت ومعرفتهم والتبري من أعدائهم، ورزقنا بهم هذه الكرامة والوجاهة في الدنيا والآخرة، وما أدراك ما هذه الكرامة والوجاهة عند الله.

«فأسأل الله الذي أكرم مقامك، وأكرمني بك».

فقد أكرمنا الله بالحسين، وكما أكرم الله مقام الحسين، فقد أكرمنا بالحسين(عليه السلام) وولايته والبراءة من أعدائه.

ومن هذه المنازل والمعارج الوجاهة عند الله في الدنيا والآخرة، وتلك منزلة يتمناها كل صديق وشهيد.

«اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين(عليه السلام) في الدنيا والآخرة».

وحبّذا الوجاهة عند الله في الدنيا والآخرة!

ونحن نسأل الله أن يذهب عنا سواد قلوبنا ووجوهنا عنده، ويستبدلنا بذلك، من فضله ورحمته، قلوباً نقيّة سليمة ووجوهاً وجيهاً، ولسنا نحن نستحق هذا التكريم إلا أن يكون ذلك بفضلته ورحمته، وبسبب من ولاننا للحسين(عليه السلام) والبراءة من أعدائه وقتلته وأشياهم واتباعهم .

الثأر لمصرع الحسين(عليه السلام)

وهذا تكريم آخر، نطلبه من الله تعالى، أن يرزقنا الثأر لمصرع الحسين(عليه السلام) ممّن قتله ومن أتباعهم وأشياهم. فلا زال مصرع الحسين(عليه السلام) في كربلاء ظلامه التوحيد والعدل، وظلامه رسول الله.

ووليّ هذا الدم هو الله تعالى، وهو الثأر الأول لهذا الدم، والدم الذي أراقه اللعين عبدالرحمن بن ملجم في محراب الصلاة بمسجد الكوفة، فهو سبحانه وتعالى الثائر الأول لدمه ودم أبيه(عليه السلام): «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور». وبعد ذلك يتحمل حملة رسالة التوحيد والعدل ومسؤولية الثأر للدماء الزكية التي سفكت بكربلاء ظلماً وعدواناً.

والثأر يأتي في امتداد الشهادة.

والشهادة: تضحية، ورسالة، وثأر. الحسين(عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه أدوا الدور الأول ويبقى علينا الدور الثاني والثالث وهو دور القيام برسالة هذه الدماء، والثأر لها، وهو أعظم وأفضل منازل الرحمة ومعارج الولاء والبراءة في حياة الإنسان.

وبدأت حركة الثأر بعد استشهاد الإمام(عليه السلام) مباشرة، وتستمر هذه الحركة، حتى يتسلم المهدي من آل محمد عجل الله فرجه الثأر لهذه الدماء الطاهرة، وكل دم سفك ظلماً وعدواناً في سبيل الدفاع عن التوحيد والعدل فهو خاتمة الثائرين لهذه الدماء الزاكية.

فنسأل الله تعالى في هذه الزيارة أن يرزقنا الثأر لدمه(عليه السلام) في ركب حفيده الهادي المهدي المنصور من آل محمد عجل الله فرجه.

«فأسأل الله الذي أكرم مقامك، وأكرمني بك أن يرزقني طلب تارك مع إمام منصور من أهل بيت

محمد(صلى الله عليه وآله)».

«وأسأله أن يبلغني المقام المحمود لكم عند الله، وأن يرزقني طلب تارك مع إمام هدى ظاهر

ناطق بالحق منكم».

معية أهل البيت وقدم الصدق عندهم

معية الصادقين

قد أمرنا الله تعالى في كتابه أن نكون مع الصادقين (كونوا مع الصادقين)^(٦٥) وأظهر معاني المعية:

(الولاء) نحو قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)^(٦٦).
وهذه المعية شاقة وعسيرة وصعبة.

وأكثر معاناة الذين وقفوا مع الأنبياء كان في ذلك، حتى أن قومهم كانوا يهددونهم أن يتخطفوهم من الأرض، ويزعجوهم عن أهلهم وذويهم، إن لم يتركوا معية الأنبياء:

(وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا)^(٦٧).

ولذلك أمر الله تعالى نبيه بالاستقامة والصبر والذين معه: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)^(٦٨).

(وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)^(٦٩).

إن معية الولاء والبراءة من أشق أنواع المعية، وتحتاج الى الصبر والثبات والاستقامة، والى قدم صدق في المعية. وما لم يصدق الإنسان في الولاء، وما لم يضع قدمه في موضع الثبات والصدق لا يستطيع أن يواصل هذه الحركة الشاقة على طريق ذات الشوكة.

يقول الله تعالى عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين صدقوا معه، وثبتوا في البلاء والبراءة (وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)^(٧٠).

هذه المعية ذات بعدين: الولاء والبراءة، رحماء بينهم وأشداء على الكفار.

ويقول تعالى عن الذين ثبتوا في موضع الصدق مع الأنبياء: (وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)^(٧١).

(٦٥) التوبة: ١١٩ .

(٦٦) النساء: ٦١ .

(٦٧) القصص: ٥٧ .

(٦٨) هود: ١١٢ .

(٦٩) الكهف: ٢٨ .

(٧٠) الفتح: ٢٩ .

(٧١) آل عمران: ١٤٦ .

إنّ معية الولاء تتطلب صبراً وثباتاً وصدقاً في الموقف، وهو أمر عزيز، وصعب، والولاء والبراءة يُعدّان الإنسان لهذه المعية الصامدة، ويستنزلان من عند الله القوة والثبات والصدق على صاحبهما.

في زيارة عاشوراء

«فأسأل الله أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة وأن يثبت لي عندكم قدم صدق في الدنيا والآخرة».

والمعية في الدنيا في ظروف البأساء والضراء تستتبع بالضرورة المعية في الآخرة، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والثانية نتيجة للأولى.
(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)^(٧٢).

المقام المحمود

ورد في زيارة عاشوراء :

«وأسأله أن يبلغني المقام المحمود الذي لكم عند الله».

والمقام المحمود هو الدرجة العليا التي لا تضاهيها درجة، وفيها يستحق الإنسان الحمد والثناء من الجميع من غير استثناء، وينتفي عنه الذم بشكل مطلق، وهو من المقامات الآخرة الرفيعة.

وقد ورد ذكر ذلك في سورة الإسراء فيما يرزق الله تعالى المتجهدين من عباده في الليل:

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)^(٧٣).

وقد فسر المفسرون المقام المحمود بذلك^(٧٤).

كما فسروا المقام المحمود بمقام الشفاعة^(٧٥).

و(المقام المحمود) من مقامات أهل البيت (عليهم السلام) عند الله .

وبالولاء والبراءة يعرج الإنسان الى هذا المقام الرفيع المحمود عند الله الذي حباهم الله تعالى به.

ومعراج الإنسان المؤمن الى هذا المقام: الولاء والبراءة، والتهدج في آناء الليل.

الاخلاص لله في المحيا والممات

(٧٢) آل عمران: ٥٣ .

(٧٣) الإسراء: ٧٩ .

(٧٤) راجع تفسير الميزان: ١٧٦/١٣ .

(٧٥) المصدر السابق.

إن محيي آل محمد(عليهم السلام) ومماتهم، أفضل المحيي وأفضل الممات، فإنّ محياهم ومماتهم من أظهر مصاديق قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٧٦).

وهو لاء(عليهم السلام) قد أخلصوا الله محياهم ومماتهم، وليس فقط صلاتهم ونسكهم. وفي زيارة عاشوراء، في أجواء الولاء والبراءة نسأل الله تعالى أن يجعل محيانا محيا محمد وآل محمد(صلى الله عليه وآله)، ومماتنا ممات محمد وآل محمد(صلى الله عليه وآله) وهو أفضل حياة وممات.

والمنزل الذي يعرج منه الإنسان الى هذه الدرجة الرفيعة، ليخلص الله حياته ومماته كلهما، هو الولاء والبراءة؛ لأن الإنسان إذا جعل ولاءه كله لله وبراءته كلها في الله تعالى، فقد جعل حياته ومماته كلها في سبيل الله، وأخلص الله تعالى في كل حياته ومماته.

ولا غرو، فإن الحياة والممات كلهما ولاء وبراءة، لمن يعرف مغزى الولاء والبراءة، فمن كانت حياته ومماته كلهما ولاء وبراءة، فحياته ومماته كلها لله تعالى.

وهذه الحياة والممات هي محيا محمد وآل محمد، وممات محمد وآل محمد.

جاء في زيارة عاشوراء:

«اللهم اجعلني في مقامي هذا ممن تناله منك صلوات ورحمة... اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد ومماتي ممات محمد وآل محمد».

الأجر والثواب اللامحدود من عند الله

الولاء والبراءة من منازل الابتلاء والصبر، فإن الإنسان إذا صدق في الولاء والبراءة، ولم يجامل، ولم يدار أحداً فيهما، وصحَّ عزمه، وصدقت نيته فيهما اجتمعت عليه أسباب الابتلاء والامتحان، وابتلاه الله تعالى وامتحنه بصنوف البلاء والمحن، ولم يخرج من محنة حتى يدخل في أخرى، وأصدق الكلام كلام الله، فاستمع إليه سبحانه، في محكم كتابه:

(الم* أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)^(٧٧).

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ. أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)^(٧٨).

(٧٦) الأنعام: ١٦٢.

(٧٧) العنكبوت: ١ - ٣.

(٧٨) البقرة: ٢١٤.

(وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) (٧٩).

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (٨٠).

والابتلاء والامتحان من منازل الأجر والرحمة في حياة الإنسان. وأعظم هذه الابتلاءات والمحن ما ينزل على المؤمنين من المصائب في أنفسهم وأهلهم وأموالهم في سبيل الله.

وهي من أعظم منازل الرحمة ومعارض الكرامة عند الله، ولا يمكن أن يخلو الولاء والبراءة من الابتلاء، إذا صدق الإنسان في الولاء والبراءة، وثبت عندهما، ولم يداهن، ولم يجامل، ولم يتنازل، ولم يتراجع، ولم يضعف، ولم ييأس.

والابتلاء والامتحان وما يصيب الإنسان فيهما من المصائب، إذا ثبت وصبر من أعظم منازل الرحمة.

وصدق الله تعالى حيث يقول: (وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالنَّفْسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (٨١).

ونحن قد حباننا الله تعالى بهذا الابتلاء والمصائب من أجل أهل بيت نبيه وبهم مرتين، أصابتنا المصائب فيهم مرة، وبهم مرة أخرى.

وقد تحملنا فيهم ومن أجلهم ألواناً من الابتلاء والعذاب والافتتان، وأصبنا فيهم بصنوف من المصائب، كما أصبنا بهم وفجعنا بهم، والحمد لله على هذا وذاك.

ونرجو أن يرزقنا الله تعالى بما أصبنا فيهم وما أصبنا بهم من المصائب، أفضل ما يرزق مُصاباً بمصيبته.

نقرأ في زيارة عاشوراء:

«وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّانِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يَعْطِيَنِي بِمِصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يَعْطِي مِصَاباً بِمِصَابِيته... مُصِيبَةً مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رِزِيَّتَهَا فِي الْإِسْلَامِ».

وعسى أن يرزقنا الله بمُصابنا فيهم وبهم، أجراً وجزاءً من غير حساب.

(إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٨٢). والأجر والجزاء في الصبر يأتي من عند

الله بغير حساب.

(٧٩) آل عمران: ١٤٠ - ١٤١.

(٨٠) التوبة: ١٦.

(٨١) البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

(٨٢) الزمر: ١٠.

والمصائب من أعظم منازل الرحمة، ومعارض الكرامة والقرب الى الله، ويجد الإنسان في المصائب من استجابة الدعاء ونزول الرحمة من عند الله، ما لا يجده في غيرها.

ولذلك يتكرّر الدعاء في زيارة عاشوراء كلما تكرر ذكر مصيبة الحسين(عليه السلام) فجيئتنا به(عليه السلام): «مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام، وفي جميع السماوات والأرض... اللهم اجعلني في مقامي هذا ممن تناله منك صلوات ورحمة ومغفرة».

وهذه الصلوات والرحمة التي ورد ذكرها في هذا النص من زيارة عاشوراء، هي ما وعد الله تعالى عباده الذين يتلقون المصائب بالصبر، ويقولون كلما نزلت بهم مصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون، في مواضع التسليم لأمر الله وقضائه.

يقول تعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)^(٨٣).

والصلاة من عند الله هي الرحمة النازلة، ومن العباد طلب الرحمة من الله. وهذه الرحمة هي الرحمة الخاصة التي تخص الصابرين والصالحين من عباد الله.

ورحمة الله تعالى على نحوين عامة وخاصة. والعامة هي التي تعم الكون جمعاً: الإنسان والحيوان والنبات والجماد (ورحمتي وسعت كل شيء)^(٨٤) (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً)^(٨٥)، وهذه هي الرحمة العامة، وهي الرحمة المقصودة من كلمة (الرحمن).

والخاصة هي التي تخص المؤمنين كقوله تعالى: (أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)^(٨٦).

ونحو قوله تعالى: (وَفُضِّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا* دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)^(٨٧).

وهذه الرحمة، هي الرحمة المقصودة من كلمة (الرحيم) وهي خاصة بالمؤمنين من عباد الله.

والمقصود بالصلاة في هذه الآية هي الرحمة الخاصة، وهذا التفريق بين الرحمتين: الرحمة الرحمانية، والرحمة الرحيمية، ورد في كلمات أهل البيت(عليهم السلام).

(٨٣) البقرة: ١٥٦ - ١٥٧ .

(٨٤) الأعراف: ١٥٦ .

(٨٥) غافر: ٧ .

(٨٦) البقرة: ٢١٨ .

(٨٧) النساء: ٩٥ - ٩٦ .

روي عن الإمام الصادق(عليه السلام): «الرحمن اسم خاص لصفة عامة، والرحيم اسم عام لصفة خاصة».

يقصد بذلك ان الرحمن اسم خاص يخص الله تعالى، ولا يجوز تسمية عباده بهذا الاسم، ولكنها تعم المؤمن وغير المؤمن، بل تعم الكون كله، الإنسان والحيوان والنبات والجماد، والرحيم اسم عام، لا يخص الله تعالى، ويطلق على الله كما يطلق على عباده، ولكن الرحمة في هذه الكلمة تحصُّ الرحمة النازلة على المؤمنين من عباد الله فقط.

ولا يسع المقام أكثر من هذه الإشارة.

مرقاة القرب الى الله

إن الولاء والبراءة من أفضل المراقي الى الله. وللناس الى الله مراقي ومعارج وسبل ووسائل، ولكن أفضل هذه المراقي والمعارج هو الولاء والبراءة، فليس بشيء من هذه المراقي والسبل التي تقرّب الإنسان الى الله، يكلف الإنسان من الجهد، ويحمل الإنسان من العذاب والاضطهاد، ويتطلب منه من الاخلاص والانفاق في سبيل الله ما يتطلبه الولاء والبراءة، فهما أفضل مرقاة للإنسان الى الله تعالى، يرقى الإنسان عليهما الى الله، ويكسب بهما مرضاة الله.

والتقرب الى الله تعالى هي غاية كل حركة وكلمة وموقف في حياة الإنسان.

وها نحن نقرأ هذه الحقيقة في نص زيارة عاشوراء:

«اللهم أني أتقرب اليك في هذا اليوم، وفي موقفي هذا، وأيام حياتي بالبراءة منهم، واللعنة عليهم، وبالموالة لنيبك وآل نبيك عليهم السلام».

وهذه الفقرة من النص واضحة فيما قلنا فنحن نتخذ البراءة من أعدائهم والولاء لهم وسيلة وذريعة للتقرب الى الله، ونتقرب إليه عزّ شأنه بالولاء لهم، والبراءة من أعدائهم.. وهما من أفضل ما نتقرب به الى الله.

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الإمام الحسين (عليه السلام)

عطاء مستمر في حياة الأمة وعزتها

الشيخ محمود محمدي عراقي

الإمام الحسين (عليه السلام) عطاء مستمر في حياة الأمة وعزتها

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحبّ حسيناً». وقال الإمام الحسين (عليه السلام): «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً».

شهدت المسيرة التكاملية للإنسانية تألؤ نجوم عظيمة ملأت التاريخ الإنساني نوراً أزلياً، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) أحد هذه النجوم المضيئة، كيف لا وهو الثمرة اليانعة للكوثر العلوي الفياض وهو خامس أصحاب الكساء رضوان الله عليهم أجمعين؟

في هذا العام الذي أطلق عليه عام العزة والفخر الحسيني ينبغي أن نقتبس من هذا الإمام الشهيد دروس الشجاعة والتضحية والفداء والإيثار وستبقى البشرية تفخر بسيد الشهداء وأبي الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) عبر التاريخ.

إن مدرسة أهل البيت أثبتت طوال التاريخ عظمتها وغازتها العلمية والفكرية وتسخيرها لعلومها ومنهجها الفكري والنهضوي لخدمة الإنسانية جمعاء.

إن حياة الإمام الحسين (عليه السلام) وخصائصه الأخلاقية والعلمية والجهادية والسياسية والاجتماعية تعتبر المثل الأعلى للإنسانية عبر التاريخ والثائرون، وستبقى عاشوراء وكربلاء مناراً يقتدي به الأحرار والثائرين في كل مكان وزمان.

أيها السادة الحاضرون:

إن الثورة الحسينية رسخت معاني الإنسانية الحقة وأحيت دين الله وبعثت في الأمة الإسلامية روحاً جديدة لأنها تضمنت تقديم القرابين الغالية على مذبح الحرية والفداء حيث ضحى الحسين الشهيد بنفسه الغالية وأبنائه وأهل بيته وأصحابه من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله في الأرض.

إن دماء الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته الأطهار وأصحابه الأوفياء خلّدت الشريعة المحمدية الحقة، وصانته الرسالة الإسلامية من الانحراف وهو القائل: «إن

كان دين محمد لا يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني».

إن حب الإمام الحسين (عليه السلام) لله وذوبانه في هذا الحب الإلهي فاق كل أنواع الحب لأنه جسد المعنى الحقيقي للحب الأزلي الخالد المضمخ بالدم النقي الطاهر الذي سَفَكَ في كربلاء التضحية والشهادة.

إن الثورة الإسلامية في إيران التي قادها وفجرها الإمام الخميني (رضوان الله عليه) تعتبر نموذجاً بارزاً للنهضة الإسلامية المقدسة وهي تواصل طريقها اليوم بكل قوة ورسوخ بقيادة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي الذي يقود الشعب الإيراني المسلم نحو السمو والرفعة والتقدم.

وختاماً أتمنى للسادة والسيدات المشاركين في هذا المؤتمر الموقر كل التوفيق والنجاح في أعمالهم، وأشكركم لتلبيتكم دعوتنا لحضور هذا التجمع الإسلامي الكبير مجدددين العهد مع سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) على مواصلة طريقه الشائك ونحن نواجه التحديات الكبيرة المفروضة علينا من قبل الاستكبار العالمي والصهيونية الخبيثة، كما نشكر سورية الشقيقة قائداً وحكومة وشعباً على إتاحة فرصة عقد هذا المؤتمر على أرض دمشق الفيحاء داعياً الله جلّ وعلا أن يحفظ الأمة الإسلامية من كل سوء إنه سميع مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

عاشوراء

وثقافة الشهادة

الشيخ نعيم قاسم

نائب الأمين العام لحزب الله لبنان

عاشوراء وثقافة الشهادة

في مؤتمر الإمام الحسين (عليه السلام)

عطاء مستمر في حياة الأمة وعزتها". المنعقد في دمشق بدعوة من المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) ورابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية وسفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق ومستشاريتها الثقافية في ٢٦ نيسان ٢٠٠٣م الموافق ٢٣ صفر ١٤٢٤هـ.
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الطيبين الطاهرين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١ - الشهادة والنصر متلازمان

عندما رسم الله تعالى صورة المقايضة مع المؤمنين، منحهم الجنة مقابل أقصى العطاء بقاء الذات في سبيل الله تعالى وذلك ببذل المال والنفس، ولم يقتصر على الجزء أو البعض وذلك تعبيراً عن المستوى الذي يريده للمؤمنين، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي النَّوَرَةِ وَالْإِجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (٨٨).

وهو المستوى الذي يقف جنباً إلى جنب مع النصر المادي على الأعداء؛ لأن الشهادة نصر على الذات وغلبة على متاع الحياة الدنيا الزائل، وهذا ما يؤدي بالمؤمنين أن يكونوا في موقع النصر الدائم بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) (٨٩).

ولا يمكن للمؤمن إلا أن يكون منتصراً بتحقيقه للأهداف الإلهية في حياته، وصبره للوصول إليها، وتحمله للتضحيات كافة التي توصله إلى السعادة الأبدية في مسار دنيوي شاق لمسار أخروي مريح.

فالشهادة لم تكن يوماً أمراً طارئاً في تعاليم الإسلام، بل كانت دائماً جزءاً أساسياً من تربية وسلوك يستهدفان الوصول إلى إقامة الدين في النفس والمجتمع، وهي المسار الذي أدى إلى انتصار المسلمين في بدر والخندق وغيرهما على صعيد الأمة،

(٨٨) التوبة: ١١١.

(٨٩) التوبة: ٥٢.

والذي أدى إلى انتصار الأفراد في ثباتهم على الخط الإسلامي الأصيل كما فعل الإمام علي(عليه السلام) والإمام الحسين(عليه السلام) وياسر وسمية وحجر بن عدي وغيرهم.

فلا يمكن النظر إلى الشهادة كاستثناء في حياة الأمة، وإنما تكون كذلك عندما تتقاعس الأمة عن القيام بواجباتها ومسؤولياتها، وعندما يدب الضعف فيها بإقبالها على الدنيا وزينتها، ما يؤدي إلى إصابتها بالوهن المتمثل بحب الدنيا وكراهية الموت.

كما لا يمكن فهم الشهادة كموت وفناء، وإنما هي حياة للأمة في مواجهة الأخطار المحدقة بها، فلا يمكن التعامل مع الحياة على أساس استقامة أداء الناس فيها، إذ أن المواجهة قائمة بشكل دائم بين الحق والباطل، بين الخير والشر، وهنا تقع الأمة أمام أحد خيارين: «إمّا الذلّ وإمّا العز، وعليها أن تختار بينهما لتعيش حياتها العزيزة الكريمة، فلا قيمة للحياة مع الذلّ والقهر والهوان والاستعباد، فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين»^(٩٠)، «وموت في عز خير من حياة في ذل»^(٩١).

٢- النموذج الفعّال

لقد شكلت شهادة الإمام الحسين(عليه السلام) نموذجاً مضيئاً للأجيال، ونقطة نوعية في مسار الأمة نحو الصلاح، وتعبئة روحية بالغة التأثير للتفاني في سبيل الله تعالى، وهزة في كيان المسلمين أيقظتهم من سباتهم واستسلامهم للحاكم الظالم وأطروحتة الفاسدة. ولا يمكننا إحصاء الفوائد الكثيرة التي تحققت من عطاء عاشوراء، ولعلنا نجملها بالعبارة الموجزة والمعبرة التي قالها الإمام الخميني(قدس سره): «كل ما عندنا من عاشوراء».

إنها نموذج مميز في الشكل والأهداف والنتائج.

أمّا في الشكل: فالقائد إمام معصوم ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأحد سيدي شباب أهل الجنة، لم يخضع للمغريات ولم تنه عن عزمه حجم التضحيات، وقد قُتل معه خيرة أهل بيته وأصحابه قبل أن يستشهد وعلى مرأى ومعرفة مسبقة منه بذلك، وقُطع رأسه ورؤوس الشهداء وسببت النساء كأول ظاهرة من نوعها بين المسلمين، وكان قد خاض معركته في كربلاء على قلة الناصر والمعين.

(٩٠) نهج البلاغة، الخطبة ٥١.

(٩١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، قول للإمام الحسين(عليه السلام): ٢٢٤/٣.

أمّا في الأهداف فعلى رأسها الإصلاح في الأمة ليستقيم دينها وأداؤها «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله)»^(٩٢).

ولا تخفى الصعوبة في هذا المجال، لقلة الوعي في الأمة وخوفها من سلطة حاكمها وإقبالها على دنياها... وهنا يشكل الإصلاح منعطفاً يتوقف عليه مسار الأمة المستقبلية، فهو عمل تأسيسي جذري يتطلب حكمة ودقة متناهية.

ومن الأهداف أن تتحمل الأمة مسؤوليتها في التغيير، وأن تسقط الشرعية عن الحاكم الفاسد ولو حكم باسم الإسلام، وأن تتبلور القيادة الحقيقية والثلة المؤمنة المخلصة المؤهلة لحماية الإسلام والدفاع عنه.

أمّا في النتائج: فقد تبلور الخط الإسلامي المحمدي الأصيل وفق أداء ونموذج الإمام الحسين (عليه السلام)، وبدأ التمييز يأخذ مداه بين الإسلام والنفاق، بين الاستقامة والانحراف، وثبتت الأداء العاشورائي خط النهضة، وأحيت كربلاء تعاليم الجهاد، وشقت طريقها إلى العقول والنفوس لتؤثر أثرها في عطاء دائم ملهم للثوار والمجاهدين، وتحولت إلى مدرسة تجاوزت زمانها لتعيش في كل أزمنة المستقبل؛ وبهذا تكون عاشوراء قد انتقلت من الحدث إلى صانعة الأحداث، ومن الموقف إلى بانية المواقف، ومن عطاء الثلة المؤمنة إلى تربية أجيال الأمة.

«إذاً كان لا بدّ من هزة تحصل في الأمة لتوقظها من سباتها وغفلتها، لا بدّ من اندفاعة مدويّة تُسمعُ المدن والأطراف، لا بدّ من نهضة تضع الجميع أمام مسؤولياتهم، لا بدّ من موقف يشكل الحدّ الفاصل بين الاستقامة والانحراف، بين الأصالة والزيف، بين المعروف والمنكر. لقد مثلت كربلاء الشهادة كما حصلت بكل تفاصيلها وجزئياتها الحل الوحيد لتحقيق الهدف، وقد تحقق هذا الهدف، فالأمة استيقظت وأصبحت معالم الطريق واضحة، وتنقّت أطروحة الإسلام من زيف التطبيق المنحرف، وسجلت حيوية جديدة لمصلحة هذا الدين، فشكّلت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) خط الدفاع الضروري لاستمرارية الرسالة الإلهية، ما يجعلنا ندرك أبعاد موقعية الإمام الحسين (عليه السلام) في الحديث المشهور والمتفق عليه بين المسلمين: «حسين مني وأنا من حسين»^(٩٣).

٣ - الشهادة بناء واختيار

(٩٢) الفتوح لابن الأعمش: ٥ / ٣٣، مقتل الخوارزمي: ١ / ١٨٨.

(٩٣) كتاب «عاشوراء مدد وحياء» للشيخ نعيم قاسم: ٥٩.

استطاعت عاشوراء دفع الشهادة والجهاد إلى المقدمة، وأعدت لها مكانتها في التربية الإسلامية، وعممت ثقافة معاصرة ترجمتها المقاومة في إيران ولبنان وفلسطين وغيرها ضد المحتلين والظالمين. وهنا يجب التمييز بين الاستعداد للشهادة والإقدام عليها، فليس المقصود من ثقافة الشهادة في عاشوراء أن تنحصر حركة المؤمنين باتجاه السعي للشهادة، وإنما باتجاه توفر الاستعداد الكامل للتضحية بالنفس عندما يتطلب الموقف ذلك، وهنا تمثل الشهادة آخر خطوة بعد استنفاد كل الجهود، لتكون السلاح الأمضى في المواجهة مع عدم تكافؤ القوى، وهي نتيجة الدفاع المشروع عن الموقف وتحصين الهدف.

فالشهادة مع كونها أمنية القرب الأرقى من الله عزَّ وجل، لكنَّها مقيدة بالزمان والمكان المناسبين، وهي جزء من التكليف الشرعي بضوابطه، وتصبح واجبة عند انحصار الخيارات بها، كما حصل مع الإمام الحسين (عليه السلام) عندما قال: «إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً». فقد صبر الإمام الحسين (عليه السلام) مع أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) أثناء حياته عن ظلم معاوية، واستمر كذلك لعشر سنوات عندما استلم الإمامة بعد أخيه، ليكون بذلك قد استنفد الوسائل الأخرى التي تُبقي الأمة في مسارها الصحيح، وليتحرك في اللحظة التي يتطلب الخطر دفاعاً استشهادياً لتغيير المعادلة وإسقاط مشروعية الانحراف.

وبما أنَّ أمانة النفس الإنسانية عظيمة، فلا يمكن لأي إنسان أن يستهتر بها أو أن يتسرَّع في زجِّها في مواقع الخطر والموت، أو أن يتخذ قراره بالشهادة في كل حادثة أو صعوبة، فالعطاء النبيل للشهادة ثمرة الدفاع المشروع عن الإسلام في التوقيت والزمان المناسبين بقرار من القيادة الحكيمة المسؤولة. ولا تكون في أي حال من الأحوال يأساً واستقالة من الدور في الحياة مهما بلغت الآلام، وهذا ما يجعلها نقيضاً للانتحار. فالشهادة مبادرة اختيارية تحمل مقومات التأسيس لما بعدها ولا تنتهي بانتهاء حياة المُقبل عليها.

إنَّ الدرجة العليا للشهداء عند الله تعالى تجعل الشهادة في هذه الموقعية والأهمية، وتحفز المؤمنين للطموح إلى تحصيلها، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (٩٤).

وفي الحديث الشريف: «فوق كل ذي برٍّ برٌّ حتى يُقتل الرجل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ». وما رُوِيَ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله للإمام الحسين (عليه السلام): «إن لك في الجنان لدرجات لا تنالها إلا بالشهادة» (٩٥).

(٩٤) التوبة: ٢٠.

(٩٥) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٤٤ / ٣٢٨.

وفي خطبة السيدة زينب (عليها السلام) في مواجهة ابن زياد قالت: «فالحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة»^(٩٦).

إن الانتصار على النفس بالاستعداد للشهادة يختصر طريق الصراع مع النفس الأمانة بالسوء ليحولها إلى نفس مطمئنة، ويرقى بالإنسان إلى أعلى درجات الاستقامة، ويساعده في استيعاب دوره ومكانته في هذه الدنيا كمعبر إلى الآخرة. وبما أن الموت مرتبط بالأجل (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)^(٩٧)، فلن يخسر المؤمن شيئاً، وإنما يربح حسن الاختيار للوصول إلى أجله، فإذا لم تتحقق الشهادة له، تحقق مسارها والقبول بها والسعي لها ما يعطيه ثواب الشهداء.

٤- القوة البديلة

وتبرز أهمية الشهادة في كل مواقع المواجهة بين الحق والباطل، وفي مقابل الظلم والعدوان والاحتلال والفساد والطغيان، عندما لا تملك الأمة أو الأمة المخلصة فيها القدرة المادية والعسكرية لمواجهة الكثرة والقوة وإمكانات الأعداء المتنوعة. وهنا تقف الأمة أمام خيارين لا ثالث لهما: إمّا الاستسلام والقبول بالذل وتحمل نتائج الظلم وهذا يعني المزيد من الانحدار والتراجع وتراكم الخسائر التي تؤدي في نهاية المطاف إلى سقوط الأمة وربما إلى زوال وجودها أو قدرتها على النهوض.

وأمّا الرفض والسعي للتغيير ومواجهة الاحتلال والظلم، وهذا ما يتطلب إعداد العدة الملائمة وتوفير المقومات المناسبة في المعركة العسكرية، ومع قلة الإمكانيات وتفوق الأعداء يأتي سلاح الاستشهاد كحلّ وحيد لقلب المعادلة واحتمال التغيير، إذ لا يمكن للأعداء مواجهة هذا السلاح، فهو لا يُحاصر في المكان، ويحمل قابلية النمو والزيادة في الأمة مع قناعتها بحقها وفعاليتها، ولا يحتاج إلى موافقة من أحد في المعادلة السياسية بين الدول الكبرى، ويعالج خلل التوازن في الإمكانيات، فمع الاستعداد للشهادة يبطل مفعول القوة في التخويف بالقتل والموت مما يعطي قوة إضافية للمؤمنين ويربك العدو العاجز عن إخافتهم، ويقوي عامل الرفض في الأمة مما يجعلها عصية على مؤامرات وسلطة الأعداء والظالمين.

ولا نبالغ عندما نعطي هذه القيمة الكبيرة للاستشهاد، لأن التجارب الواقعية والمعاصرة قد أثبتت فعاليتها، فالمقاومة الإسلامية في لبنان تأسست اثر اجتياح إسرائيل للبنان عام (١٩٨٢م)، وبنيت عنوان حركتها التحريرية على قوة الاستشهاد، إذ لا تكافؤ في القوى بين المقاومة وإسرائيل، ولا إمكانية للحد الأدنى من التوازن،

(٩٦) بحار الأنوار: ١٣٥/٤٥.

(٩٧) الأعراف: ٣٤.

فبرز الاستشهاديون كعنوان وحيد للقيام بعمليات ضد جنود الاحتلال، حيث أربكوا حركتهم، وأوقعوا فيهم الخسائر، وقيدوا تنقلاتهم، وعطلوا لهم اجتياحين جويين عام (١٩٩٣ و ١٩٩٤م)، إلى أن تمّ التحرير للقسم الأكبر من لبنان في أيار سنة (٢٠٠٠م). ولولا الشهادة وما وألده من قوة معنوية ومادية، وما جذبه من تأييد وتزخيم لإعداد المجاهدين والمؤيدين، وما سببته من رعب في صفوف الصهاينة، لما أمكن التحرير وإعاقه المشروع الإسرائيلي، الأمريكي في لبنان والمنطقة.

أمّا الانتفاضة الفلسطينية فهي التوأم للمقاومة الإسلامية، وقد حملت لواء الاستشهاد وهي لا تملك أي قوة أخرى، فالفلسطينيون محاصرون سياسياً وعسكرياً، داخلياً ودولياً، ومستفردون من خلال أعنى مشروع استيطاني يهدد الوجود الفلسطيني من أساسه، وهم ينظرون إلى دولتهم تتآكل لأكثر من خمسين سنة، فماذا يصنعون أمام هذا التحدي الكبير؟ لقد اختاروا المقاومة ففضحوا مشروع الكيان الإسرائيلي، وأربكوا مخططاته، ووضعوه في دائرة عدم الاستقرار في كل شيء، وأوجدوا أملاً مستقبلياً بالتحرير واستعادة الحقوق.

ولولا فاعلية الاستشهاد، لما شنّ الأمريكيون حملة سياسية كبيرة ضده، وعمل الإسرائيليون ليستعينوا ببعض الفلسطينيين ليواجهوا الاستشهاديين نظراً لعجزهم عن تقييد آثار دمائهم ومفاعيل جهادهم.

إن المعركة مع الاستكبار طويلة ومعقدة، وما احتلال العراق إلا خطوة أولى على طريق احتلال المنطقة بأسرها، ومن أجل توفير الظروف لتوسع إسرائيلي على حساب الفلسطينيين تمهيداً لكيان غاصب ضمن حدود معترف بها دولياً، وبإدارة تملك من أسباب القوة والدعم الدوليين ما يساعدها على السيطرة السياسية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط. ولا توجد أي مؤشرات لقيام منافسة دولية تُحدث توازناً يساعد على التخفيف عتاً، ولا بديل عن أن ندافع عن أنفسنا وأولادنا وبلداننا بالجهاد والشهادة للتعويض عن نقص معادلة القوة لدينا، وإيجاد الفرصة والأمل بالتغيير والانتصار.

لقد علمتنا نهضة الإمام الحسين(عليه السلام) أن الشهادة حياة وقوة وعطاء وأمل ومستقبل، وأنها رصيد مختزن لدى الأمة حتى في أسوأ حالات ضعفها، وتشكل الفرصة الوحيدة للتغيير واستعادة الحقوق والحد من جبروت الطغاة. وقد خسرت أمتنا الكثير عندما تقاعست وتخلت عن الجهاد، ثم استعادت دورها وحياتها عندما استعادت الجهاد كما حصل في انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران على يد

الإمام الخميني(قدس سره)في مواجهة الشاه وإسقاطه، وكذلك بانتصار حزب الله في لبنان، وبالأمل الواعد بالانتفاضة المجاهدة في فلسطين.

ولم تعد ثقافة عاشوراء غريبة أو صعبة، فدروس الجهاد العملي التي أعطتها المجاهدون غدت الساحة بتجربة حيّة، وولدت آثاراً لمس نتائجها الجميع، وهنا يكمن دورنا في تعزيز هذه الثقافة لتجري في عروق حياتنا ومفرداتها اليومية. ومن ينظر إلى إحياء مجالس عاشوراء بهذا المنظار ويعمل لاستثمارها في هذا الاتجاه، يجدها تحمل من الزخم والقابلية ما يساعدها على تخريج قوافل المجاهدين الاستشهاديين؛ لأن قدرة النهضة الحسينية على التعبئة قد فاقت التوقعات، ولا تجاريتها أي قدرة أخرى، ومن الطبيعي أن نتلمس الآثار العظيمة التي أوجدها نهج الحسين(عليه السلام)، وما أنجزته عاشوراء من نهضة وتقدم وتجربة معاصرة شكّلت معلماً لكل الثوار والأحرار.

المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

كلمة وزير الأوقاف

في الجمهورية العربية السورية

الدكتور محمد زيادة

كلمة وزير الأوقاف في الجمهورية العربية السورية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين)

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

(الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)

أصحاب السماحة، والغبطة والفضيلة، أيها الأخوة والأخوات، أحييكم أطيب تحية، وأنتم تشاركون في حفل افتتاح «مؤتمر الإمام الحسين مظهر العزة والكرامة وعطاء مستمر في حياة الأمة» والذي تقيمه السفارة الإيرانية مشكورة مع المجمع العالمي لأهل البيت حيث عودتنا على إقامة مثل هذه اللقاءات الإيمانية في دمشق، عن تاريخنا الإسلامي الزاهي، فمن ندوة عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، الى الصحابي الجليل بلال رباح الحبشي، الى حوار الحضارات وغيرها، لأعلام كان لهم الأثر العظيم في ازدهار حضارتنا العربية والإسلامية.

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً عليه الصلاة والسلام، بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وحمل عبء هذه الرسالة السامية الى العالم أجمع، بما تحمله من معاني الخير، والمحبة والسلام مع النبي الكريم صاحبته الكرام، وآل بيته الأطهار أمثال: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي وغيرهم فكانوا مشعلاً وضياءً ونبراساً ساطعاً ينير درب المجد والاستقامة والصلاح، وأغنوا هذا التراث الحضاري، والثقافي لهذه الأمة بمعين ثر من القيم السامية والمثل العليا، سيبقى خالداً يرفد حاضرها ومستقبلها في رسم معالم طريقها نحو العزة والمجد والانتصار.

ومنهم الإمام الحسين بن علي (رضي الله عنه) مظهر العزة والكرامة والبطولة التي استقاها من جدّه رسول الإنسانية محمد عليه الصلاة والسلام، ووالده الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، باب مدينة العلم، وعلم الحكم والقضاء والمناضل من أجل وحدة المسلمين.. ووالدته النقية الطاهرة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وسيستعرض هذا المؤتمر في ذكرى الأربعين لاستشهاد فضله، وسمو أخلاقه، وصفاته الطيبة ومواقفه التاريخية والشجاعة والتي تعتبر أنموذجاً صافياً لكل مؤمن، وانعكاساً للتربية المثلى التي تلقاها لتستلهم منه الأجيال مظاهر العزة والكرامة.. والقيم السامية..

لقد كان الإسلام أول نظام عالمي يستوعب تحت مظلته الواسعة شعوب الأرض كلها على اختلاف أجناسها، ولغاتها، وألوانها؛ حيث سارت رسالة الإسلام تضيء في تعاليمها شتى الجوانب الإنسانية، وتزيدها عمقاً واتساعاً وشمولاً، وتنفض عن الجوهر الإنساني ما علق به من ركام الجاهلية مما امتهن إنسانية الإنسان، وأوقع الحيف عليها، وألحق الظلم الفادح بها فأرست قواعد العدل، وحماية سيادة الحق، لأن من أهم ما يحمي كرامة الفرد، ويصون إحساسه، أنه في منجى من أي ظلم، وفي حصانة من أي حيف، فكل إنسان يتطلع الى عالم تسوده العدالة، وحياة لا تخدش كرامته فيها، ولا تمس أرضه، وحقوقه ومقدساته بسوء أو اعتداء.

إن المجتمعات الإسلامية تُحارب بشكل عنيف لئلا تتقدم بشكل سليم في شتى مجالات الحياة، لتبقى فرقاَ تعالج الجراح، وأفراداً تلهث للبحث عن لقمة الرمق، ولتبقى عاجزة عن حمل راية الإسلام والإيمان الذي يخيف مناصري الظلم والاستعباد والضلال، وإزاء ذلك يجب على المفكر الإسلامي أن يقف موقفاً واعياً ومسؤولاً، وحذراً من المتغيرات العصرية، وفهم مراميها ومقاصدها، وتصور مدى تأثيرها على مستقبلنا وقيمنا وثقافتنا وحضارتنا.

وإن نظرة متأنية لما يجري في العالم اليوم، وفي المنطقة بشكل خاص يرينا مدى الأخطار المحدقة بالعالم العربي والإسلامي، ففي الوقت الراهن متغيرات كثيرة، ومتسارعة تجري بتخطيط ماهر وخبيث في شتى الأصعدة السياسية والاقتصادية والأمنية ترمي الى تشويه صورة الإسلام، وزعزعة الثقة بتعاليمه الإنسانية السمحة، التي تدعو الى المحبة والتسامح والتعاون والسلام، كذلك ترمي الى نهب الثروات والخيرات، للشعوب المكافحة، وبسط السيطرة والنفوذ عليهم، وطمس معالم حضارتهم وتاريخهم وثقافتهم، ومن أجل ذلك لا بد من وحدة الصف، وحشد الطاقات والإمكانات، ونبذ كل أسباب الفرقة والاختلاف بين العرب والمسلمين من أجل إرساء أسس الإيمان والحق، وهنا لا بد من أن تتعدد مذاهبهم في العبادات، وفي بعض الفروع والجزئيات، وهي أمور لا تضر.

وينبغي أن لا تؤدي الى أية فرقة وانقسام، وإثما المهم أن تكون الوحدة فاعلة ومؤثرة، تحدد القواعد والأسس في المواجهة الحضارية التي بدونها لن ينهض العرب والمسلمون، ليحققوا أهدافهم ويعيدوا أرضهم ومقدساتهم ويطردوا المحتل من أرضهم وأوطانهم.

إننا في سورية نسير على نهج القائد الخالد حافظ الأسد طيب الله ثراه، ويقود مسيرة أمتنا نحو أفاق العزة والمجد، في منهج التحديث والتطوير والإصلاح سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية، ساعياً مخلصاً للتضامن العربي والإسلامي،

محافظاً على القيم الروحية والدينية، يشجع العلم والعلماء والبحث العلمي، ومؤكداً حوار الحضارات، والتقريب بين المذاهب، مرسخاً للوحدة الوطنية الرائدة التي ننعم بها في هذا الوطن مسلمين ومسيحيين.. داعماً لنضال اخوتنا في الأراضي العربية المحتلة وهم يتصدون بكل جرأة وشجاعة للعدو الصهيوني الغادر الذي استهتر بالشرائع السماوية، وبالقوانين الدولية وبحقوق الإنسان، ويكسب أسلحة الدمار الشامل يهدد بها أمن المنطقة.. واستقرارها.

وسيادته يسعى مع أشقائه العرب والمسلمين، والمنصفين في العالم للحفاظ على وحدة العراق، وصيانة أمنه واستقلاله، والحفاظ على ثرواته، وتراثه الحضاري الهام، وضرورة إنهاء الاحتلال عن أرض العراق. فسورية بقيادة رئيسها تنطلق من مبادئها الثابتة، من أجل مصلحة الأمة العربية والإسلامية، وملتزمة بقرارات الشرعية الدولية، وقانون الأمم المتحدة.

متمنياً للعلاقات الأخوية والتميزة التي تربط بين الشعبين في سورية وإيران والتي يرعاهما الرئيسان العظيمان بشار الأسد، ومحمد خاتمي كل تقدم وتطور في كافة مجالات الحياة، ضارعين الى الله تعالى أن يوحد صفوف العرب والمسلمين وأن يجنب أمتنا خطر الأعداء، والحروب والكوارث، وأن يسود العدل والسلام في المنطقة وفي العالم أجمع.

وأخيراً نتمنى لمؤتمركم كل نجاح وتوفيق في إظهار صفات الإمام الحسين(رضي الله عنه) مظهر العزة والكرامة والإباء، ليكون قدوة حسنة ومثلاً أعلى نستلهم منه العبر، والعظات والدروس في معترك هذه الحياة الصعبة...

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون...)

السيدة زينب

ومواجهة السلطة المستبدة

د. ماجدة حمود

السيدة زينب ومواجهة السلطة المستبدة

يتساءل المرء أحياناً، ألا نشارك الغربيين في تشويه صورة المرأة المسلمة، حين نحصرها في إطار واحد، ألا نشاركهم في هذا التشويه حين نرسم صورتها مجللة بالدموع والنواح ألا يدل ذلك على جهلنا بديننا وبتراثنا؟
ألا نسهم في تشويه صورتنا حين ننزّه أنفسنا عن الخطأ والجهل؟ ألسنا مسؤولين عن تغيير صورتنا المشوهة؟

أعتقد أن مسؤوليتنا هذه تتجلى أولاً في ممارسة النقد الذاتي، كي ننهض من ظلام دام طويلاً، لم نر فيه سوى الكوارث! لهذا لا بد من قراءة جديدة لتراثنا تسهم في تطور وعينا.

لنتأمل صورة السيدة زينب (عليه السلام) التي كونتها مخيلة أجيال كثيرة من الماضي إلى الحاضر، إنها صورة (أم المصائب) التي تبكي وتنوح على أحببها الذين استشهدوا في كربلاء، كأننا نغيّب صورتها الحقيقة، التي بدت لنا من خلال خطبها ومواقفها في الكوفة وفي دمشق، وبذلك عاشت في ذاكرتنا صورة المرأة الضعيفة الباكية وضاعت صورة المرأة القوية، التي تقف في وجه السلطة المستبدة!
إننا حين نقرأ خطب (السيدة زينب) نكتشف سراً من أسرار عظمتها، فقد أسرعت - رغم الأسر والحزن - إلى الدفاع عن حياة الأسرى وكرامتهم! فواجهت السلطة المستبدة (عبيد الله بن زياد في الكوفة، والخليفة يزيد بن معاوية في دمشق) مبينة للرأي العام الذي ضلّته السلطة الأموية عدالة القضية التي استشهد أخوها من أجلها، فكسرت بذلك الإطار التقليدي الذي نضع فيه المرأة عادة: الضعف والعجز والدموع والنواح والعيويل.

ما الأسباب التي جعلت من السيدة زينب امرأة متميزة؟
أعتقد أن العامل الأساسي في تكوين شخصية السيدة زينب أنها تلقت تربية إسلامية صحيحة، فهي حفيذة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقد فتحت عينيها على الإيمان الحقيقي الذي يورث الكرامة والثقة بالنفس عملاً بقوله تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).

اعتنى والدها بتعليمها وتفقيها في الدين، مما منحها استقلالاً في الرأي؛ لذلك رفضت نصيحة عبد الله بن عباس للإمام بألا يحمل معه النساء قائلة: نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى لنا الزمان غيره؟

وبذلك كان خياراً المشاركة في الثورة الحسينية لدى المرأة المسلمة خياراً حراً لم يلزمها به زوج أو أخ، وإنما أملاه عليها وعلها وإحساسها بعدالة القضية! وقد ساندتها أخوها الحسين (عليه السلام) حين لم يصغ إلى النصيحة التي تدعوه إلى إبقاء النساء والأطفال في المدينة، فهو يحملها مسؤولية المشاركة في مقاومة الظلم، ويسند إليها مهمة إعلامية، تبيّن للناس عدالة القضية التي استشهد الإمام من أجلها، بالإضافة إلى رعاية المصابين والأطفال.

امتلكت السيدة زينب ما يؤهلها للقيام بهذا الدور الإعلامي، فهي أكبر الأسرى سناً، وأكثرهم نضجاً وتفهماً، وقد ساعدتها بلاغتها التي ورثتها عن أبيها على تأدية هذا الدور خير أداء.

ولا ننسى دور أبيها (كرم الله وجهه) في تكوين شخصيتها؛ فقد جسّد لها المثل الأعلى في مواجهة المحن بالإيمان والصبر والعمل، لهذا لن نستغرب قولها أمام جسد الحسين (عليه السلام) المثخن بالجراح "اللهم تقبل منا هذا القربان." فهي رغم كونها في قمة الانفعال والحزن لم تنسَ الصبر الذي هو الوجه الآخر للإيمان، فبدا بكاؤها أشبه بدعاء إلى الله أن يتقبل أحب الناس إليها شهيداً في سبيله.

مجلس الوالي عبيد الله بن زياد

تجلّت المهمة الإعلامية للسيدة (زينب) في نشر فكر الثورة الحسينية، والدفاع عن حياة الأسرى، وذلك حين أراد الوالي عبيد الله بن زياد قتل الإمام (زين العابدين) نجدها تقول: حسبك يا ابن زياد من دماننا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً غير هذا؟ فإن أردت قتله فاقتلني معه. فاضطر للتراجع وهو يقول: "دعوه لها، يا للرحم ودّت أنها تقتل معه.

فقد أدركت أهمية حماية آخر من تبقى من ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) لذلك حمت الإمام بروحها وبلسانها حين ذكّرت الوالي بما سفكه من دماء أهلها حتى لم يبق لها سوى الفتى المريض.

مجلس يزيد في دمشق

لم تكتفِ بحماية حياة الأسرى بل حمت كرامتهم أيضاً، فحين طلب رجل من أهل الشام من الخليفة يزيد، أن يهبه فاطمة بنت الإمام الحسين، أسرعت السيدة زينب تقول له ولزيد: «كذبت ولو مت ما ذلك لك ولا لأميرك». فرد يزيد منفعلاً: كذبت والله، إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت.

فردت عليه رداً ملجماً أصاب مقتلاً: «كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا».

هنا ترد عليه رداً من الفقه الإسلامي، إذ لا يحق لمسلم أن يسبي مسلمة، فتدل على جهل يزيد بأحكام الإسلام وهو يدّعي أنه خليفة المسلمين! كما تدل على أن آل البيت هم الأصل في الأمور الدينية: «تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا».

لهذا ردّ عليها مستفزاً: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك! عندئذ أعلنت مكانتها ومكانة الشهداء والأسرى أمام جميع من في المجلس الذين يجهلون هذه المكانة، فقد أشاع يزيد أن الأسرى من الخوارج، لذلك تقول: «بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلماً!! مبرزة المسافة الشاسعة بين يزيد وأحفاد الرسول الذين حملوا رسالة الإسلام لهداية العالم جميعاً، ومن بينهم يزيد، وهي تشكك في دينه وتسخر منه فنقول: إن كنت مسلماً! وحين شتمها، لم تهب سلطته، بل ردّت عليه واصفة حقيقته: «أنت أمير مسلط، تشتم ظالماً، وتقهر بسطائك!» وبذلك حمت بعلمها وفصاحتها أعراض النساء كما حمت حياة الأطفال والمرضى، ولم تكتفِ بالدفاع بل وجدناها تفضح السلطة المستبدة التي تصفها بالظلم والجهل.

ولعل أقسى مشهد عليها حين وضع رأس الحسين (عليه السلام) وبدأ الخليفة ينكت ثغره مردداً شعر عبد الله الزبيري في يوم أحد متباهياً بالنصر على المسلمين والثأر لقتلى الكفار في بدر.

رغم مشاعر القهر والألم التي تغمرها، نجدها تواجه السلطة الظالمة بخطبة تستهلها بسلاح لا يردّ، أي بخطاب قرآني يظهر عاقبة المسيئين (ثم كان عاقبة الذين أسأفوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون)^(٩٨).

لم تكتفِ السيدة زينب وهي في أسر السلطة بالتلميح حتى لا يظن الحاكم أو السامع أنها تخاف التصريح، لذلك نجدها تخاطب السلطة الظالمة باسمها قائلة: «أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هوانا...».

ينبع هذا الموقف الشجاع للمرأة المسلمة من إيمان عميق بأن الحكم لله وحده، لهذا لن تخاف أي حاكم مهما كان ظالماً؛ فقد امتلأت نفسها بالعزّة والكرامة، عندئذ استطاعت أن تواجه الحاكم المنتصر مواجهة الإنسان الحر لا الأسير، لذا وصفت حالة آل البيت (عليه السلام) حين جاء بهم يزيد بقولها: «نساق كالأسرى!» ولم تقل نساق أسرى! فهم أحرار رغم القيود، بفضل قوتهم الداخلية التي يستمدونها من إيمانهم بالله تعالى!

لهذا لن نستغرب أن تجرّد الحاكم من أي لقب يبجلّه الناس به عادة، وتخطبه باسمه (يا يزيد) فتعبّر عن عدم احترامها له، وحين تلقبه تختار لقب (ابن الطلقاء) كي تذكّر بماضي أسرته في محاربة الإسلام، وأنها بقيت على قيد الحياة بفضل رحمة النبي (صلى الله عليه وآله) حين قال لهم: «أذهبوا فأنتم الطلقاء» كأنها بطريقة غير مباشرة تقارن بين رحمة الرسول وظلم يزيد، لهذا تخاطبه: «أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبايا... وكيف ترتجي مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأذكياء ونبت لحمه بدماء الشهداء؟...» .

بهذه الصورة المؤثرة لخصت لنا العلاقة بين أسرة يزيد الأموية وآل الرسول: ليس غريباً أن تفقد ضميرك فأنت ابن أسرة اعتادت أن تتغذى بدماء الشهداء من آل الرسول! فالحقد لدى أسرتك يتوارثه الأبناء عن الآباء! «وكيف يستبطن في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأتم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحاً *** ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله ومكان مقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنكتها بقضيبك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإرافتك دماء ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونجوم الأرض من آل عبد المطلب... وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم، فلتردنّ وشيكاً مورد هم... ولتودنّ أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت».

في هذه الخطبة تأخذ بثأرها من الحاكم الظالم فتبرز على الملأ إثم أقواله الشامتة، حين افتخر بأشعار الكفار يوم أحد، كما تبرز إثم أفعاله، حين عبث بقضيبه في مكان قبلة الرسول في ثغر الحسين (عليه السلام) فكأنها تذكّر الحضور بعظم الجريمة التي ارتكبتها هذا الحاكم في حق أبناء الرسول! عندئذ تحوّل نصره إلى هزيمة، خاصة حين تتنبأ له بمصير أشياخه (قتلى بدر) الذين يفخر بهم.

وهي حين تلجأ إلى الدعاء على يزيد، لا نجدتها تدعو عليه بطريقة مألوفة، بل تحاول عبر الدعاء فضح جريمته كي ترسخ في الأذهان، فتقول: «اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا».

فأعلنت بذلك حقيقة الإثم الذي اقترفه الحاكم المستبد، فقد اغتصب حق آل البيت وظلمهم، وتمادى حتى سفك دماءهم، وبياتت بنات الرسول دون حماية؛ لذلك تعلن أمام الجميع بشاعة هذه الجريمة من منظور القيم الدينية (قتل أبناء الرسول) ومن منظور القيم الدنيوية التي يعتز بها العرب (قتل الأمويون أقرباءهم) فنجدها تقول: «فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حرزت إلا لحمك».

إنها لا تبالي بالعقاب رغم إدراكها لهول ما تقول (حين تعلن ظلم الحاكم المستبد وكفره) «ولئن جرّت علي الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك...ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء،..ولئن اتخذتنا مغنماً لتجددنا وشيكاً مغرماً حيث لا تجد إلا ما قدمت يدك وما ربك بظلام للعبيد فإلى الله المشتكى وعليه الموعول».

لا تجد لتجسيد هذه الفاجعة التي لا يحتملها العقل سوى لغة المتناقضات؛ لذا تتعجب من معركة قُتل فيها أنصار الله على يد أنصار الشيطان! لكنها سرعان ما تذكر الخليفة بأن الربح الدنيوي سيتحول إلى خسارة في الآخرة!

إن إيمانها العميق أمدها بقوة تتحدى بها السلطة الظالمة، لذلك تخاطب يزيد «فعد كيدك، واسع سعيك... فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحيناً، ولا تترك أمداً، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين».

إنها تتحداه بأن يبذل جهده في التنكيل والقتل، لأنه لن يستطيع مهما فعل محو آل البيت من الذاكرة والوجدان، فالناس يذكرونهم مع كل صلاة، فهم بالإسلام يحيون، كما يحيى بهم، ثم تقول له: ما أبعد الفرق بيننا وبينك! إنك لن تصل إلى ما نحن فيه من مكانة مهما فعلت، ولن تتخلص من عار جريمتك مهما حاولت، فأنت حاكم متهور، لا تملك حكمتنا وصدق إيماننا، إنك تعيش وهم القوة، التي تتبدد كما تتبدد أيامك في هذه الحياة، نلاحظ أنها استخدمت جملة شديدة الإيحاء بيوم الحساب «يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله...» لتذكر بمصير كل ظالم كفور .

وهكذا استطاعت المرأة المسلمة رغم كل ما تعانیه من قهر وظلم أن تقف في وجه السلطة المستبدة، تفضح بشاعة جريمتها، كما تفضح جهلها بأحكام الدين، وبعدها عن جادته، وقد اعتمدت في تحديها لغة الخطاب القرآني الحجة التي لا ترد، وهي اللغة الأكثر تأثيراً لدى المسلمين، والأكثر إجحاماً للسلطة الظالمة.

أخيراً أمل أن أكون قد أزحت الستار عن وجه مشرق للمرأة المسلمة في تاريخنا، يمكن أن يكون لنا مثلاً أعلى نقندي به اليوم!

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الكوفة

وثورة الحسين

إبراهيم بيضون

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الكوفة وثورة الحسين

الكوفة وثورة الحسين

كان ما يزال مألوفاً أن نقرأ الثورة الحسينية ابتداءً من قصر الامارة في المدينة، حيث استدعي الإمام للبيعة ليزيد، قبل انتشار الخبر عن وفاة أبيه. وكان شيخ بني أمية حينئذ مروان بن الحكم، قد نصح بذلك الوليد ابن عتبة، (عامل المدينة)، حتى لا يثير غياب السلف القوي ببلبلة تترك الخلف الضعيف، يرفض الإمام الحسين الصفقة المدبّرة في ليل، مصرحاً بالمقولة الشهيرة إن مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، قبل أن يأخذ طريقه ساخطاً إلى مكة، حيث توالى رسائل الشيعة من الكوفة، تحرضه على الخروج اليهم لإطاحة حكم الغاصبين الظالمين المحليّة.

يأتي ذلك وكأن من من تداعيات الحدث الطارئواللحظة المؤاتية، فيشرع الإمام في إيفاد رسول، هو ابن عمه مسلم بن عقيل، للوقوف عن كذب على صورة الوضع في الكوفة والاستنشاق من صدقية أهلها، حتى إذا تم له ذلك قرر الخروج مع أهله وقلة من أنصاره، منقبض النفس متوجّساً من أمر مافي الرحلة المحفوفة بالخطر، وفي الطريق تفاجئه الأخبار عن تغيير الصورة، وملخصها أن السيوف التي كانت معه أصبحت عليه، فلا ينكفي عن المسير، ولا يتردّد في مواجهة الشهادة التي تصبح هدفاً في حدّ ذاته، فداءً للأمة المصادرة، المسلوقة الإرادة، المغلوبة بالقهر.

هكذا نقرأ الحسين(عليه السلام) في نص العزاء، ونذهب إليه في صخب الأحزان وتجييش بنا الأمنيات إلى الفوز العظيم في ساحة المعركة حائزين على نعمة الشهادة في موكب الإمام وهو يستصرخ ضمائر القوم المتحجرة، أن يسعف طفلاً صغيراً بقطرة ماء. ولم يكن في نص التاريخ أو بعضه ما يختلف كثيراً عن النص السالف، وهو المتوكئ خصوصاً على روايات الأخباريين، فكانت هذه بدورها مشحونة بالتوتر، مفعمة بالحزن، مأخوذة بالحدث الكربلائي، والمؤرخ على هذه المساحة يواجه حالة، ليست تماثلها حالة أخرى في التاريخ فتنازعه حينئذ مرجعيتان، ليست الأولى مما يرفض المطلق أو الثانية مما يعتمد بالمطلق، إذ كلاهما متداخل إلى حد كبير، لا سيّما وأن المادة التاريخية لنص العزاء مقتبسة، وإن بالكثير من التصرف من أخبار نص التاريخ، والتي أعاد صياغتها المصنفون، متوكئين على الذاكرة

المرهفة عبر المسافة الطويلة من الزمن، وإذا كان المؤرخ يعزف عادة عن نص العزاء المشحون بمواقف من وحي اللحظة الساخنة، والخطيب الحسيني يمزج حينئذٍ الدوي على إيقاع الأحزان وصليل السيوف إلى كربلاء، فإنه - أي المؤرخ - ليس معزولاً عن هذا النص أو منقطعاً عنه، إذ يجد فيه مادة توهج للثورة في مداها الإنساني التراكمي، مؤثرة في مسارها وحركة أيامها، حيث كانت معركة للأحرار ضد الطواغيت في كل زمن.

هذا أمر ليس ينكره المؤرخ، ولكن ثمة قراءة للثورة الحسينية يستلهمها خارج حصار الحزن، من دون الركون إلى الروايات المكرمة التي تبقى مفتوحة على النقد، قبل اعتمادها في ضوء مرجعية العقل، وصولاً إلى مقاربات ليس أكثر للحقيقة التاريخية، وهذه الروايات، في المحصلة، وعلى الرغم مما لحق بها من اجتزاء أو إضافة أو تحريف، وما أثر في صياغتها من عوامل متصلة بمناخات المرحلة أو بميول الإخباريين، فإنها المجال الذي ينتشر فيه المؤرخ، باحثاً في العمق، مرادفاً ما استطاع الحقيقة، من دون أن يزعم بلوغها، بقدر ماهي محاولات مستمرة على هذا الطريق الذي يكون واضحاً بقدر ما يتسم بالمنهج بالتماسك والإنسياب، من الأسباب إلى النتائج.

ويبقى أن نضيف في هذا المفهوم، أن التاريخ، مهما حاول العابثون في مساره تملقاً لذوي السلطان، أو تدخل المغرضون في سياقه استجابة لأغراض في نفوسهم، أو أفاض في المقابل المتحزبون لقضية ما أو شخصية ما في ثناياه، فإن العظماء الذين جسدوا صورتهم الساطعة فيه، كانوا أكثر رسوخاً من أن يلحق بهم تشويه أو تمسّ هالتهم جحافل الظلام، أو تضيف إلى تأثرهم في المقابل مدائح المتحزبين المطلقين لخيالهم العنان، فالحسين الذي انتصر فكره ونهجه على النظام السادر في الانحراف، يتعمق على مساحة هذا التاريخ، فلا حاجة إذاً إلى أن نقرأه في غير هذا المكان، أو أن نذهب إليه منكسرين متعثرين بوحشة الطريق. فهو حاضر بقوة فينا، يحوط بأضلاعه المقاومين للظلم، ويتلو عليهم بيان الثورة بعد صلاة الفجر، ثم لا يلبث أن يكون أمامهم يقاتل معهم، ويعبق في أرواحهم الضامنة إلى الشهادة.

ومن أين تبدأ إذاً قراءة الإمام الحسين في ثورته الرائدة؟

والجواب على ذلك سيعيدنا مسافة ربع قرن إلى الوراء، وتحديداً إلى الوقت الذي تولى فيه الإمام علي الخلافة، وهي حينئذٍ في مناهجها أقرب إلى الثورة منها إلى السلطة، إذا أخذنا في الاعتبار الدوافع التي أملت عليه الاستجابة للبيعة، مدركاً صعوبة المهمة، وربما استحالتها أمام التحديات المحيطة به من كل صوب، ولكنه

وفي عقله قضية هي الإسلام، لم يكن في وسعه التخلي عن الدور الإنقاذي الذي بدأ محصوراً فيه، راثياً بصورة خاصة إلى النخبة التي صمدت في وجه الانحراف، وكان ما يزال يراهن على نضالها من أجل التغيير، إن لم يكن في زمانه، ففي الأزمنة القادمة.. هذه النخبة ما برحت نفوسها تضطرب بالثورة وتأبى الانصياع للأمر الواقع، ملتزمة خط الإمام ونهجه وخطابه، ولا تنفك مأخوذة بالمعادلة التي اختزلت فكره الجهادي المائج في نبض الأيام، محذراً من أن لكل دم ثائراً ولكل حق مطالباً.

ولم يكن صلح الإمام الحسن إلا في سياق هذا النهج الثوري، متكهنًا تماماً تجليات الأب ومستشرفاً قضيته بوعي الحاضر والمستقبل حين قال: فصالحت بقاءً على شيعتنا خاصة من القتل. من دون أن يعني ذلك التسليم بالواقع أو الاعتزال عنه، وإنما كان يرى في النخبة المناضلة التي تنازل من أجلها، مادة التغيير واستعادة المسيرة من أيدي الظالمين، على الرغم مما التبس على قيادات منها في قراءة المرحلة. وقد حدث ذلك فعلاً عندما ذهبت النخبة في خيارها الصعب بعد الصلح، فلم تنكفي عن دورها الذي عوّل عليه، ولم يلبث تيار التشيع - مصطلحاً سياسياً - أن قطع شوطاً في التنظيم والتعبئة على الرغم من الحصار الشديد المفروض عليه؛ وذلك بقيادة المناضل المخضرم حجر بن عدي الكندي الذي وُصف بأنه من عظماء أصحاب علي، حسب مروية الدينوري في أخباره.

أين كان الإمام الحسين حينذاك؟

لقد التزم - خلافاً لرواية مفردة في الإمامة والسياسة بقرار الصلح الذي لقي معارضة من بعض نخب الكوفة، راحت تحرضه على الحرب، انطلاقاً مما اعتقدته من تمايز بين الأخوين بشأن الصلح، ولكنه - أي الحسين - كان مقدراً، شأن الحسن، حجم التحديات التي فرضت اللجوء إلى هذا القرار، فلم ينثن عن دعوة أصحابه إلى الهدوء، بانتظار الفرصة الملائمة للتغيير. فثمة تطابق واضح بين موقف الحسن الذي رأى دفع هذه الحروب إلى يوم ما، وبين موقف الحسين في كرهه للصلح ووعده لأصحابه بقرب ذلك اليوم. وثمة تقاطع بينهما في معنى الانتظار الذي كانت المرحلة تشير به فكراً سياسياً نابضاً في تداعياتها، من دون أن يكون ذلك ركوناً إلى الواقع أو استسلاماً لأمره، بقدر ما نجم عن القراءة الموضوعية للمرحلة وترقب الفرصة الملائمة للثورة. وكان ذلك ما يزال من ثوابت الخطاب الحسيني واستمرارية نبرة

الثورة فيه حتى يُطوّح بالظالمين، وترتفع راية العدل، فيقول وهو في طريقه إلى الكوفة: «من قبلي بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم والله خير الحاكمين».

ومن هذا المنظور، تصبح قراءة خاطئة تلك التي تربط موقف الإمام الحسين بالتغيرات الخاصة بموت معاوية والبيعة ليزيد، أي بذهاب خليفة قوي ومجيء آخر ضعيف، أكثر من ارتباطه بالساحة الكوفية ومدى جهوزية التنظيم فيها للتحرك في حده الأدنى تحت وطأة الحصار المفروض على القيادات الشيعية. فقد انخرطت الكوفة في هذا التيار الثوري، منذ أن اتخذها الإمام علي عاصمة له؛ حيث نجح في تشكيل نخبة تأثرت بفكره، وأسست كحالة اعتراضية بعد اغتياله، وكان لقيادات منها تجربة نضالية ترقى إلى عهد عثمان، من أمثال جندب بن زهير الغامدي الذي ثار بالأزد على عامل الكوفة (الوليد بن عقبة)، ومالك بن الحارث (الأشتر) في انتفاضته على عاملها قبل ذلك (سعيد بن العاص)، فضلا عن كميل بن زياد الذي هاجم قصر الامارة محتجاً على نفي الأشتر وأصحابه إلى الشام، فضلا عن حجر بن عدي الذي سيكون له الدور الطبيعي في تنظيم تيار التشيع كما سبقت الإشارة.

هكذا تصبح الكوفة في مواجهة الاستبداد الأموي، وأمام تحديات الدور الذي انخرطت عن قناعة فيه، على الرغم من محاولات اختراقها من جانب السلطة التي اتخذت اجراءات استثنائية في هذا الصدد، مستعينة بنماذج اكتسبت شهرة في سياساتها القائمة على العنف، كما صمدت الكوفة في وجه الأزمات الاقتصادية المتفاقمة، فلم تتل حينئذ سوى القليل من العطاء، ولم يكن لها حظ في الأرض التي كان الخليفة عثمان قد خرق القاعدة نحوها، فوزع جزءاً منها على أقاربه والمحيطين به، مما استفز قبائلها المطالبة بها انطلاقاً من اسهامها البارز في فتحها.

وفي ضوء ذلك فإن الدور الذي تصدت له الكوفة كان مجزراً في تراثها النضالي، من دون أن تكون الأزمات الاقتصادية، ما أثر فقط في حركتها السياسية الاعتراضية، على غرار ثورة المدينة فيما بعد فقد كان توقعها إلى التغيير يتعدى الذات إلى المبدأ الذي وحدت خيارها فيه، معرضة عن خيارات أخرى اتبحت لها من قبل، لو سارت في غير هذا الاتجاه. وما انفكت حينذاك تتواصل، وعبر اشكال مختلفة من الطرائف السرية مع الإمام الحسين في المدينة، حيث بات - منذ وفاة الإمام الحسن - في الموقع القيادي للحركة الشيعية، متابعاً لتنظيمها، ومزوداً الذين يلتقيهم من كبار مناضليها في مواسم الحج بتوجيهاته وتعليماته.

وإذا كانت المرويات لا تمدنا إلا قليلاً، بتفاصيل عن برنامج الثورة، وهي ما انفكت مأخوذة بالجانب العسكري أكثر من الجانب الفكري والتنظيمي فيها، فإننا لا

نعدم في ثناياها اشارات تذهب في هذا المنحنى الإصلاحى الجذرى، والذي عبر عنه الإمام في أول موقف علنى يتاح له بعد رفضه البيعة ليزيد، وهو منحنى يمكن أنه نقرأه في اتجاهات أربعة:

الأول: عقائدى، يندد بالانحراف الذى تمادى فيه الأمويون، منتهكين المبادئ والقيم والقواعد، كما ورد في قوله: «إن هؤلاء قد عطلوا الحدود وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله». أو في دعوته أهل البصرة إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدع»، أو في توصيفه للحاكم العادل بأنه «العامل في الكتاب.. الحاسب نفسه على ذات الله».

والثاني: سياسى اصلاحي يرمى إلى دفع الظلم ومحاربة الفساد واستعادة الأمة دورها المصادر لمصلحة الأقلية المتفرّدة بالسلطة والمستأثرة بالنفوذ، كما جاء في قوله عن الخروج لطلب الإصلاح، أو في استخدامه - لأول مرة - مفردة «التغيير» الملائمة للثورة.

والثالث: اقتصادى اجتماعى، في تشخيصه لمعاناة المسلمين والحرمان الذى يصيبهم في ظل نظام يستأثر بالفى ويجزل لأعوانه العطاء الكثير، مشدداً على العدالة قيمة أساسية فى الدين، وعلى أن يكون الحاكم آخذاً بالقسط واثقاً بالحق، كما يتجلى هذا الاتجاه فى تقويمه لنفسه، ثائراً من أجل قضية عادلة، وليس انطلاقاً من موقعه الاجتماعى ابناً للإمام وحفيداً للرسول «من قبلنى بقبول الحق...».

أمّا الرابع والأخير: فهو أخلاقى تربوى يتجلى فى قيم الثورة وأهدافها وشعاراتها، وفى الالتزام بالخيارات الصعبة فيها، وصولاً إلى التضحية بالنفس من أجل المبدأ وغير ذلك مما نبض به الخطاب الحسينى، ونجد مثل ذلك على سبيل المثال فى رده على أخيه ابن الحنفية: «والله لو لم يكن فى الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية...» وفى وقعته البطولية فى كربلاء، حيث تلاشت كل الخيارات سوى خيار الشهادة التى أقبل عليها بكبرياء، مفتدياً الأمة بدمائه، وهى ترسم معادلة خالدة على مدى الإنسانية يهتدى بها الثائرون على الظلم.

والأشكالية التى تواجهنا فى هذا الصخب، تترج فى السؤال المحورى، إذا ما كانت الكوفة قد خذلت الإمام الحسين(عليه السلام) فى اللحظة القاتلة، كما هو مكرس أو يكاد فى الروايات التاريخية، ولا ينفك يتردد يومياً فى مجالس العزاء، وفى مواجهة سؤال اشكالى كهذا، قد لا يفيد الذهاب مباشرة فى الجواب عليه، بقدر ما يفرضه ذلك من توغل فى فضاء المرحلة، وقراءة للأخيرة تتجاوز أحياناً السطور إلى ما بين السطور. وفى كل الأحوال لا بد لنا أن نستظل بالمنهج الذى يسير بنا فى خطه الواضح، من دون التسليم المطلق بصحة النص المترهل، أو استقزازه إلى حد قراءته بعين الحاضر، فنضل حينئذ الطريق.

نعود إلى سؤالنا عن تحول الموقف الكوفي الذي بقي من الأسرار في التاريخ، فلم تزده الدراسات إلا غموضاً وإبهاماً، مما يجعل المؤرخ أمام حالة ليست متداخلة ومنطق الحدث الذي يذهب به إلى العقل، مسائل، مشككاً، مكتنهماً، في ضوء الأخير معطيات تغدوه إلى مقاربة الحقيقة التاريخية، ولو طبقنا ذلك على مساحة الكوفة، لوجدنا أن مشروع الثورة لم يكن راسخاً في وعيها فحسب، بل أنه يثبت قوة استمراريته على الأرض من «الصلح» حتى وفاة معاوية، ومن هذا المنظور، فهي معنية بالتغيير الذي كان واضحاً في خطاب الحسين، التزاماً بعقيدة وفكر من جهة، واستجابة لمصالحها بعد أن عانت التهميش والحرمان من جهة أخرى، ولم تكن هذه المعاناة غائبة عن بال عبيد الله بن زياد الذي سارع بعد نزوله في الكوفة إلى الاعتراف بمعاناة أهلها والتلويح لهم بالعودة لتحسين أوضاعهم الاقتصادية، فخطب فيهم - حسب مروية ابن أعم - قائلاً: «إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ولاني مصركم وثوركم وأمرني أن أغيب مطلوبكم وأن أعطي محرومكم وأن أحسن إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم...».

هل كانت هذه الخطبة، مما استدرج بعض عناصر الثورة وحمل قيادات فيها على الاسترخاء، فتغيرت المواقف بهذه السرعة من المعارضة إلى الولاء؟ ولكن هل كان ابن زياد في المقابل ممن يؤمن جانبه، وهو الأكثر تطرفاً في النظام الأموي، والمتحدر من بيت نكل بالشيعة وساق زعيمها في الكوفة حجر بن عدي وأصحابه إلى ساحة الأعدام؟ وإذا كان التحول في موقف القيادات المنتظمة في الثورة، ما يستبعده المؤرخ، يمثل تلك السرعة على الأقل، فإن معطيات أخرى قد لا تكون مستبعدة لديه في هذا المجال، وفي طبيعتها مفاجأة ابن زياد لهذه القيادات إلى درجة ارباكها وشل حركتها، وبالتالي عزلها عن حركة الحدث. وليس في وسعنا بالتالي سوى اللجوء إلى سؤال يصبح ملحاً لدى المؤرخ، عن عدم اتخاذ إجراء ما لمنع ابن زياد من دخول الكوفة، بعد أن أفلت الزمام - غداة وصول مسلم - من قبضة السلطة الأموية، وانكفاء الوالي النعمان بن بشير في قصره، «ليس يجتمع معه في جمعة وما يُؤدى إليه الخراج» حسب الرواية التاريخية.

وتتداعى الأسئلة بعد ذلك، ونحن نبحت عن موفد الحسين (عليه السلام) في صخب الأحداث المثيرة، وإذا كانت مهمته محصورة في الاستيشاف من الكوفة التي سارعت بعد وفاة معاوية إلى توجيه اثنين من قادتها إلى مكة، لدعوة الإمام الحسين إليها، فلعل الشيخ المفيد يلقي بعض الضوء - وإن بصورة غير مباشرة - في هذا السياق، فيما يرويّه عن تطير مسلم بن عقيل من المهمة المعهودة إليه، بعد أن مات الدليلان (اللدان رافقاه) عطشاً في الطريق، طالباً إعفائه منها، ولكن ما يلفت المؤرخ ليس تعثر المهمة فحسب، بل أيضاً الكثير من اللبس المحيط بها، حيث نزل مسلم بعيد

وصوله في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهو لم يكن في الأصل مقيماً في الكوفة أو مندرجاً في تنظيمها الثوري، وإنما قدم فجأة إليها من ضيعة بجوارها، وربما كانت منحتة له من الأمويين لقاء اعتزاله. فلم يكن قد ورد له ذكر في الروايات، منذ انكفاء الحسن إلى المدائن، ونصيحته لعمّه، عامل الأخيرة، بأن يسلمه إلى معاوية. ولعل الطريقة التي عامل بها ابن زياد المختار لاستضافته مسلماً، تنبئ من وجوده في صف السلطة أكثر من الانخراط في جبهة المعارضة التي حاول الالتفاف عليها، اعتقاداً منه بأن الرياح تسيّر حينئذ في اتجاهها. لقد استدعاه ابن زياد إلى قصر الامارة وخاطبة بنبرة متوترة وكأنه فوجئ بموقفه، قائلاً حسب مروية الطبري:

«أنت المقبل في الجموع لتتصر ابن عقيل؟ فقال له: لم أفعل ولكنني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث (من أعوان ابن زياد) وبتّ معه وأصبحت فقال له عمرو: صدق أصلحك الله. فرفع (ابن زياد) القضيب فاعترض وجه المختار فخطب به عينه فشرها وقال: أما والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك، انطلقوا به إلى السجن، فانطلقوا به فلم يزل حتى قتل الحسين».

ولعل هذه التغطية للمختار من جانب ابن حريث، تظهر بوضوح تواطؤ الأول معه، على الأقل بعد تعثر مهمة الموفد الحسيني، فال حينئذ بالأسباب التخفيفية إلى السجن، فيما قطع رأس مسلم، ورأس مضيفه هاني بن عروة. ثم تداعت الأحداث سريعة بعد ذلك، وتلاشت تحت وطأتها الآمال التي كانت تضرب في نفس الإمام الحسين وهو يستحث السير إلى العراق، وإذا وصل إلى مكان يعرف بـ«عذيب الهجانات» التقى اربعة التحقوا به من الكوفة، من دون أن يعترضهم الحر بن يزيد الرياحي قائد الحملة الأموية التي وجهت للحؤول بينه وبين أنصاره. وسرعان ما تحدث باسمهم «مجمع بن عبد الله العائذي» قائلاً - حسب رواية أبي مخنف: «أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ومُلئت غرائزهم، يُستمال ودّهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم إلب واحد عليك، وأمّا سائر الناس بعد فإن أفدنتهم تهوي اليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك».

وهذه الرواية ليست مختلفة عن اثنتين مما سلف من الروايات، حملت كلتاها المعنى نفسه للشاعر الفرزدق، وعبد الله بن مطيع العدوي الذي أصبح فيما بعد والياً لابن الزبير على الكوفة، بيد أن العائذي كان أكثر دقة في توصيفه لحالة الناس المنقسمين حينئذ بين أقلية تمالي السلطة، أيّاً كانت هذه السلطة، متمثلة ببعض رؤساء القبائل ممن عرفوا اصطلاحاً باسم «الأشراف»، وبين أكثرية منخرطة في تيار التشيع قيادات وقاعدة شعبية كان بعض مناضليها قد عاصر الإمام علياً ورسخ في عقله فكره ونهجه، ولم تحرفه عن قناعاته ممارسات الظلم وحملات القمع، فالكوفة لم تكن جبهة واحدة بالمكلف، كما في وعي المتابعين للسيرة الحسينية، وإنما كانت

تتجاذبها اتجاهات عدّة، بما فيها جبهة الثورة التي افتقدت فريقاً جذرياً يمثله ابراهيم ابن الأشر، انطلاقاً من رؤية خاصة به لم توفق مع رؤية قيادات أخرى في الكوفة. ومن هذا المنظور، فإن عبيد الله بن زياد، وهو من بيت عريق في الإدارة الأموية، ينجح في خطته للقبض على زمام الوضع في الكوفة، حيث داهمها ليلاً، في الوقت الذي كانت أجهزته ترصد حركة الثائرين وتحاصرهم في بيوتهم، بالتعاون مع أولئك «الأشراف» الذين عرفوا تفاصيل كثيرة عنهم، ولم يكن ذلك ممكناً لو اتخذ تنظيم الثورة أسلوباً أكثر دينامية، لا سيما في الاعتماد على عنصر الوقت الذي مر بطيئاً من دون تحقيق أي تغيير فعلي على الأرض، وهنا تذهب الصورة في غموضها إلى المدى البعيد، ويسود كثير من الصمت حول المواقع التي حالت دون سرعة الحركة، وصولاً إلى القيام بما قام به ابن زياد، حين كان الوقت سلاحه الرئيس في السباق إلى قصر الامارة. فالروايات التاريخية لم تتعد هنا ظاهر الحدث إلى عمقه، والدراسات الحديثة أعرضت عن هذه المسألة متهبية الغوص في أبعادها وتفاعلاتها، على الرغم من مؤشرات قد تسلط الضوء على مكامن الغموض فيها.

وبهذا المعنى، فقد فشلت الثورة منذ دخول ابن زياد إلى قصر الامارة، والإمام الحسين عرف ذلك من تقرير «العائذي»، ولكنه لم يضعف أمام التحولات الخطرة، أو يعدل في خطته منكفئاً إلى الحجاز: فهذا يعني، لو حدث، أن محنة جديدة سيعانيها تحت حكم يزيد، كذلك التي عاناها في عهد سلفه، فضلا عن صعوبة أن يستكين ثائر مثله وفي موقعه إلى هذا المصير، من دون أن يحسب جيداً ارتداد النتائج، ليس عليه فحسب، بل على الإسلام - القضية الذي يسقط مضموناً حينئذٍ لثقل مكانه الشعارات المجوفة والمتكيفة مع سلطة الظلم. فكان الخيار الذي سار عن قناعة مطلقة فيه، ولم يكن غيره مما راوده في الموقف الصعب، حيث تكمن اللحظة التاريخية المبدعة، ويتجلى في أتمّ صفاء البعد الإنساني المتوهج للثورة، وهو بعد ما يزال يؤثر قضية الأمة على ما عداها في نفسه الظامنة إلى الشهادة.

ولكن ذلك لم يختزل كل الخيارات التي بقي منها في هرج اللحظة ما يختزنه عقل القائد، وما يلائم التغيرات العاصفة. فلم يتردد في متابعة الطريق إلى الكوفة، غير مستسلم و راكن لليأس، مستجيباً أيضاً لأولئك الذين منحوه الثقة وواكبوا المسيرة منذ بدايتها معه، ومن ثم أصبحوا بعد اجهاض الثورة هدفاً للقمع والسجن والقتل، معبراً عن مثل هذه الهواجس في قوله: «أمنعهم مما أمنع منه نفسي، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني» إستناداً إلى مروية البلاذري في «أنسابه».

فكانت محاولة الوصول إلى الكوفة ما دار حينئذٍ في خلده، لا سيما وأن بعضاً من أنصاره فيها قد نجح في الخروج إليه، مما يعني امكانية الاختراق لجبهتها المحاصرة، ولعل ما حدث مع الحر الرياحي لم يكن منفصلاً عن تطلعات قائد

الثورة، إذ سرعان ما انخرط في الأخيرة، ولكن من دون أن تسعفنا الروايات، فيما إذا كان الحر قد تحول منفرداً إليها، أو بحملته أو ببعض منها. وقد يبدو راجحاً أن قراره لم يعبر سوى عن ذاته، إذا توقفنا عند قول أحد أصحابه في مروية «الشيخ المفيد»: لو أطلعني - أي الحر - عن الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين، وإذا توقفنا أيضاً عند الأصحاب الشهداء الذي لم يُضف على تشكيلتهم الحجازية الأخيرة، سوى نفر قليل التحقق به من الكوفة.

ولم يكن عمر بن سعد على الرغم من احتواء الأمويين له بعيداً كذلك عن هذه المحاولة، حيث التقاه الحسين وحاوره ثلاثاً أو أربعاً حسب مروية الطبري. وكاد يستميله لولا الرجل الذي نافس ابن سعد في الولاء الأموي، وطمح إلى أن يكون مكانه في القيادة، وهو شمر بن ذي الجوشن الذي كتب إلى ابن زياد، أن حسيناً وابن سعد «يجلسان بين العسكريين فيتحدثان عامة الليل»، فرد عليه الوالي الأموي قائلاً: أخرج بهذا الكتاب إلى ابن سعد، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا، فليبعث بهم إليّ سلماً، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم وثب عليه فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه» حسب رواية الطبري أيضاً.

وكان واضحاً فيما سلف، أن ابن زياد في مواجهته للإمام الحسين، لا ينفك مخاطباً الغرائز على نحو ما سبق للعائذي، أن عبر عنه، ملوحاً - أي ابن زياد - لأصحابه بالمناصب التي هزت نفوسهم الضعيفة إذ يصعب من دون ذلك جرّهم إلى حرب لم يقتنع معظمهم بها، وساروا إليها متثاقلين. فيمضي حينئذ ابن زياد في تصعيد وتيرة الموقف، بما يفوق الذي عبر عنه في كتابه إلى شمر بن ذي الجوشن، ويتوجه إلى ابن سعد مهدداً - حسب رواية الطبري - «إني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا تطاوله، ولا تمنيه بالسلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعاً.. أنظر، فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون».

وهكذا يتحول ابن سعد عن الحوار إلى التطرف، ملتزماً موقف سيده الذي سار في هذا الاتجاه، ربما إلى أبعد مما ذهب الخليفة الأموي إليه، إذ لم تكن للأخير مصلحة في مجاراة واليه الهادف إلى تحسين صورته لدى الخليفة الذي كان في صدد عزله قبل أحداث الكوفة.

ولو قدر للإمام الحسين اختراق جبهة ابن سعد على نحو ما كان مع الحرّ بن يزيد، لتبدل الموقف جذرياً، وما كان صعباً حينئذ الوصول إلى انصاره في الكوفة، وتعبئتهم مجدداً في حركة الثورة، ولكن ابن سعد المأخوذ بالإغواء والتهديد، لم يحسم خياره الأموي فحسب، بل أنه أحكم الحصار على الطريق المؤدي إلى الكوفة، معطلاً

عمليات الإلتحاق بالحسين، خصوصاً تلك التي خطط لها حبيب بن مظاهر، وضمن سبعين من قبيلة أسد، حسب مروية البلاذري.

ويصبح الحسين حينذاك أمام اللحظة الاستثنائية في التاريخ، متوجاً مسيرته البطولية بقرار الشهادة الذي أتخذه عن قناعة وتصميم، ومعه أصحابه المتعلمون في ساحة الجهاد ضد الظلم والفساد والانحراف، وبعيداً عن أجواء الفجيرة الكربلائية العابقة على مدى الأيام، فإن المؤرخ ومن دون التؤكد على المشاعر، ليس بوسعه أن يكون محايداً إزاءها، شأن الأحداث الأخرى التي اعتاد الولوج إليها بجفاء، ولو فعل ذلك لكان يعني الوقوف على مسافة واحدة من العدل والجور، أو من الحق والباطل، أو من الإصلاح والفساد، إلى آخر مفردات الخطاب الحسيني المتوهج ماضياً وحاضراً. فهو - أي المؤرخ - يجد نفسه أمام حالة استثنائية فعلا في مداها الإنساني القيمي وفي ديناميتها الصاخبة في شرايين الزمن، فضلا عن فرادة المعادلة في انتصار الدم على السيف مهما طال الزمن بالطغاة والظالمين. فلم يحدث في التاريخ أن حركة يقتل أصحابها ويحاصر أنصارها، تسقط النظام الذي ثارت عليه، إذا توقفنا عند انهيار الخلافة السفيلية وعلى رأسها يزيد، في اللحظة المائجة، وعند مقتل ابن زياد على يد قائد كوفي (ابراهيم بن الأشتر) بعد سنوات قليلة على كربلاء، في الوقت الذي كانت أسيف الثوار الكوفيين تطارد الضالعين في الأخيرة وتفتك بهم.

والكوفة على الرغم من ذلك كان ما يزال أخذاً بها هاجس التقصير والشعور بالإثم، فأطلقت حركة التوابين التي كانت حسينية في النمط والبصمات، وإن هدرت دماً في غير أوانه، كما أنها تمنح حينئذ البراءة للمختار الثقفي من أجل الحسين فقط، فتوصله إلى قصر الامارة على إيقاع كربلائي، ثم تسقطه بعد أن خرج على خطه ومشروعه. ولكن الثورة تياراً وتداعيات لم يعد مجالها الكوفة أو تبق خاصة بالشيعة فحسب، بل أخذت دائرتها في الاتساع، لتنبض مستقبلا في الحركات المناهضة للظلم في كل مكان، من دون أن يكون النظام الأموي في عهده المرواني محصناً من مؤثراتها التي تجلت بوضوح في حركة عامل المدائن (المطرف بن المغيرة)، مستخدماً مفردات الخطاب الحسيني ومفعماً بنهجه الإصلاحية، وصولاً إلى حركة الحارث بن سريح في أواخر هذا العهد، والتي اتكأت على تراثها دعوة العباسيين في خراسان. ولكن هؤلاء الذين انكفأوا إلى حياض لم يُخل من الشبهة في علاقتهم بالبيت الأموي، كانت السلطة ما يرمقون إليه في مشروعهم من دون أن يكونوا في خطابهم السياسي متأثرين بالثورة الحسينية. وكان ذلك مما طبع نهجهم بالظلم، وأخذ بهم إلى العزلة المبكرة عن الجماهير التي عانت الاستبداد في عهدهم أكثر مما عانت في العهد الأموي .

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

ثورة الحسين

في الشعر والأدب

د. أنسية خزعلي

جامعة الزهراء - طهران

ثورة الحسين في الشعر والأدب

للحسين وثورته أثر عظيم في حياة البشرية والمسلمين منهم خاصة، وقد بقي هذا الأثر واضحاً يتلألأ في المؤلفات التاريخية والأدبية الى يومنا هذا، فلا ينفك الباحثون يتناولون أهداف هذه الثورة ومعطياتها.

وفي هذه العجالة، نلقي نظرة عابرة على هذه النهضة، ونعالج أسبابها ونتائجها، ثم ندرس أثرها في الأدب ولا سيّما الشعر المعاصر منه.

كانت للحسين(عليه السلام) عند الرسول(صلى الله عليه وآله) مكانة عظيمة لا تخفى، وقد بلغ حب النبي له ذروته فقال: «حسين مني وأنا من حسين»^(٩٩) وتناقلت الألسنة ما تكهنه النبي عن استشهاده^(١٠٠) ورأى الصحابة دموع فرحه وحزنه في الحسين(عليه السلام).

ان وصايا النبي في أهل البيت وأحاديثه في مكانتهم كانت تبعد المسلمين عن تصور هذه الفاجعة وما تنطوي عليه من مضمض وآلام، إلا أن الحوادث التي جاءت بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله) قلبت الأمور رأساً على عقب، ففي نهاية خلافة الخليفة الثالث ظهرت مجموعة من البدع والانحرافات في المجتمع الإسلامي وبلغت في حكم معاوية ذروتها.

لقد جدّ معاوية جدّه من جانب في خلق جوّ من الرعب والرهبية لإبعاد أهل البيت عن دفة الحكم، وارغام الناس على الانقياد والطاعة، ومن جانب آخر حاول معاوية بسياساته الاقتصادية - الثقافية المزوّرة فصل المجتمع عن الأطر الدينية النبوية واستبدال الآداب الإسلامية بعادات جاهلية وآداب قبلية بحتة.

كما ازدادت في ذلك العصر أفكار المرجئة والجبرية لتسوِّغ للناس إتباع بني أمية، وانتشر بين الناس الركون الى الدنيا وزخارفها والإعراض عن الآخرة.

وبعد فترة وجيزة، امتلأ البلاط بشخصيات جشعة، نهمة منقادة تتفانى في حبّ الدنيا وزبرجها، وقد أبنتلي كثير من الناس بازدواجية الشخصية، قلوبهم مع أهل البيت وسيوفهم عليهم^(١٠١).

ما كان للحسين إلا نفر قليل أخلص دينه، لكن هذا الأمر ما حال دون انصياعه للمسؤوليات التي أملاها عليه دينه في ذلك المجتمع، فلا مبرر للسكوت ويزيد على

(٩٩) ابن عساكر، هبة الله بن عبدالله، ترجمة الإمام الحسين: ٨٠ .

(١٠٠) القرماني، أخبار الدول: ١٠٧ .

(١٠١) الطبري، التاريخ: ٣٨٦/٥ .

تلك الحال، فالصمت يساوي موت الدين وسنة النبي(صلى الله عليه وآله): «وعلى الإسلام السلام إذابليت الأمة براع مثل يزيد»^(١٠٢).

في تلك الظروف لم ير الحسين أي أثر للسياسة السليمة فرأى نفسه مرغماً على تلبية دعوة أهل الكوفة - رغم غدرهم ونقضهم للعهود - فثار لينقذ أمة جدّه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فعلم - إثر ذلك - المسلمين العزّة والحريّة وعدم الخضوع للظلم، وفهمّ الأمة أن للخلافة الإسلامية حرمة، وأن حكام الجور قد سلبوا هذه الخلافة من أصحابها الحقيقيين.

وراء كل ذلك كان، الحسين يخاطب التاريخ كلّهُ، ويخرج عن الحدود الضيقة للكوفة والمدينة والحجاز والشام، ويبين لجميع المؤمنين الثوريين معالم دين النبي(صلى الله عليه وآله) ومسار سنته.

بعد حادثة عاشوراء سادت حقيقة هذه النهضة المجتمع، وانتشرت فيه، فلم تخف على أحد ونالت تأييد أكثر المفكرين والعلماء المسلمين، فعلى أساسها وضعوا للمجتمع الشرائع الفقهية والاجتماعية.

وعدا زمرة قليلة من أمثال أبي بكر بن عربي، دافع أكثر علماء السنّة عن هذه النهضة، ورأوا فيها امتداد السنّة النبوية. يقول أبو بكر بن عربي^(١٠٣):

«ما خرج إليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جدّه المهيمن على الرسل المخبر بفساد الحال، المحذر من الدخول في الفتن».

وأقواله في ذلك كثيرة منها قوله^(١٠٤):

«انه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان، فما خرج الناس إلا بهذا أو أمثاله...».

إن هؤلاء يؤيدون - بشكل عام - مسألة الخروج على الحاكم الإسلامي بينما تنكر جماعة أخرى من علماء السنّة ذلك لما يلي:

- ١ - لم تنعقد البيعة ليزيد في ظروف وأجواء مؤاتية.
 - ٢ - عدم توفر شروط الحاكم اللازمة في يزيد ولا سيّما شرط العدالة.
- وبذلك رأوا في هذه النهضة خروجاً على الحاكم الجائر لا الحكومة الإسلامية، وحكم كثير منهم على يزيد بالفسق وسوّغ لعنه.

(١٠٢) الخوارزمي، مقتل الحسين: ١٨٤/١ .

(١٠٣) ابن العربي، العواصم من القواصم: ٢٣٢ .

(١٠٤) المصدر السابق.

وفى هذا المضممار يقول الشوكاني^(١٠٥):

«ولقد أفرط بعض أهل العلم فحكّموا بأن الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه باغ على الخمير السكير الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة لفهم الله، فيا للعجب من مقالات تقشعر منها الجلود ويتصدع من سماعها الجلود!».

كلما تمرّ الأيام ونقرب من العصر الراهن تزداد أبعاد نهضة الحسين ومعطياتها وضوحاً، جلاءً يبلور أفكار المؤيدين، وينسخ ما قد سلف، فالحسين اليوم لم يعد زعيماً شيعياً أو مسلماً فحسب، بل هو رمز الصمود والمقاومة وجهاد الحق للباطل في رأي المفكرين، ولذا ترى بوضوح أكثر بعد عاشوراء أثر هذه النهضة في الحركات الجهادية. وبعد ١٤ قرناً تقود عاشوراء الثورات والنهضات الثورية الحقّة. أشار الصحفي المصري فهمي هويدي خلال زيارته لإيران إبان الثورة الإسلامية إلى هذه المسألة حيث قال^(١٠٦):

«تروح وتجيء تخاطب الكبار والصغار، العلماء والبسطاء، تواجه بالثالوث، يلوح لك في كل مناقشة: الحسين، عاشوراء، كربلاء».

ثورة الحسين في الشعر

الشعر العربي أيضاً اغترف من نهضة الحسين كثيراً، وبضرس قاطع أقول: لم يطرق الشعر باباً كما طرّقوا باب الشعر الحسيني، وأنشدوا فيه بأسى وحزن عميق وحماس مطمئن.

فداحة مصيبة الحسين، ضغوط حكام الجور، وتشجيع الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) كانت من العوامل الأساسية لنشوء الشعر الحسيني ونموّه.

كان أهل البيت (عليهم السلام) أول من أنشد في عاشوراء رغم أن الباحثين ينسبون القصائد الفنية إلى الشعراء في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني.

رويت في تذكرة الخواص أبيات عن السيدة رباب زوجة الحسين (عليه السلام)، يقال أنها أنشدتها وهي تقبل رأس الحسين في الشام وتحتضنه^(١٠٧):

واحسيناً فلا نسيت حسيناً *** أقصدته أسنة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً *** لا سقى الله جانب كربلاء

ومن أقدم القصائد الفنية في الحسين قصيدة عقبة بن عمر^(١٠٨):

(١٠٥) الشوكاني، نيل الأوطار: ١٧٦/٧ .

(١٠٦) هويدي، إيران من الداخل: ٢٢٤ .

(١٠٧) سبط ابن الجوزي، تذكرة خواص الإمامة: ١٤٧ .

مررت على قبر الحسين بكر بلا *** ففاض عليه من دموعي غزيرها
ومازلت أبكيه وأرثي لشجوه *** ويسعد عيني دمعها وزفيرها
ضمّ تاريخ الشعر الحسيني أربعة عصور متتالية، يحمل كل واحد منها ميزات
الخاصة.

العصر الأول: امتزج رثاء الحسين في هذا العصر بروح الثأر والنقمة على قتلة
الحسين (عليه السلام) وتخللته أيضاً روح الندامة لخدلانهم إيّاه، أنشد عبيدالله بن حر
الجعفي في هذا المجال^(١٠٩):

يقول أمير غادر وابن غادر *** ألا كنت قاتلت الحسين بن فاطمة
ونفسي على خذلانه واعتزاله *** وبيعة هذا الناكث العهد لائمة
حاول زمرة من الشعراء الموالين للبلاط العباسي برثائهم الحسين أن يثنوا على
العباسيين ويعدّوهم النائرين لدم الحسين^(١١٠):

جزينا الأمويين *** ودناهم كما دانوا
وذاقوا ثمر البغي *** وخنّاهم كما خانوا
وللخير وللشر *** بكفّ الله ميزان
ولولا نحن قد ضاع *** دم بالطف مجّان
استنكر شعراء الحسين ما ادّعاه شعراء البلاط العباسي، ونالوا من العباسيين
لمشاركتهم الأمويين في ارتكاب الجرائم، وقد بلغ هذا الاستنكار الزبى في عصر
العباسيين ولا سيّما بعد تخريب قبر الإمام الحسين على يد المتوكل، فيهجّوهم
منصور بن بسام بقوله^(١١١):

تالله إن كانت أمية قد أتت *** قتل ابن بنت نبيّها مظلوماً
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله *** هذا لعمر ك قبره مهذوماً
أسفوا على ألا يكونوا شايعوا *** في قتله فنتبّعوه رميماً
العصر الثاني: ومما شجع الشعراء في هذا العصر على الدفاع عن مذهبهم، تأسيس
الدول الشيعية المستقلة عن الخلافة العباسية، فهذا طلائع بن رزيك يرى جذور فاجعة
كربلاء تعود الى السقيفة وماحصل بعد وفاة النبي حيث يقول^(١١٢):

عصت النبيّ وأصبحت *** لسواه سامعة مطيعة
باعت هناك الدين *** بالدنيا وخسران كبيعة

(١٠٨) الأمين، أعيان الشيعة: ١٤٦/٨، ١٤٧.

(١٠٩) أعيان الشيعة: ٥٠/٨.

(١١٠) ابن المعتز، الديوان: ٤٢١.

(١١١) نقلاً عن: شمس الدين، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ١٦٦.

(١١٢) ابن رزيك، الديوان: ٩٣.

ما كان فيها قد مضى *** اسلامها إلا خديعة
تحت السقيفة أضمرت *** ما بالطوف غدت مديعة
تتطور قضية الثأر للحسين - في هذا العصر - وتتأطر في أبعاد ثلاثة:
١ - يوجّه الشعراء أصابع الاتهام والثأر للعباسيين.
٢ - يؤكد الشعراء على مسألة انتظار المهدي المنتقم.
٣ - يوكل الشعراء الثأر الحقيقي الى الآخرة ويوم القيامة.

العصر الثالث: واصل الشعراء الأسلوب السالف إلا أن الشعر الحسيني لم يفلت مما
أصاب الأدب من الانحطاط في هذا العصر - القرن السابع حتى التاسع - ففقد الشعر
- للتصنع اللفظي والمعنوي - رويداً رويداً ما كان عليه من الحماس والحيوية،
وأصيب بالجفاف والتلاعب بالألفاظ.

حلّ اللعن والسبّ محل الهجاء والهجمة على الأعداء، وأوكل الشعراء الثأر الى
القيامة واستشعروا الصبر بدل النهضة والثورة، ورثى البعض الحسين احتساباً
للأجر عند الله.

يقول ابن العرندس^(١١٣):

فلألعلن بني أمية ما حدا *** حاد وما غار الحبيج وأنجدا
ولأبكين عليك يابن محمد *** حتى أوسد في التراب ملحدًا
شاع رثاء الحسين في هذا العصر شيوعاً واسعاً، وخاضه شعراء السنة والشيعة
على السواء، فهذا ابن سناء الملك ينشدنا قائلاً^(١١٤):

ونظمتها في يوم عاشوراء *** من همّي وحرني
يوم يناسب غبن من *** قتلوه ظلماً مثل غبني
يوم يساء به وفيه *** كل شيعيّ وسنيّ

إن مسألة احتساب الأجر عند الله أخذت تحطّ من قيمة الاخلاص عند الشعراء،
وصارت من الدوافع السائدة في المجتمع آنذاك كما نلاحظ في شعر حسن
المخزومي^(١١٥):

فيا آل طه الطاهرين رجوتكم *** ليوم فصل الخطاب طويل
مدحتكم أرجو النجاة بمدحك *** لعلمي بكم أن الجزاء جزيل
العصر الرابع: في القرن العاشر حتى الثالث عشر - لا نلاحظ تغيراً ملحوظاً في
أسلوب الشعر الحسيني وقوالبه، وبقي هذا الشعر يروح تحت وطأة التكرار والتقليد،

(١١٣) أعيان الشيعة: ٣٧٥/٧.

(١١٤) شبر، أدب الطف: ١٧/٤ .

(١١٥) أدب الطف: ٤ / ٢٢٥ - ٢٢٦.

واستحالت الأشعار الى مقاتل شعرية منظومة وترعرع أدب المنابر ونضج، ومن القصائد التي نالت إعجاب أرباب المنابر ما أنشده هاشم الكعبي^(١١٦):

بأبي وأمي عافرون على الثرى *** أكفانهم نسج الدياح الذراري
تصدى نحورهم فينبعث الشذى *** فكأنما تصدى بمسك داري
ومطرحون يكاد من أنوارهم يبدو *** لعينك باطن الأسرار
نفست بهم أرض الطفوف فأصبحت *** تدعى بهم بمشارق الأنوار
إن مجالس التعزية شجعت الشعراء على إنشاد هذا النوع من الشعر فدخل
الشعراء المجتمع وخرج الشعر - بالتالي - من حكر طبقة خاصة، وساعد ذلك على
سهولة العبارات واستعمال ألفاظ تفهمها العامة من الناس، ساد الرثاء سائر الأغراض
الشعرية في هذا العصر أيضاً بينما كان فاقداً لروح الحماسة والصمود، ونلاحظ بكل
وضوح سيطرة روح اليأس على الأشعار والقصائد، فهذا السيد بحر العلوم يقول
منشداً^(١١٧):

الدين من بعدهم أقوت مرابعه *** والشرع من بعدهم غارت شرايعه
قد اشتفى الكفر بالإسلام مذ رحلوا *** والبغي بالحق لما راح صادعه
ودائع المصطفى أوصى بحفظهم *** فضيّعوها فلم تحفظ ودائعه
وبصيص الأمل الوحيد في أشعار هذه الفترة يتجلى في ما أنشده الشعراء في
انتظار ظهور المهدي(عج)، وإحياء الدين على يده، يقول يوسف البحراني في هذا
المضمار^(١١٨):

فمتى إمام العصر يظهر في الورى *** يحيي الشريعة بعد طول مماتها
ومتى ترى الرايات تشرق نورها *** وكتائب الأملاك في خدماتها
وخلال منتصف القرن الثالث عشر، تطلأت ومضات من التجديد في الشعر
الحسيني، وفي العصر الراهن أينعت ثمار هذا الشعر ونضجت.

الإمام الحسين في الشعر العربي المعاصر

قبل أن أخوض بحث مراحل الشعر الحسيني المعاصر، أرى من الضروري
تناول الشعر المعاصر وأثر نهضة الإمام الحسين فيه.
يتجلى الحسين رمزاً للجهاد والإباء في الشعر العربي، ولما يُرد الشاعر بيان ما
عليه من الإباء والصمود أمام الظلم يشبه نفسه بالحسين، كما ينسب مظفر النواب
نفسه الى رأس الحسين على الرماح قائلاً^(١١٩):

(١١٦) أعيان الشيعة: ٢٤٠/١٠ .

(١١٧) شعراء الغري: ١٣٣/١٢ .

(١١٨) أدب الطف: ١٤/٦ .

أنا أنتمي للفدائي

لرأس الحسين

وللربذي يدق على قحف كل غني

ويرى الشاعر المعاصر في الحسين رمزاً للمظلومية، ويرى كل شيء خافضاً
جناحه أمامه، ولما يُرد الإنشاد في الصمود والشهادة والتضحية يستنير بشمس
كربلاء كما نلاحظ في شعر نزار القبّاني^(١٢٠):

سميتك الجنوب

يا لابساً عباءة الحسين

وشمس كربلاء

يا شجر الورد الذي يحترف الفداء

يا ثورة الأرض التي التقت بثورة السماء

وكلما أراد الشعراء الحديث عن جهاد الحق للباطل، استعانوا بجهاد الحسين،
ورأوا في جلال جنود يزيد مع الحسين وأعوانه رمزاً للخبث والظلم كما فعل أحمد
مطر في أبياته التالية^(١٢١):

فإن خيّرت ما بين اثنتين

أن أغني مترفاً عند يزيد

أو أصلي جائعاً خلف الحسين

سأصلي جائعاً خلف الحسين

الى جانب هذه الرموز والإشارات المتناثرة في قصائد الشعراء المعاصرين ولا
سيّما في شعرهم السياسي - الاجتماعي، هناك قصائد كثيرة في الحسين ونهضته،
وسندرس فيما يلي بعض الأغراض في هذه القصائد وموضوعاتها:

أغراض الشعر الحسيني

حاز فن الرثاء بين سائر الأغراض الشعرية على قصب السبق، إلا أنه اختلف
بعض الاختلاف عمّا كان عليه فيما سبق؛ إذ بعث الشعراء في هذا الفن روح الحماسة
والأمل بعد أن ابتلي بالخمول واليأس.

وفي هذا الفن حذا بعض الشعراء حذو الأسلوب التقليدي فوقفوا على الأطلال
والدمن ورثوا المحبوب، وبث البعض الآخر ألم الباطن ولذعة القلب، ورثى لهذا

(١١٩) مجلة شيراز، السنة الأولى، العدد الأول، خريف ١٩٩٧م نقلاً عن الأشرطة المسجلة للشاعر.

(١٢٠) مجلة كل العرب: ٤.

(١٢١) أحمد مطر، لافتات: ١٠٠/٣.

الحزن المقدس، فكان على استعداد لبذل الغالي والرخيص في سبيل الحسين وفدائه
بالعين في سبيل الحصول على عبرة تسكب في رثائه(١٢٢):

عاطني دمعاً وخذ مني عينا *** واحسينا واحسينا واحسينا
أنا في الشام وتيار حناني *** ينتحي من ذكرك المحزون حيناً
يسأل الريح إذ هبت رخاء *** في البوادي عن هوى قد كان ديناً
يا مهاداً في العراقيين أجيبني *** أين مثوى ذلك المحبوب أيناً
بعث الرثاء الحسيني في العقود الأخيرة القارئ على الصمود والمقاومة، وأخذ
الشاعر المعاصر يتذكر ساحة الوغى بكربلاء وهو يمر في أراضي المسلمين، في
جنوب لبنان وقلب فلسطين، وصار يتحدى المستميتين العطشى في كربلاء
بقوله(١٢٣):

أت، ويسبقتني هواي
أت، وتسبقتي يداي
أت، على عطشى، وفي زوادتي تمر النخيل
فليخرج الماء الدفين إليّ، وليكن الدليل
يا كربلاء تلمسي وجهي بمائك
تكشفي عطش القليل
ونرى على جرح الحسين أمانة تملئ خطاي
وترى خطاي

التفت الشعراء الى المديح الحسيني لما نال هذا الفن القوة والصفاء وتخلص من
الكذب والرياء، فلم يمدحوا الممدوح لينالوا الجائزة المادية ولا الأجر والثواب
الأخروي، بل مدحوه لأنه كان أهلاً لذلك.

تناول المادحون نسب الممدوح وحسبه وأشاروا الى خصاله الحسنة النابعة من
أصالة النسب والمحتد رغم ان الباحثين القدامى لا يعدّون ذلك شرفاً يمدح في الشعر
ورأوا المعيار في فضائل الممدوح وسجاياه الرفيعة فقط(١٢٤).

فهذا عادل الغضبان يمدح الحسين(عليه السلام) ويشير الى نسبه الطاهر الذي يعد -
بنفسه - شرفاً وفخراً للمدح بقوله(١٢٥):

ورث الشجاعة والنهي عن هاشم *** والنبل رقراقاً عن الزهراء

(١٢٢) الطريحي، اجراس كربلاء: ٢٨ .

(١٢٣) اجراس كربلاء: ٣٨، من قصيدة «العودة الى كربلاء» لأحمد دحبور.

(١٢٤) أحمد، أسس النقد الأدبي: ١٨٨.

(١٢٥) اجراس كربلاء: ٨ .

وغزا قلوب دعائه وعداته *** بفضيلتين مروءة ووفاء
وفي بعض الأشعار يتطرق الشعراء أحياناً الى خصال الحسين الذاتية، ويشيرون
إليها في مستهل قصائدهم السياسية - الاجتماعية ليلقنوا الناشئة دروساً في الجهاد
والسير على طريق الهدى^(١٢٦):
أبدأ ذكراك نور وهداية
أبدأ تكتب للتاريخ آية
يا إماماً ثار في وجه الغواية
يا عظيماً عاش في وجداننا أغنى حكاية
الى جانب المدح، اهتم الشعراء بدم الأعداء وهجائهم، ونالوا منهم بذكر نسبهم
وصفاتهم الذميمة.

اتبع الشعراء المعاصرون حسن الهجو^(١٢٧) لما قصرُوا أبياتهم الهجائية.
ومن ميزات شعر الهجو في هذا العصر صدق العاطفة، فالشعراء بدأوا يهجون
أعداءهم بحقد وغضب عميقين، وأثروا على سامعيهم وهم يشرون الى صفات العدو
الردئية^(١٢٨):

يزيد الغرور، يزيد الفجور *** يزيد الخمور، وما يتبع
ويجبن عن كل فخر كما *** على كل موبقة يشجع
وأثمن من أنفس المسلمين *** له قدح بالطلّى يترع
لميزات العصر والعلاقات الاجتماعية والمجتمع المدني تضاعف فن الهجاء شيئاً
فشيئاً، ولكن مع ذلك نرى في نماذج هجائية انصراف الشعراء عن هجو قتلة
الحسين (عليه السلام) الى هجو يزيد العصور.

من الفنون الشعرية التي تناولت موضوع الحسين وثورته فن الحماسة، وفي هذا
الفن أثنى الشعراء على طموحات المقاتلين ومعنوياتهم ونخوتهم وإعراضهم عن
زخارف الدنيا وذلك الى جانب وصفهم المقاتلين وملاحم الأبطال^(١٢٩).

ليث له إرث النبوة غاية *** عنها يزود ودونها يتجشم
عرضت له الدنيا فأعرض ساخراً *** منها وراح لسخفها يتبسّم
ما ثار للدنيا كما ثاروا ولا *** لحطامها إذ ليس فيها مغنم

(١٢٦) نور الدين حسن، عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ١٧٧.

(١٢٧) أسس النقد: ٢٥٨.

(١٢٨) أدب الطب: ٢٨٤/١٠.

(١٢٩) عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ١٦٦.

يستنهين هؤلاء الأبطال بالموت، ويسخرون منه، ويتسابقون الى الارتشاف من حوضه هاربين من الحياة الذليلة(١٣٠).

ذكرى الإباء يرى المنية ماءها *** أصفى من النبع الذليل وأعذب
ويتنازع هؤلاء العظماء كأس المنية(١٣١).

وتنازعوا كأس المنية بينهم *** في غير ما لغو ولا تأثيم
ومن الفنون الشعرية التي نالت اهتمام شعراء الحسين فن الحكمة، ففي هذا
العصر خُذ الشعراء نداءهم بأبيات حكمية، ولما أرادوا الإشارة الى غدر الكوفيين
وتكالبهم على حطام الدنيا وخذلانهم الحسين، استندوا الى قاعدة عامة، ووصموا
الدنيا بالخدعة والتزوير والغدر(١٣٢).

يا دهر بئس خليل أنت منطوياً *** على مخالِب ذئب فاعلاً عجباً
لم ترع أيّ ذمام حق صاحبه *** عن الحتوف وترضى الزيف والريباً
ورغم أن نهضة الحسين(عليه السلام) لم تتوج بالنصر وانهزمت ظاهرياً ولم يتبعها
إلا نفر قليل من الناس إلا أنها ستبقى خالدة، لأن الدين والعدل خالدان رغم قلة
الموالين وهجمات الملحدين(١٣٣):

والعدل لا تبليه قلة أهله *** والدين لا يوهيه طعن الملحد

مواضيع الشعر الحسيني

هناك مواضيع تقليدية يحذوها شعراء ويتبعونها في الشعر الحسيني كنقل
الروايات التاريخية، وذكر مقتطفات مقدسة عن حياة الحسين وثورته، وتبيين أهداف
الإمام ودوافعه في هذه النهضة.

وللشاعر المعاصر رؤى جديدة وآفاق ينظر من خلالها الى معطيات ثورة
الحسين، ويحاول استثمارها في سبيل القضايا السياسية والاجتماعية.
ومن المحاور المهمة التي دارت حولها قصائد المعاصرين ولا سيّما شعراء
المقاومة محور قيادة الإمام الحسين(عليه السلام) ونضاله المستكبرين وضرورة الاقتداء
به(١٣٤):

نسجت حولك البطولة رمزاً *** وارتوت منك دوحة الشهداء
مطمع أنت في العلاء بعيد *** وإباء أعظم به من إباء

(١٣٠) جمال الدين، الديوان: ٥٠٦ .

(١٣١) أدب الطف: ٣٣٠/٩ .

(١٣٢) ليلة عاشوراء: ٤٠٧ .

(١٣٣) أدب الطف: ٢٤٧ .

(١٣٤) أدب الطف: ٢٧٩/١٠ .

ويتناول الشاعر المعاصر رموز انتصار الحسين في ثورته، الصمود والتحدي وعدم الانصياع للظالمين^(١٣٥):

لم يبق من جرح الحسين سوى التمرد والتحدي
جرح له والشمس ألف غد يجيء وألف وعد
لم يبق من صوت الحسين وقد غفت عند الطفوف
لم يبق من صمت الغبار سوى خذيبي يا سيوف
يتطلع الشاعر المعاصر الى مستقبل ثورات الجيل الصاعد ويراه مشرقاً منتصراً
كما انتصرت ثورة الحسين^(١٣٦).

وغداً سينتصر الحسين
وغداً ستزهر كربلاء في القلوب وفي الضلوع
وغداً ستخرج كربلاء من مآهات الدموع
وتثور أجيال الجياع فليس بعد اليوم جوع
وبانتظار منجي البشرية ومنقذها من مخالب المستكبرين يحاول الشعراء بعث
الأمل في نفوس الشعوب للثورة وإنقاذهم من الانتظار المخرب، ويرون في الانتظار
البناء حافظاً للنهضة^(١٣٧):

ويشيدوا بالتقى دولتهم *** آخر الدهر انتصافاً وسجالاً
وإمام الحق في أشياعه *** يطلب الثارات زحفاً واقتتالاً
ولما يرى الشاعر المعاصر حقارة المسلمين وذلهم بين الشعوب، يتذكر عزّة
الحسين وإبائه، فيبث روح المقاومة والصمود في النفوس، فينشد أبياتاً في غفلة
المسلمين وتسلط الطواغيت، ويستعين بعزم الحسين ليوقظ الشعوب من نومهم
العميق^(١٣٨):

يا يومَ عاشوراء طال رقادنا *** ومضى الطغاة يعربدون كثيراً
فاهرز ضمائرنا بعزمك نافخاً *** روح الحياة وبدد الديجورا
الشعر المعاصر غاصّ بشكوى الشعراء واستيائهم من وضع المسلمين المؤسف،
ويؤلمهم سكوت المسلمين تجاه تسلط الأجنبي على خيرات الأمة الإسلامية
وأراضيها^(١٣٩):

شهيدَ الإبا مات الإبا في نفوسنا *** وها نحن في كف المطامع مغنمُ

(١٣٥) الحسين وهج القصيد: ٣٩ .

(١٣٦) عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ١٨١ .

(١٣٧) ليلة عاشوراء: ٣١٤ .

(١٣٨) عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ١٥٨ .

(١٣٩) عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ١٦٩ .

لنا موطنٌ كالخلد حُسنًا وإثماً *** تضام بنوه والغريب ينعمُ
ويرى الشاعر المعاصر في فلسطين المضطهدة ولبنان وسورية كربلاء ثانية،
ويكفكف دموعه ويعتزل الندم ويصحو وهو في جبة فرسان الشرق كما يقول علي
بدر الدين^(١٤٠):

هو الفجر يحبو إليه الرجاء، هو النهر تحمله كربلاء
تبيح السيوف لنذر الحسين
وتبنى على الشرق خيمتها الواعدة
وها إنها كربلاء، تهاجر من أدمع النادمين
وتصحو على جبة الفارس المشرقي
ومن المواضيع الأخرى في الشعر الحسيني والتي نزع فيها الشعراء نزعة
اجتماعية وصرّحوا فيها عن مواقفهم المختلفة، قضية مجالس العزاء للإمام
الحسين (عليه السلام):

اتخذ الشعراء مواقف مختلفة إزاء عادات الشيعة وتقاليدهم في مجالس العزاء.
اللطم باليد والسلاسل وأحياناً شج الرأس بالمدى، يؤكد المؤيدون على عظم المصاب
ويصرون على إحياء ذكرى الحسين الذي ترثيه الكائنات جميعها، مناهضين بذلك
أعداء الحسين ومن يعادي مجالس عزائه^(١٤١).

وابك الكرام الذائدين عن العلى *** والدين بالقول الكريم وباليد
ذكر الزمان مصابهم فأعاده *** تاريخ عزّ للسمو مؤيد
من كل قطر روضة لكرامهم *** بندي المعالي روض ذكراها ندي
رام العدو عفاءها لكنها *** حفظت على رغم العدو بمشهد
أمّا المخالفون فيعتقدون أن الحسين أجل شأنًا ومكانة من هذه المآثم والنواح،
ويستنكرون لبونها الشاسع عن أهداف النهضة الحسينية، وتنديد المستكبرين وشجبهم.
يتألم الشاعر من خواء المآثم من المحتوى الثوري المؤثر على الحياة الاجتماعية
وما أصيبت بها من التقليد فينال من أصحاب التعازي المتصنعين بقوله^(١٤٢):

فلا تغترر فيمن يذيل دموعه *** رياء ولا فيمن ينوح ويلطم
فكلهم يذري دموع مقلد *** فما هو محزون ولا متألم
أيعرف قدرًا للإباء وللدما *** جبان مهان لا إباء ولا دم

(١٤٠) المصدر السابق: ٢٣٩.

(١٤١) أدب الطف: ٢٤٧/١٠.

(١٤٢) عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ١٦٧.

يتطرق بعضهم الى السلبيات الاجتماعية لهذه المآتم على مستوى الداخل والخارج، بينما يشير البعض الآخر الى مؤامرات الساسة الذين يستغلون مودة الناس وحبهم للحسين، فيميلون بقضية الحسين حسب أهوائهم ونواياهم ويصبغونها بصبغتهم، ويحرفون ما قصده الحسين في ضوضاء المآتم، ويطفئون أنوار هُدْيِهِ، يقول محمد مهدي الجواهري^(١٤٣):

لعلّ السياسة فيما جنت *** على لاصق بك أو مدّعي
وتشريدنا كل من يدلي *** بحبل لأهلك أو مقطع
لعلّ لذاك وكون الشجى *** ولوعاً بكل شج مولعي
يداً في اصطبغ حديث «الحسين» *** بلون أريد له ممتع

نظرة في الشعر الحسيني «الكلاسيكي والحر»

لا يسعنا المجال لإمعان النظر ودراسة لجميع المقتطفات الشعرية، فلذا نكتفي بإشارات عابرة الى المدارس الشعرية المختلفة وآراء الشعراء فيها:
تعدّ قصيدة الجواهري «أمنت بالحسين» من أحلى القصائد المنشورة في الحسين (عليه السلام). وتمتاز بصدق العاطفة ورونق شعري خاص. ويعتقد الشاعر أن هذه القصيدة ستدخله الجنة^(١٤٤).

فالجواهري الذي ينتمي الى عائلة معروفة عريقة عاش وسط بيئة عراقية وآداب شيعية، يدع مسموعاته ومشاهداته جانباً ويحاول فهم حقيقة الحسين ورؤية محيّه المهيبه، الجذابة بكل وجوده، وينظر الى الحسين وشهادته بمنظار عاطفي وجداني قائلاً^(١٤٥):

ولمّا أزحت طلاء القرون *** وستر الخداع عن المخدع
أريد الحقيقة في ذاتها *** بغير الطبيعة لم تطبع
وجدتك في صورة لم أروع *** بأعظم منها ولا أروع
فنوّرت ما اظلم من فكرتي *** وقوّمت ما اعوجّ من أضلعي
وأمنت إيمان من لا يرى *** سوى «العقل» في الشك من مرجعي
وعلى هذا الأساس يرى الجواهري أن المآتم تشكل مانعاً في سبيل الفهم الصحيح
لنهضة الحسين، فيستنكرها .

(١٤٣) جواهري، الديوان.

(١٤٤) مجلة القصب، العدد الحادي عشر، مقالة رحلتي مع الجواهري لمدين الموسوي: ١٠٩.

(١٤٥) الجواهري، الديوان.

أما عبدالله العلانلي فإنه يخالف الجواهري في رؤيته هذه رغم ثقافته السنية وبعده عن الشارع الشيعي وبيئة العراق الدينية.

يرى العلانلي في المآتم الحسينية مبعثاً على الثورة والنهضة، ويقف هذا الشاعر المصري السني أمام كنه حركة الشيعة في محرم والهأ حيران، ويسكب الدمع في رثاء الحسين مناهضاً شماتة بعض أهل السنة، واستنكارهم لما يسمونه البدعة، ويخفض الشاعر جناح الذل لملمحة الحسين ومضات هدايته ويتلذذ من كل ذلك.

يقول العلانلي في قصيدته: «دمعة سني على الحسين»^(١٤٦):

فطربتُ لمّا فهمتُ الرموز *** وأرسلت دمعِي فوق الرمم

«أبا زيت» مجد أحبيكم *** ونعم الخشوع بذكري العلم

فرؤية العلانلي هذه رؤية فكرية عقائدية لا غير.

بدر شاكر السيّاب شاعر عراقي آخر تأثر في شعره بمبادئ الشيوعية، ومن أهم ميزات شعره الحسيني هجوه اللاذع لقتلة الحسين ولا سيّما يزيد.

يستهل بدر شاكر السيّاب شعره بأبيات يخاطب فيها يزيد وينشد في المضطهدين المسحوقين وظلم الأقوياء لهم.

يصوّر السيّاب في قصيدة «الدمعة الخرساء» مظلومية آل الرسول تصويراً بديعاً تستحق الدراسة والوقوف عندها^(١٤٧):

ارم السماء بنظرة استهزاء *** واجعل شرابك من دم الأشلاء

واسحق بظلك كل عرض ناصع *** وأبح لنعلك أعظم الضعفاء

أما رؤية السيّاب لحادثة كربلاء فإنها رؤية طبقية.

«فرحات» شاعر آخر من أرض الجمال والحماسة - لبنان - ينشد حول حادثة

عاشوراء من منطلق خاص، ويحاول استثمار جوانبها الاجتماعية والسياسية في

المجتمع، ويأسى لحال المسلمين الغاطين في نومهم العميق، والغافلين عن

المستكبرين المهيمنين على بلادهم.

يتلقى فرحات من الحسين وكربلاء دروساً وعبراً، ويقطع الشاعر الأمل من

حكام سيناء، إذ لا يرى في هؤلاء الذين يسميهم الأراذل والرقاصين أهلية وجدارة

للمقاومة، ويستهزئ بتجار المساومة ومحاولاتهم لاسترجاع الأراضي في جنوب

لبنان.

يقول الشاعر في قصيدته «يابن الحداء»^(١٤٨):

(١٤٦) العلانلي، عبدالله، الإمام الحسين: ١١٠.

(١٤٧) أجراس كربلاء: ٤٩.

(١٤٨) عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر: ١٨٤.

إيه أبيّ الضيم إن حياتنا *** موت وإن نعيمنا أو هام
مولاي من حاربتهم في كربلا *** ملأوا الربوع وكلهم قمقام
فيزيد عار بألف ألف متاجر *** فإذا مضى جاء الوجود هشام
نظم فرحات في عاشوراء قصائد وانطلق فيها من منطلق اصلاحي وبرؤية
سياسية - اجتماعية.

الشعر الحر

يستنطق الشاعر في هذا الأسلوب جميع الكائنات لتتشد في مصاب الحسين،
ويرمز الى ما يريد قوله، مستعيناً بالتصنيع اللفظي والمعنوي.
فهذا «رشدي العامل» يرسم لنا في «الحسين يكتب قصيدته الأخيرة» صورة
لمباهاة الحسين بانتصاره، مستخدماً الكناية والاستعارة وينقل لنا حديث رأس الحسين
مع يزيد وشط الفرات في كربلاء القاحلة^(١٤٩):

جرّب الآن في جسدي يا يزيد
فسأبقى الحسين
وتبقى إذا ذكر الناس
هذا يزيد

يشير «معروف عبدالمجيد» أيضاً في قصيدة «موتة المثال» الى موت الحسين
المثالي، ويرمز بعناصر الطبيعة الخلابّة ونزاعها مع الفناء والضياع الى موت حيّ
يشبه شجرة مثمرة باسقة، استوت على جذور الفقر والمسكنة، إلا أنها أخذت تتناطح
السماء وتطاولها، وفي النهاية آثرت الموت ظمأً على شواطئ المياه المتبخرة، موت
مثالي كموت الحسين^(١٥٠):

أموت مثل شجرة
ممتدة الجذور في الخواء
هاربة الأغصان في الفضاء
* * *

أموت مرتين
والماء في الأنهار، في دلال مشرك
ينأى مع المدى المخيف
ساحباً في إثره اليدين

(١٤٩) مجلة شيراز، العدد الأول: ١٤٥.

(١٥٠) عبدالمجيد، بلون النار... بلون الغدير: ٧٩.

أموت مودة الحسين

وفي كتاب «الحسين لغة ثانية» استخدم «جواد جميل» خياله الغامض ليتناول قضية عاشوراء.

يرى الشاعر أنه لا يستطيع وصف هذه الحادثة، فيمر عبر خمسة عشر فصلاً ملبداً بالتراب ليشق طريقه نحو الحقيقة، فيدخل المشاهد، وفي المشاهد تناجيه الدناسة والطهارة، فيسمع حقيقة الحادثة من القتلة والأبطال وفي نهاية المطاف يتوخي الشاعر معطيات ثورة الحسين، ويتقصى في ثنايا التاريخ كله جميع المنتصرين والمغلوبين، ويتساءل: هل الحسين صرم أم السيف؟

هل الخيام أحرقت أم احترقت؟ هل الحسين عطش أم الفرات؟

وعلى هذا الأساس يرى الشاعر أنه لا يمكن وصف حادثة عاشوراء إلا بلغة ثانية: (١٥١)

لم تزل بين جرح الحسين

وبين قصائدنا

مدن قانية

ولكي نقرأ الجرح

لابد من لغة ثانية

الخاتمة

استهلنا بحثنا الوجيز هذا في النهضة الحسينية عبر التاريخ وتناولنا المواضيع التالية:

- مواقف المؤيدين والمخالفين تجاه الحركة الحسينية.
- الأرضية الفكرية للمعاصرين من المفكرين ووجهات نظرهم في الثورة الحسينية.
- الأدب المتأصل من جذور شجرة هذه الثورة الباسقة.
- العوامل المؤثرة في نشأة الشعر وترعرعه من عاشوراء حتى العصر الراهن.
- الشعر الحسيني المعاصر بين العرض والتحليل.
- وللحيلولة دون الإطالة في الحديث نشير الى ثمار هذا البحث في الشعر الحسيني المعاصر.

١ - في الشعر المعاصر، تعد الثورة الحسينية رمزاً للإباء والعزة، ولقد استخدم جل الأدباء العرب هذا الرمز، بينما لم يتناوله في الماضي إلا ثلثة من الأدباء.

- ٢ - يلاحظ تنسيق كامل بين أغراض الشعر الحسيني المعاصر ومتطلبات الحياة السياسية والاجتماعية.
- ٣ - سارت الفنون والأساليب الجديدة بالشعر الحسيني المعاصر بعيداً عن التقليد والتكرار الذي كانت تنم منه في العصور الماضية؛ ولذا يمكننا أن ندعي بأن الفنون الجديدة والأساليب المبتكرة غطت مساحة ٦٠% من الشعر وذلك بعد دخول الشعر الحر والمسرحيات المنظومة والملاحم ساحة الأدب الفسيحة.
- ٤ - امتزج - في الشعر المعاصر - الفن بالالتزام، دون أن تبعد المسائل السياسية والاجتماعية والعقائدية الشعراء المعاصرين عن العمود الفني للشعر.
- ٥ - أنشد الشعراء بمختلف مذاهبهم ومبادئهم من الشيعة والسنة والشيوعية والمسيحية في الحسين وثورته، وهذه ظاهرة جديدة لم يكن للأدب العربي بها عهد. دار هؤلاء الشعراء جميعاً حول محور واحد وانبهروا بميزات مشتركة للثورة الحسينية؛ الحق والحرية والإباء.
- ومن الله التوفيق

المصادر

- ١ - الاصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٢٩ م، ١٣٤٧ هـ.
- ٢ - ابن الأثير، عزّ الدين، أسد الغابة، الشعب - القاهرة، لا.ت.
- ٣ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر - بيروت ١٩٨٢م، ١٤٠٢ هـ.
- ٤ - ابن رزيق، طلائع، الديوان، تبويب وتقديم: محمد هادي الأميني، منشورات مكتبة الأهلية، الطبعة الأولى ١٩٤٦ م، ١٣٨٣ هـ.
- ٥ - ابن العربي، أبو بكر، العواصم من القواصم، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧١ هـ.
- ٦ - الأمين، محسن، أعيان الشيعة، انتشارات وزارة الثقافة والأعلام الاسلامي، طهران ١٣٧٤ هـ. ق / ١٤١٥ هـ. ق.
- ٧ - الأميني النجفي، عبدالحسين أحمد، الغدير، دار الكتب الإسلامية، تهران ١٣٦٦ هـ. ش.
- ٨ - بارا، انطون/ الحسين في الفكر المسيحي، مؤسسة العروة الوثقى، كويت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م، ١٤٠٠ هـ.

- ٩ - ابن قولويه القمي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، مكتبة الصدوق، چاپ أول، زمستان ١٣٧٥ هـ .
- ١٠ - أحمد بدوي، أحمد، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، لا.ت.
- ١١ - آل عبدالمحسن، عبدالله حسن، شعراء القطيف المعاصرون، مطابع الرجاء، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .
- ١٢ - الحسن، عبدالله، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، بهمن، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .
- ١٣ - الحسيني، هاشم معروف، الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ، مطبعة الأمير، قم / الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ .
- ١٤ - الحكيم، محمد باقر، ثورة الحسين، مؤسسة الإمام الحسين (عليه السلام)، قم، ايران، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ .
- ١٥ - الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين، تعليق: محمد السماوي، مطبعة الزهراء في النجف ١٩٤٨م، ١٣٦٧ هـ .
- ١٦ - جمال الدين، مصطفى، الديوان، دار المورخ العربي الطبعة الثانية ١٩٩٥م، ١٤١٥ هـ .
- ١٧ - جميل، جواد، الحسين لغة ثانية، أمير / ١٩٩٦م، ١٤١٦ هـ .
- ١٨ - الجواهري، محمد مهدي، ذكرياتي، دار الرافدين، العراق، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- ١٩ - سبط ابن الجوزي، يوسف، تذكرة خواص الأمة، المطبعة العلمية في النجف ١٣٦٩ هـ .
- ٢٠ - سلامة، بولس، عيد الغدير، المؤسسة الثقافية لهيئة أنصار الحسين، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م، ١٤١٠ هـ .
- ٢١ - شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان الطبعة الثانية ١٩٩٦م، ١٤١٧ هـ .
- ٢٢ - الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار، دار القلم، بيروت، لا.ت.
- ٢٣ - شبّر، جواد، أدب الطف، مؤسسة الأعلمي، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠م، ١٤٠٠ هـ .

- ٢٤ - الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار القاموس الحديث، بيروت، لا.ت.
- ٢٥ - الطريحي، محمد سعيد، أجراس كربلاء، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ١٤٠٩ هـ .
- ٢٦ - عبدالمجيد، معروف، أحجار لمن تهفو لها نفسي، المكتبة الأدبية المختصة ١٩٩٧م، ١٤١٨ هـ .
- ٢٧ - العلائلي، عبدالله، الإمام الحسين، دار مكتبة التربية، بيروت / الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
- ٢٨ - قبّاني، نزار، الأعمال السياسية، منشورات نزار قبّاني، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى .
- ٢٩ - القرماني، أخبار الدول، لا.نا، لا.ت.
- ٣٠ - المحاسني، زكي، شعر الحرب في أدب العرب، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر ١٩٦١م.
- ٣١ - محدثي، جواد / موسوعة عاشوراء، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، لا.ت.
- ٣٢ - المخضوضر، عبدالهادي / عليك تبكي السماء / دار الهادي / بيروت - لبنان / الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ١٤١٣ هـ .
- ٣٣ - مطر، أحمد، لافتات ٣ / لندن / الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
- ٣٤ - ملتقى القطيف الأدبي/ الحسين وهج القصيد / مؤسسة المار ١٤١٦ هـ .
- ٣٥ - نور الدين، حسن / عاشوراء في الأدب العالمي المعاصر / الدار الإسلامية / ١٩٨٨م.
- ٣٦ - الورداني، صالح / الشيعة في مصر / مكتبة مدبولي الصغير / الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.
- ٣٧ - هويدي، فهمي / ايران من الداخل / مركز الأهرام للترجمة والنشر/ القاهرة / الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٨م.
- ٣٨ - ياسين، باقر / مظفر النواب / دمشق / الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- ٣٩ - مجلات:
- * الفكر الجديد / مجلة فصلية / السنة الخامسة - شباط ١٩٩٧م العددان ١٥ - ١٦ / سنة ١٤١٧ هـ .
- * القصب / العدد ١١ السنة الثالثة / خريف ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

- * شيراز / فصلية / السنة الأولى العدد ١ / خريف ١٩٩٧ م.
- * الإيمان / عدد خاص / العدد ١ - ٢ / ١٣٨٣ ق.
- * الموسم / العدد ٢ - ٣ - ٤ / السنة الأولى / ١٩٨٩ م.
- * البلاغ / العدد ٢ / السنة الخامسة / ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م
- * كلّ العرب / اسبوعية

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الحسين من التربية النبوية

الى الحالة الثورية

علي أبو الخير / مصر

الحسين من التربية النبوية الى الحالة الثورية

ارتبط اسم الحسين بالثورة وارتبطت الثورة به عند محبيه وخصومه على السواء، والثورة الحسينية ما كانت إلا تنويجاً لأمر كثيرة منها ما يختص بتربيته ومنها ما يرتبط بالأوضاع الداخلية في الدولة الإسلامية ومنها ما يختص بالدين الإسلامي نفسه .

وبحثنا هذا يشرح الأبعاد الحقيقية للتربية النبوية التي جعلت من الحسين ثائراً ليس له نظير في التاريخ البشري، وجعلت من ثورته نبزاً هادياً لكل الثائرين لأن كل البشر يتوقون لرجال تحاط سيرتهم بهالة من الضياء القدسي يستمدون منهم القدوة، كما يحتذي سيرته الحائرون والذين يتلمسون طريقهم نحو النجاة من وحل الدنيا وطغيان الإنسان لأخيه، إن ثورة الحسين نموذج لكيفية إدارة الصراع مع الشر دون اللجوء إليه لحسم هذا الصراع ودون اللجوء إلى خيانة الوسيلة مقابل إحراز النصر^(١٥٢) .

حياة الحسين

يمكننا الوقوف عند أربع مراحل من حياة الإمام الحسين (عليه السلام):

- ١ - حياته أثناء فترة الوحي والخلافة
- ٢ - حياته تحت لواء القيادة الشرعية للدولة الإسلامية
- ٣ - ثورته
- ٤ - حياته بعد استشهاده

أولاً: حياة الحسين أثناء فترة النبوة والخلافة

ولد الإمام الحسين في الثالث من شهر شعبان في السنة الرابعة حيث زفت البشرى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فطلب من أسماء بنت عميس أن تحمله إليه فحملته إليه في خرقة بيضاء فاستبشر (صلى الله عليه وآله) به وضمه إليه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ثم طلب من الإمام علي (عليه السلام) أن يسميه حسيناً، وتحت إشراف النبي الأعظم كانت تربية الحسين^(١٥٣) فكانت العناية الربانية قد هيأته لكي

(١٥٢) من مقدمة كتابنا «في رحاب كربلاء».

(١٥٣) د. أحمد النفيس، نفحات من السيرة: ٩٩.

يكون إماماً كاملاً فوعى في طفولته أحاديث تجعله ضمن صحابة النبي الكريم رغم أنه لم يعاشره سوى ستة أعوام، كما أنه خلال تلك الفترة القصيرة في ملازمة النبي صح عنه صلى الله عليه وآله أحاديث كثيرة تشيد بفضل الحسين كما تشيد بفضل الحسن بالإضافة إلى الكثير من فضائل أهل البيت جميعاً ففي فضل الحسين جاء :
قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(١٥٤) كما قال(صلى الله عليه وآله): «الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة»^(١٥٥).

كما قال أيضاً عن الحسن والحسين : «هذان أبناي وأبنا ابنتي اللهم إنك تعلم أي أحبهما ، فأحبهما اللهم إنك تعلم أي أحبهما فأحبهما»^(١٥٦) وعنه أيضاً كما جاء في البخاري «هما - أي الحسن والحسين - ريحائتي من الدنيا» .

وتواترت الأحاديث النبوية الكثيرة في فضل الحسين والحسن والإمام علي ومعهم الزهراء(عليهم السلام) مما يوحي بأن النبي الكريم حرص كثيراً على تذكير أمته بفضل أهل بيته كمن يرى نور النبوة ما سوف يحدث لهم في مستقبل الأيام ولنا أن ندرك أنه لم يوص النبي قبله بأل بيته مثلما حرص عليه الصلاة والسلام على ذلك، والآية الكريمة: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)^(١٥٧) كانت تعني أن النبي الكريم لم يطلب أجراً على دعوته من الأمة سوى الحرص والتمسك بهؤلاء نوي القربي مما يجعلنا نتساءل هل كان حب النبي للحسين حب الرجل لحفيده، أم أن الأمر أكبر من ذلك؟ فالنبي الكريم لم يعلن فضل الحسين وباقي أهل البيت إلا لأنهم حملة علمه وورثة نبوته ولا يمكن أن نفهم دون ذلك وإلا فبماذا نفهم ما جاء في آية التطهير من الرجز، فعندما نزلت الآية الكريمة: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(١٥٨) دعا النبي بعباءة خيبرية وجلل بها علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال : «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(١٥٩) فهل طلب النبي لهؤلاء الخمسة بالتطهير من الرجز إلا لكونهم معدودين في الأئمة وآباء الأئمة الذين عصمهم الله من أي رجس حتى يكونوا قادة شرعيين للأمة؟

وعودة إلى طفولة الحسين نجده ملازماً لأبيه ينهل من بحره الزاخر فهو باب مدينة العلم والذي يأخذ عنه المسلمون بعد وفاة النبي الكريم، فالإمام علي أكمل تربية

(١٥٤) الترمذي، فضائل الخمسة : ٣ / ٢٦٢.

(١٥٥) النسائي، خصائص أمير المؤمنين: ٨٤.

(١٥٦) كتاب التاريخ للبخاري: ٢ / ٢٨٦.

(١٥٧) الشورى: ٢٣ .

(١٥٨) الأحزاب: ٣٣.

(١٥٩) أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم

الحسين بعد وفاة النبي والزهاء فامتلاً نوراً وعلماً وحكماً وزهداً في الحياة الدنيا، ويبدو من سيرة الحسين أن دوره في الحياة الإسلامية بدأ مبكراً، فقد ساهم في حركة الإسلام الصاعدة وهو لا يزال في دور الصبا في حياة أبيه^(١٦٠).

فقد عاصر الإمام الحسين وفاة النبي الكريم ورأى كيف آلت الخلافة من بعده إلى غير قائدها الشرعي المتمثل في الإمام علي، كما رأى كيف حرص الإمام علي على وحدة الأمة أكثر من حقه في تراث النبي(صلى الله عليه وآله) فلم يعلن انشقاقه رغم كثرة مؤيديه - وأثر وحدة الأمة - وظل على ولائه الشريف وتضحيتته المعذبة ونبل خلقه، وأنه حرص على الاحتجاج السلمي بحقه حتى لا يضيع حق الأئمة من بعده وقال لهم في منطلق عقلي سياسي بارع: «زعم الأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لكان محمد صلى الله عليه وآله منكم فأعطوكم المقادة وسلموا لكم الإمارة وأنا أحتج عليكم بمثل ما أحتجتم به على الأنصار إن كانت الإمامة في قريش فأنا أحق قريش بها وإلا فالأنصار على دعواهم نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فأتصفونا إن كنتم مؤمنين» .

الإمام الحسين كان يدرك جيداً أن أباه أولى بإمارة المؤمنين ولكونه يمثل القيادة الشرعية إن لم تكن بالوصاية فبكثره فضائله وما أجمع عليه سائر المسلمين بأنه الأذن الواعية وأنه أعلم الصحابة بكتاب الله وأنه المقصود بأية الولاية وحديث المنزلة وحديث البخبة بالإضافة إلى آية التطهير كما أن الحسين سمع أمه الزهراء(عليها السلام) في خطبتها المشهورة المؤيدة لحق علي في قيادة الأمة .

ولكن الحسين - ومعه الحسن - انضويا تحت لواء الإمام علي يصنعان ما يصنع ويقولان ما يقول: بايع الإمام أبا بكر ثم عمر فبايعا وأصدق لهما القول فأصدقا وأخذ يبيت علمه على المسلمين فعملاً مثله، سمعاه يوصي عمر بن الخطاب بعدم الذهاب لحرب الفرس بنفسه ضناً منه به على الخروج إلى حرب الفرس حيث قال له ضمن ما قال : «إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك...».

وعلم ابن الخطاب ما يكته فتى هاشم لأمة الإسلام وما يحرص فيه على الخليفة حتى وإن رأى أنه أولى منه بإمرة المؤمنين لذلك أطلق عمر مقولته المشهورة «لولا علي لهلك عمر».

الإمام الحسين أدرك أن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) - وهو منهم - يحرصون على الحفاظ على الكيان السياسي الإسلامي المتمثل بالدولة الإسلامية وعلى قوته ومنعته، على الرغم من وجود المؤاخذات الكثيرة لديهم على مجمل الأوضاع التي تعيشها هذه الكيانات في مختلف العهود، ولكنهم كانوا ينظرون إلى هذه المؤاخذات في إطار

ضرورة المحافظة على الكيان الإسلامي في مقابل الأعداء الخارجيين والتهديدات التي كانت تواجهه، وفي هذا المجال كان على أئمة أهل البيت أن يحافظوا على موازنة دقيقة وحساسة نجد معالمها وآثارها في مجمل سلوكهم وأحاديثهم المروية عنهم^(١٦١) فمن ناحية كان يرى ضرورة المحافظة على هذا الكيان بحيث يبقى قادراً على أداء وظائفه الأساسية في حفظ الأمن والاستقرار والدفاع عن الوجود الإسلامي أمام التهديدات الخارجية ومن هذا المنطلق لم يكونوا يسمحون لأنفسهم أن يقوموا بأعمال ثورية مضادة كما كانوا ينصحون شيعتهم في أغلب الحالات بعدم المشاركة في هذه الأعمال، لأنها تزعزع هذا الوجود وتجعل الدولة الإسلامية تعيش في الفوضى والاضطراب وتضعف أمام الأعداء^(١٦٢).

وكان هذا ديدن الإمام علي ومعه إبناه الإمامان الحسن والحسين؛ فلم يشقوا عصا الطاعة للخلفاء الثلاثة بل ظلوا حريصين على المشاركة بالأقوال في الدفاع عن الدولة الإسلامية.

كما تحمّل الإمام علي عبء المسؤولية الشرعية والأخلاقية والإنسانية تجاه الانحراف في الحكم الذي يرونه لا يتطابق مع تصوره للحكومة الإسلامية الشرعية^(١٦٣) كما جاءت في القرآن الكريم؛ ولذلك عندما حدث الانحراف الأموي عن الحكم الشرعي القرآني أثناء خلافة عثمان بن عفان وجد الإمام علي نفسه محاصراً بين حرصه على وحدة الأمة وحماية الخليفة من بطش الثوار من جهة وبين حرصه أيضاً على إقامة الحكم الشرعي الصحيح كما جاء في القرآن الكريم وفي سيرة النبي الأعظم؛ لذلك نجده يقول للخليفة الثالث: «الناس إلى عدك أحوج منهم إلى قتلك» كما تعامل مع الفتنة بصبر المؤمن وفراسة الزاهد، كان يعلم جيداً أن أمراء بني أمية سيفترون عليه كذباً للتحريض على الخليفة وهو الذي ظل يدافع عنه ويرد عنه الثوار والخليفة - تحت وطأة الوشائيات الكاذبة - يخرج به إلى ينبع ثم إذا ضاق عليه الحال طلبه ليكفهم عنه، وكان همه إنقاذ الخلافة التي تعني هيبته وموقعها في الإسلام

إليه فلم يجد أذناً صاغية واعتكف مكرهاً فقد كانت مسؤولية الدور تقتضي نكران الذات من أجل القضية وتحمل أعباءها على حساب طموحه ومشروعه، وعندما توجهت إليه الأنظار كمنقذ للدولة بعد مقتل عثمان كان كل شيء قد انهار، الدولة

(١٦١) السيد محمد باقر الحكيم، الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين : ١٠٣.

(١٦٢) الوحدة الإسلامية: ١٠٣ - ١٠٤.

(١٦٣) المصدر السابق بتصريف: ١٠٤.

والقيم الجذرية فلم يبق سوى التشاحن والصراع على المصالح ومع ذلك وجد نفسه أمام ذلك الدور فلا يتردد في اقتحام الخطر^(١٦٤).

ثانياً: حياة الحسين في ظل القيادة الشرعية

كان الإمام عليّ يتعامل مع الخلافة حسب ما تقتضيه المصلحة الإسلامية حفظاً للإسلام وحماية الجماعة الإسلامية من التمزق والضياع خاصة وأن الفتوح هدأت بعد اشتعال الفتنة وقيام جماعة المصالح بالتحريض على خلافة الإمام والذي يعتبر القيادة الشرعية للمسلمين لذلك قال (عليه السلام): «فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه تلمأ أو هدماً تكن المصيبة به عليّ أعظم من فوات ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلانل يزول منها ما كان كما يزول السراب، وكما ينقش السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهه^(١٦٥)»^(١٦٦).

وفي ظل الظروف العصبية التي حدثت للمسلمين لا يمكن تخيل أي رجل يتحمل عبء مسؤولية إعادة الأمة إلى شرع الله سوى عليّ، ذلك أن الذين إشرأبت أعناقهم للحكم كانوا من أولئك الذين يرونه تشريعاً لا تكليفاً، ولا يهمهم وحدة الصف بمقدار حرصهم على وجاهة السلطة وكلمة الخليفة، والإمام علي ردد كثيراً: - «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا إلتماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك»^(١٦٧) و«لأفئتم دنياكم هذه أزهدي من عفة عنز»^(١٦٨).

ولكن في سبيل إعادة المسلمين إلى الجادة فإنه واجه قوى المصالح وأعوانهم وقوى الأهواء وأعوانهم وهؤلاء سمعوه يقول في أول خطبة له بعد تسلّمه الخلافة: «ألا ليقولن رجال منكم قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا منعتم ما كانوا يخوضون فيه واصرتهم إلى حقوقهم التي يعملون فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون : حرما ابن أبي طالب حقوقنا»^(١٦٩).

(١٦٤) د. إبراهيم بيضون ثورة الحسين، مجلة النور اللندنية العدد ١١٩ ص ٦١، محرم ١٤٢٢ هـ.

(١٦٥) تنهه: كفه وزجره فكف.

(١٦٦) نهج البلاغة / تحقيق محمد عبده: ٢٣٠.

(١٦٧) نهج البلاغة، محمد عبده: ٥٦.

(١٦٨) المصدر السابق: ٢٩.

(١٦٩) المصدر السابق: ٨٩. وعلي من المهدي إلى اللحد للسيد محمد كاظم القزويني ص ٤٢١.

وقد فعل وقد قالوا ولم يكتفوا بالقول بل خرجوا عليه جماعة المصالح خرجت عليه في الجمل وادّعوا انهم بايعوا والسيف على أعناقهم ولم يرعوا جماعة المسلمين ولا وحدتها، ولكنهم رأوا ابن أبي طالب يحرمهم مما كانوا يستمتعون به - دون وجه حق - فزعموا أنهم فوق الناس بإيمانهم وبأسبقية دخولهم للإسلام رغم أن النبي نفسه ساوى بين الجميع في العطاء وترك لله عزّ وجلّ مجازاة كل الذين دفعوا عن دين الله وهو مستضعف جماعة المصالح إن كانت قد انتهت بسرعة يوم الجمل فإن أصحاب الأهواء في الشام لم يتركوا القيادة الشرعية للأمة تواجه أعداءها بل واجهته بضراوة قتالية عنيفة ثم القيام بحملة دعائية تهدف تشويه تراث القائد الشرعي للأمة .

الإمام الحسين الذي انضوى مع الإمام الحسن تحت لواء تلك القيادة جاهداً مع إمام الفتنة الطاغية الجديد معاوية بن أبي سفيان الذي لم ينس يوماً الخلاف القديم بين أمية وهاشم رغم أنه اعتنق الإسلام - حتى وإن كان من المؤلفة قلوبهم - فلم يكن طالب خلافة ولكنه كان يهدف إلى ملك الأكاسرة والقيصرة وإحياء العصبية القديمة بين الأمويين والهاشميين بتأسيس ملك خالد على الزمن لبني سفيان وتعلل بمقتل عثمان واتخذة ذريعة لمناوأة الإمام والإدعاء عليه ظلاماً وجوراً بأنه حرّض على قتله؛ فإذا كان الإمام علي ومعه الجماعة الصالحة يريد أن يعيد الناس إلى سيرتهم الأولى في الورع والزهد وتكعب سبيل المؤمنين فضرب بنفسه المثل الأعلى لهم فإن معاوية كان يدفع بالناس إلى ما تصبو إليه نفوسهم من المال والجاه^(١٧٠).

كان الإمام علي يضمن بالحسن والحسين عن القتال وقال لأصحابه: - «املكوا عني هذين لنلا يهداني لأني أخشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله»^(١٧١).

لم يكن الإمام علي بالذي يضمن بنفسه عن قتال القوم فضلاً عن ابنه ولكنه كان يدرك أن هدف الأمويين اجتثاث كل فرع للنبي وهو خير فرع بني هاشم حتى لا يكون منهم من ينزع منهم سلطانهم، فكان ما كان من علي من رفض مشاركة الحسن والحسين في القتال الفعلي لأنّ تكالب القوم سيكون عليهم أشدّ كأنه كان يرى الغيب وهو يرى الحسين وباقي نسله في كربلاء يواجهون حرب إبادة لاهوادة فيها شملت الشيوخ والأطفال حتى الرضع منهم.

الإمام الحسين رأى كيف تمكن معاوية ومعه فريق الدنيا يقودهم عمرو بن العاص في شراء ذمم الكثير وخداع الأكثر وتشويه صورة أبيه بما ليس فيه واستخدام الألقاب المحببة بطريقة كيدية مثل لفظ أبي تراب وهو كنية كنى النبي علياً بها، وجعلها الأمويون سبة سخرية من علي وأبنائه وشيعتهم جميعاً.

(١٧٠) حسن كامل الملطاوي، الإمام الحسن بن علي: ٨٩.

(١٧١) نهج البلاغة: ٢ / ١٨٦.

حاول الإمام علي كثيراً أن يرد هؤلاء الغاوين الى جادة الصواب عبر رسائل كثيرة مقنعة، ولكن معاوية أصم أذنيه واتبع هواه ورفض كل نداء للانصياع حرصاً على وحدة الأمة، ففي إحدى هذه الرسائل يقول الإمام علي (عليه السلام): «أما بعد! فإن بيعتي بالمدينة لزمته وأنت بالشام، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً، كان ذلك لله رضا، فإذا خرج منهم رجل ردوه الى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وأولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً، وإن طلحة والزبير بايعاني بالمدينة ثم نقضوا بيعتي، فكان نقضهما كردتهما، فجاهدتها بعد أن أعذرت إليهما، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب أمورك الى العافية، إلا أن تتعرض للبلاء، فإن تتعرض للبلاء قاتلتك واستعنت بالله عليك، وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم اليّ، أحملك وإياهم على كتاب الله، فإما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لنن نظرت بعقلك دون هواك لتجدي أبرأ الناس عن دم عثمان، وأعلم يا معاوية أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعقد معهم الإمامة، ولا تعرض فيهم الشورى... فبايع لا قوة إلا بالله»^(١٧٢)، وهو كتاب من أبلغ كتب الاحتجاج السياسي القائم على المنطق الذي لا لبس فيه ولا غموض، فهو يفند كل حجة اتخذها معاوية ذريعة لرفض البيعة خاصة وأنه طلب منه أن يحكم عقله دون هواه، ولكن معاوية رفض كل نداء ورد كل حجة أفنق بها أهل الشام البعيدين عن مركز الخلافة الورعة والذين لم يدركوا مكانة الإمام عليّ فقد تم تشويه صورته لديهم، أما غيرهم فقد تمكن معاوية من شراء ذممهم بالمال، واشترى آخرين لكي يضعوا فيه من الفضائل، ونسبوا هذه الفضائل الى أحاديث وضعت على لسان صاحب الرسالة، ثم ادعوا أنه كان من كتبة الوحي، رغم أنه لم يخط يوماً بيده كلمة من كتاب الله^(١٧٣)، وكانت خدعة التحكيم التي أدت الى فرقة الأمة أكثر، وجعلتهم شيعاً أكثر، كلهم يدّعي أنه على الحق، وكلهم يدعون الى نزع الخلافة من قيادتها الشرعية، كان الإمام الحسين يعي جيداً أن أباه الذي فرض عليه التحكيم فرضاً كان يجد في سيرة النبي أسوة حسنة له، وقد اتخذها منهج حياته حتى في كتابة صيغة كتاب التحكيم، النبي تنبأ له يوماً عندما أخبره بأنه سيسام مثلها فيعطى، وأنه سيحارب على تأويل القرآن نفس الذين قاتلهم على تنزيله، ثم شاهد جلساء الإمام يقتلون مثل عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر ثم رأى كيف يعمي التطرف بصيرة الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم

(١٧٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٦٧، وانظر بحثنا الخطاب السياسي عند أهل البيت، مجلة النور اللندنية عدد / ١٢٥ ص ٧٩ -

يحسنون صنعا، فما هو ابن ملجم يسم سيفه ويعتقد أنه ممن يتقربون الى الله بقتل قائد الأمة الشرعي، فقتله بعد أن تجرع الغيظ، تجرعه حتى الثمالة.

وبعد استشهاد الإمام علي، تسلّم الإمام الحسن القيادة الشرعية للأمة الذي خاطب القوم بعد خلافته: «أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً»، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: اصبروا إن الله مع الصابرين، فليست أيها الناس نانلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، اخرجوا رحمكم الله الى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا، ونرى و تروا»، فسكت القوم فما تكلم منهم أحد ولا أجابة بحرف، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال: أنا ابن حاتم؟ سبحان الله! ما أقبح هذا المقام ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم! أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعوة؟! فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب أما تخافون مقت الله ولا عيبها و عارها؟! (١٧٤). ثم قام قيس بن سعد بن عبادة ومقل بن قيس الرياحي فقالا مثل ما قال عدي بن حاتم وتحركوا الى معسكرهم، ومضى الناس خلفهم متناقلين، وعبأ الإمام الحسن جيشه ثم خطبهم فقال: «الحمد لله كلما حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً رسول الله، أرسله بالحق، انتمنه على الوحي، صلى الله عليه وآله، أما بعد! فوالله إنني لأرجو أن أكون بحمد الله ومثله، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وأني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري ولا تردوا على رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه محبته ورضاه، إن شاء الله»، ثم نزل، فقال: فنظر الناس بعضهم الى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظته يريد أن يصلح معاوية، ويكل الأمر إليه، كفر والله الرجل، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شدّ عليه عبدالرحمن بن عبدالله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً فتقلد سيفه بغير ردائه، فدعا بفرسه فركبه، فلما مرّ في مظلم ساباط، قام إليه رجل من بني أسد، فأخذ بلجام فرسه وقال: الله أكبر يا حسن، أشرك أبوك، ثم أشركت أنت، وطعنه بالمعول، فوقع في فخذيه، فشقه حتى بلغت أربيته، وحمل الحسن على سرير الى المدائن» (١٧٥).

أرسل الحسن الكتب الى معاوية للانضواء تحت لواء القيادة الشرعية، ولكن معاوية كان قد قطع شوطاً طويلاً في التمهيد للملك الذي راوده منذ مصرع عثمان، فقد أغدق الأموال الوفيرة على زعماء القبائل وأصحاب التأثير في المجتمع العراقي، فنقض عزائمهم وضعفت نفوسهم وتخلوا عن عزمهم على مسانيرة الإمام الحسن في

(١٧٤) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٤ .

(١٧٥) شرح نهج البلاغة: ٣٨ / ١٦ .

مواجهة معاوية حتى توالى كتبهم على معاوية تعلن الولاء والطاعة، وتعهده على تسليم الإمام الحسن له أسيراً عندما تحين ساعة الصفر وتضطرم نار الحرب»^(١٧٦).
فشرع الإمام الحسن يفكر في الصلح مع معاوية حتى لا تؤدي الحرب الى إبادة البقية الباقية من المؤمنين، والجماعة الصالحة من الموقنين بأحقية القيادة الشرعية في حكم المؤمنين لإقامة العدل ونشره وتمكين شرع الله في سيادة المساواة بين الناس أجمعين^(١٧٧).

ولكن هذا الصلح أغضب بعض هذه الجماعة الصالحة، فجاءه سفيان ابن أبي ليلى فناداه قائلاً: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال له الحسن: «ما جر هذا منك إلينا؟ فقال: أنت والله بأبي أنت وأمي أذلت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت الأمر له ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك، وقد جمع الله عليك أمر الناس، فقال: يا سفيان، إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به، ثم قال له: ما جاءنا بك يا سفيان؟ قلت: حبكم والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق، قال: أبشر يا سفيان فإني سمعت علياً يقول، سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: يرد على الحوض من أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين» يعني السبابتين، وأبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد(صلى الله عليه وآله)^(١٧٨).

ثم أضاف الإمام الحسن: «شيعة علي هم الذين لا يبالون في سبيل الله أوقع الموت عليهم أم وقعوا على الموت، وشيعة علي(عليه السلام) هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم حيث أمرهم، وشيعة علي هم الذين يقتدون بعلي^(١٧٩) في إكرام إخوانهم المؤمنين»^(١٨٠).

حدد الإمام الحسن الشيعة بعد صلحه مع معاوية، وذلك لأنه كان يعي جيداً أن هذا الصلح سيطلق يد معاوية في شراء شيعة علي، لذلك حدد الحسن معالم الشيعة حتى لا يظن أحد في أن الصلح سيجعل معاوية إماماً للمسلمين، فالإمام لا يمكن أن يكون وصفاً له بل هي ملك أو سلطان، أما وثيقة الصلح فقد نصت على أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده عهداً، وأن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وأن يأخذ الكتاب على معاوية عهد الله وميثاقه أن يكون أصحاب علي وشيعته آمنين على أنفسهم وأموالهم

(١٧٦) د. أحمد راسم مصدر سابق ص ٩٣ .

(١٧٧) المصدر السابق ص ٩٢ .

(١٧٨) شرح النهج ج ٤ ص ٧٣ .

(١٧٩) المجلسي، بحار الأنوار، كتاب الإيمان والكفر ج ٦٥ ص ١٦٢ - ١٦٣، وكتاب مدرسة الإمام الصادق/ منشورات

مؤسسة السيد الخوئي / لندن ص ١٧٤ .

(١٨٠) ابن طلحة القرشي، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ج ٢ ص ٢٨١، والشيخ الصدوق، علل الشرائع ج ١

ص ٢١٢ .

ونسائهم وأولادهم^(١٨١)، وكم كانت فرحة معاوية الطاغية بهذا الصلح لأنه ولأول مرة رأى نفسه ملكاً على مساحة لم يكن يحلم بها أجداده من الأمويين، وتمنّى أن يموت الحسن حتى يجعل الملك كسروياً أو قيصرياً كلما مات هرقل جاء هرقل.

وقد كان الإمام الحسين يأبى هذا الصلح، ولكنه أطاع القيادة الشرعية، خاصة وأن وثيقة الصلح منعت معاوية من تولية العهد من بعده لأي شخص، وأن لا يتعرض لأحد من شيعة علي، بحيث يمكن القول بأن الحسين في اعتراضه على الصلح كان ينظر الى أخلاق معاوية التي لم تتورع عن سفك دماء المسلمين بعد التحكيم عندما أطلق بسر بن أرطاة في كل البلاد يعيث فساداً ويقتل الأخير، وهو الذي جاهر بالقول بأنه سيشتري دين أصحاب عليّ بدنياه، وربما كان ذلك من الأسباب التي جعلت الحسين ينظر الى الصلح كهذبة تمنع معاوية من الاستمرار في العبث بمقدرات الأمة طالما أنه وصل الى ما يصبو إليه من الملك، ولم يكن الحسن إلا مفكراً في هذا الأمر، لذلك يقول الدكتور طه حسين مدافعاً عن الحسن في هذا الصلح: «إن الحسن لم يختلس الصلح اختلاصاً،

ولم يستخف به من الناس، والحسن قد خطب الناس غير مرة في حياة أبيه وبعد وفاته، فلم يعرف عنه عيٌّ أو حصر، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك من أهل بيت لم يعرفوا قط بعيٍّ أو بحصر، وإثماً كانوا معدن الفصاحة واللسن وفصل الخطاب... وقد خطب الحسن فقال: خير ما كان يمكن أن يقال، وأصدق ما كان يمكن أن يقال أيضاً... ولم يكن تعود الحسن عن الحرب جبناً أو فرقاء، وإنما كان كراهية لسفك الدماء من جهة، وشكاً في أصحابه من الجهة الأخرى»^(١٨٢).

ترك الإمام الحسن الكوفة وارتحل الى المدينة المنورة بأهل بيته، فإذا كان بالأمس حاكماً يدبر شؤون الأمة ويخطط لمستقبلها من خلال منصب الإمامة فإنه بعد الوثيقة اختط أسلوباً آخر، حيث أنشأ مدرسة وقيادة فكرية كبرى لتكون محطة إشعاع للهدى والفكر الإسلامي، وقد أتت مدرسته أكلها ضعفين حيث تخرج في أروقتها جهابذة العلماء وكبار الرواة^(١٨٣).

ولكن معاوية ما أن خرج الحسن من الكوفة حتى أفصح عن نفسه، وبأنه لن يفي بما أعطاه من عهود، فدخل العراق، فلما تم له ما أراد اصطنع الحزم وساس أهل العراق سياسة لم يكونوا يعرفونها من قبل، فأخرجهم من الدعة التي ألفوها، وأعلمهم أن طاعة الأمراء فرض لا ينبغي التردد فيه أو الالتواء به، وأن من لم يعط الطاعة لا

(١٨١) د. طه حسين، علي وبنوه ص ٦٥ .

(١٨٢) أحمد راسم، مصدر سابق ص ٩٥ .

(١٨٣) د. طه حسين، مصدر سابق ص ٦٧ .

أمان له، وقد برئت منه ذمة السلطان، هناك عرف أهل العراق أن حياتهم تغيرت وأنهم سيتقبلون من أمرهم أشد وأقصى ممّا كانوا يظنون، وقد جعل أهل العراق يذكرون حياتهم أيام علي فيحزنون عليها، ويندمون على ما كان من تفریطهم في حق خليفتهم^(١٨٤).

قال معاوية: «ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به»^(١٨٥)، فطلب بعض الشيعة من الحسن نقض الصلح وكان معاوية يعلم جيداً أن هذا سيحدث فعجل بسمّ الحسن»^(١٨٦).

ثالثاً: ثورة الحسين

بموت الحسن فإن قيادة الأمة الشرعية قد انتقلت الى الحسين، ويذهب كثير من المؤرخين وعلى رأسهم المفيد بأن ثورة الحسين بدأت ليس بوفاة معاوية، ولكن بانتهاء حالة السلام مع الحكم الأموي ملتزماً حتى ذلك الحين العهد معه ومحترماً قرار أخيه في الصلح^(١٨٧)، ومع هذا الاحترام إلا أن مناقشات عديدة حدثت بين معاوية والحسين، بدأها معاوية، يقول الدكتور طه حسين: «وما ينبغي أن يذكر أمر الحسين بن علي، فإن الحسين لم يكن نصّب نفسه للبيعة إماماً للمسلمين، ولم يكن معاوية قد صالحه ولا وعده ولا شرط له، ومع ذلك فقد همّ معاوية أن ينحّي الحسين عن مكانه شيئاً، لتخلص له الطريق من ابني فاطمة، وسبطي النبي، فقال ذات يوم لعبدالله بن عباس مماًزحاً يريد الجد: أنت سيد قومك بعد الحسن، ولكن عبدالله بن عباس لم ينخدع له، وإثماً أجابه في صراحة: أما وأبو عبدالله الحسين حي فلا، ومع ذلك فلم يتردد معاوية في أن يبائع بولاية العهد لابنه يزيد، وأكره الحسين كما أكره غيره من شباب المهاجرين على أن يسكتوا عن هذه البيعة التي كانوا ينكرونها في أنفسهم أشدّ الإنكار»^(١٨٨).

إن الحسين لم يسكت عن هذا الشطط؛ ففي كتاب طويل من الحسين إلى معاوية رداً على كتاب الأخير له بأن أموراً انتهت إليه عنه وأنذره فيه شق عصا الأمة فقال الحسين كما جاء في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة «قلت فيما قلت أنظر نفسك ولديك

(١٨٤) أحمد راسم، على خطى الحسين ص ١٨.

(١٨٥) د. عبدالحسيب طه حميدة، أدب الشيعة الى نهاية القرن الثاني الهجري ص ٣٨، أيضاً كتب البداية والنهاية لابن كثير، وأسد الغابة لابن الأثير، وغيرهما من كتب التاريخ وقد رثا النجاشي قيس بن عمر بن مالك شعراً ما يعضد رواية سم الحسن على يد جعدة بنت الأشعث.

(١٨٦) د. إبراهيم بيضون، مصدر سابق ص ٦٦.

(١٨٧) د. طه حسين، مصدر سابق ص ٧٠.

(١٨٨) حسن كامل الملقاوي/ مصدر سابق ص ١٤٠.

ولأمة محمد واتق شق عصا هذه الأمة ولا تردهم إلى فتنة ، وإنني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ، ولا أعظم نظراً لنفسى ولديني ولأمة محمد(صلى الله عليه وآله) أفضل من أن أجاهدك ، فإن فعلت فإنه قرابة إلى الله ، وإن تركته فإني أستغفر الله لديني ، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري ، وقلت فيما قلت ، إن أنكرت تنكرني، وإن أكدك تكديني، فكديني ما بدا لك ، فإني أرجو ألا يضرني كيدك ، ولا يكون على أحد اضر منه على نفسك لأنك قد ركبت جهلك ، وتحرضت على نقض عهدك»^(١٨٩).

هذا الكتاب يدل على أن الحسين بدأ في التحرك لما رأى من نقض معاوية لكل العهود ، ولكن هذا التحرك لم يؤد إلى خلع معاوية ، ولكنها كانت معارضة شديدة ، هذه المعارضة كان لها أسباب عديدة نذكر منها :

١ - مجاهرة معاوية بنقض الصلح. فقد تتبع شيعة علي وقام بقتلهم وخاصة خلاء شيعة علي مثل حجر بن عدي الكندي ونفر من صحابته، وعمرو بن الحمق وغيرهم كثير. ومعظمهم من الذين صحبوا رسول الله(صلى الله عليه وآله).

٢ - قام معاوية باستلحاق زياد بن أبيه، وزعم أنه ابن أبيه مخالفاً في ذلك سنة الرسول(صلى الله عليه وآله) الذي قال «الولد للفرش وللعاهر الحجر». ولكن عملية الاستلحاق هذه كانت صفقة سياسية لما عرف زياد بالقسوة والغلظة والشدة، وهذه الصفقة كان لها مقدمات من قبل أثناء خلافة الامام علي، فقد راسله معاوية عارضاً عليه إلحاقه بأل سفيان وحدره علي قائلاً له: «وقد عرفت أن معاوية كتب إليك يستنزل بك ويستغل غربك فاحذره، فإنما هو الشيطان يأتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله»^(١٩٠). ولكن معاوية ظل حريصاً على الاستفادة من زياد، ووجدها زياد فرصة كي يكون أموياً^(١٩١)، وقام زياد بمهمة ملاحقة شيعة علي في كل مكان، فسجنهم وشردهم وقتلهم وسمل العيون وصلبهم في جذوع النخل^(١٩٢).

٣ - أخذ البيعة قسراً ليزيد بن معاوية ولياً للعهد بعده، وقد كانت هذه البيعة قاصمة الظهر، فلم يكن يعرفها أحد من المسلمين قبله بالإضافة إلى أن سلوك يزيد قد

(١٨٩) نهج البلاغة ص ٦٩.

(١٩٠) نهج البلاغة ص ٦٩.

(١٩١) يستحسن قراءة كتاب «العواصم من القواصم» لمحيي الدين بن العربي، وتعليق المرحوم محب الدين الخطيب على استلحاق معاوية لزياد، وسيجد كم هي المحاولات المستميتة للبرهنة على أن الخلاف كان فقهيًا لا سياسيًا، وأن معاوية اجتهد في القضية، وأن كثيراً من فقهاء الأمة أخذوا منه اجتهاده في قضية الاستلحاق، وكتاب «العواصم من القواصم» من أشهر الكتب المتداولة والتي تكرر لفكرة أن الفتنة لم تكن لأسباب أموية، ولكنها كانت لأسباب يهودية وهذه الفكرة وجدت لها صدى رغم مخالفتها للواقع والمنطلق فضلاً عن أحداث التاريخ المعتمدة والمعروفة، لكن مؤلف كتاب العواصم والمعلق عليه أمويان النزعة، مسرفان فيها، كما يستحب قراءة كتاب «عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى» لمرتضى العسكري الذي أثبت أن عبدالله بن سبأ ما هو إلا أسطورة، كما ذهب إلى ذلك الدكتور طه حسين، والعلامة الأميني في موسوعته «الغدير».

(١٩٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢٥٣/٣.

اشتهر بالفسق وبأنه صاحب لهو وشراب وقنص، ومثله لا يصلح لكي يكون خليفة للمسلمين بأي حال، ولكن معاوية إحتال في الأمر، فقد سمع رفض كل أبناء الصحابة من البيعة ليزيد ولياً للعهد مثل عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير فضلاً عن الإمام الحسين، فلما رأى معاوية كل هذا الرفض، أمر أن ينادى في الناس ليجتمعوا في المسجد، ودعا رئيس حرسه وقال له : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين، ومع كل واحد سيف، فإذا ذهب رجل منهم يرد عليّ بكلمة تصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما، وصعد المنبر وقال غير صادق إن عبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن الزبير وعبد الله بن عمر والحسين بن علي قد رضوا وبايعوا ليزيد، ثم طلب منهم البيعة، فبايع الناس كلهم، ثم غادر مكة إلى المدينة، فأقبل الناس على هؤلاء السادة يلومونهم، فقالوا والله ما بايعناه ولكنه فعل وفعل^(١٩٣).

لقد كانت البيعة ليزيد ولياً للعهد نذير شؤم على الأمة ، ومعاوية أخذ الخلافة بالسيف من غير مشاورة ، وأصبح حكمه سياسياً لا دينياً، وأخذ ولاية العهد لابنه معتمداً على العصبية التي أحيها في نفوس قومه ، معتبرا أبا سفيان أفضل قريش وإن استخفى وراء الدين فاستثنى النبي من هذا التفضيل بحكم النبوة ، كما اعتمد على قبيلة كلب وهم أخوال يزيد ، ومع كلب باقي القبائل العربية التي هاجرت إلى الشام من اليمن ولم تشهد مطلع النبوة ولا مشارق الوحي، ولم تأخذ دينها عن الصحابة ، ويزيد نفسه كان يتشبه بأبي سفيان كثيراً ويعتبره زعيماً يجب الاقتداء به^(١٩٤).

٤- قام معاوية بأكبر حركة تشويه في التاريخ؛ فلقد عمد إلى تشويه صورة الإمام علي وأتباعه حتى ينفر منهم الناس ، ثم غالى في الأمر واشتط فسب الإمام علياً على المنبر وفرض على كل الخطباء في كل الأمصار سب عليّ ونعته بأبي تراب ونعت أصحابه بالترابية السبئية قائلاً لولاته كل على حدة : لا تتهاون عن شتم علي بن أبي طالب وذمه والاستغفار لعثمان والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم وإطراء شيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم^(١٩٥)، وقد كان هذا السبب أحد الأسباب التي أهاجت حجرين عدي، فكلبهم زياد وأرسلهم إلى معاوية حيث تم إعدامهم .

(١٩٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٣ ص ٢٥٢ .

(١٩٤) من المفارقات أن «العواصم من القواصم» جعل يزيد من زهاد المسلمين ومعه مروان بن الحكم، ومنعوا لعنه، وأخذ عن الكتاب كثير ممن يدينون بولاية الأمر لمن غلب بحد السيف، ومن المناقضات أن كثيراً من هؤلاء يحاولون التوفيق بين الإسلام والاستبداد، وهذا لم يخفى على معظم علماء الأمة، ولكن يجب فهم أن ثورة الحسين كانت ضد الأفكار التي تولدت في الفتنة وأفرخت أحاديث لم يقلها صاحب الرسالة، وليس لها أي سند قرآني.

(١٩٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٢٥٣ .

ثورة الحسين إذن لم تبدأ بولاية يزيد فبواورها ظهرت بعد نقض معاوية لوثيقة الصلح مع الحسن وتوقع الحسين بأن الخلافة ستصير ليزيد بشخصيته المركبة والممزوجة بكراهية موروثه من بني أمية لبني هاشم، لذلك فإن الحسين قد أعد لثورته الموعودة منذ أواخر عهد معاوية، وتستطيع القول بأن بذور ثورة الحسين لم تبدأ بولاية يزيد للخلافة، ولا نغالي إذا قلنا إن الثورة بدأت بولاية الأمويين أثناء خلافة عثمان، فإذا كان ومع الحسن أحد المدافعين عن دار الخليفة لأن الاصطدام السياسي كان يأخذ طريقه إلى نهايته، وأما بتولية معاوية ليزيد فإن الاصطدام السياسي صاحب معه تغييرات كثيرة في الدين نفسه بما فيه الأمور الفقهية، جذور ثورة الحسين بدأت بحروب الإمام عليّ للقاسطين والناكثين، والذي اختلف فقط الظروف التي وضعت المسؤولية على كاهله، فهو الإمام الشرعي المنصوب إلهياً ودينياً وسياسياً، رأى أمور السياسة تجرف معها معالم الدين الحنيف، فالثورة بلغت ذروتها في السنين الأخيرة لحكم معاوية بعد أن حدثت أمور منحرفة عن العقيدة الإسلامية نفسها والفقه الإسلامي نفسه بعد أن كان الصراع يدور سياسياً فقط، نذكر من هذه:

١ - إباحة شرب الخمر

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش ثم أتينا بالطعام فأكلنا ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية ثم ناول أبي فقال : ما شربته منذ حرمه رسول الله (١٩٦).

٢ - إباحة الربا

أخرج مالك والنسائي وغيرهما من طريق عطاء بن يسار أن معاوية باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها فقال له أبو الدرداء (رضي الله عنه): سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل، فقال له معاوية : ما أرى بمثل هذا بأساً (١٩٧).

٣ - استلحاق زياد، وقد سبق الحديث عنه.

٤ - العمل على تحويل النهج الأموي إلى قدر أبدي، فقد نفذ معاوية سياسة واضحة المعالم من أبرز معالمها لعن آل البيت وخاصة الإمام عليّ من فوق منابر المسلمين والعمل على رفع مكانة مناوئي أهل البيت ومنافسيهم والذين لم يتنكبوا سبيل المؤمنين

(١٩٦) مسند الإمام أحمد: ٤٠٧/٥، ود. أحمد راسم، على خطى الحسين: ٤٦.

(١٩٧) سنن النسائي بشرح السيوطي: ٢٧٩/٧، والموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: ٦٣٤/٢.

ووضع أحاديث على لسان صاحب الرسالة لكي تشيد بفضائل غير معلومة لهم، واستعمال سياسة الرشوة وإفساد الذمم^(١٩٨).

على هذا الأساس فإن تولية يزيد الحكم بعد وفاة معاوية أسرعت بخطى الثورة لكي لا تنتهي على مدى الأجيال، ومن المفيد ذكر ما قاله العقاد في كتابه أبو الشهداء عن الحسين: «ومن هو الشهيد إن لم يكن هو الرجل الذي يكلف الأيام ضد طباعها، ويصدق الخير في طبيعة الإنسان، والخير عزيز والدنيا به شحيحة؟ والحسين طلب خلافة الراشدين حيث لا تنسى خلافة الراشدين، وكان الصراع بين الحسين ويزيد أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة، وعهد الخلفاء الأوليين، قد بذل الحسين فيه روحه، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة، لما هو أدوم من الحياة فهو أبو الشهداء وينبوع شهادة متعاقبة لا يقر بها بنوع في تاريخ البشر أجمعين»^(١٩٩) الحسين إذن كانت الثورة لديه ضرورة لازمة من ضرورات العقل والدين والعاطفة في آن واحد، والثورة خصوصاً عندما تنطلق من تيار له مثل تلك القوة على المستويين الفكري والشعبي لن تعوقها شخصية معينة مهما بلغ بها النفوذ والإمساك بالزمام على امتداد المرحلة، فمن يضمن أن لا يكون الخليفة الجديد أكثر شدة من سياسته وأكثر تفوقاً في أساليبه القمعية، وهل كانت شخصية يزيد الضعيفة على ما يقال مما شجع على التحرك وهو ما يزال محاطاً بنفس الطبقة من القيادات التي نفذت سياسات سلفه؟^(٢٠٠) هذا التساؤل يجعلنا نؤكد على أن ثورة الحسين كانت حتمية وربما لو امتد العمر بمعاوية لتمت المواجهة مع الحسين؛ لأن معاوية لم يترك شيئاً لم يفعله، فقد نقض العهد وأبدع في دين الله، وأحيا العصبية القبلية وميز العرب على العجم رغم أن

(١٩٨) على خطى الحسين: ٥٢ .

(١٩٩) عباس محمود العقاد، أبو الشهداء: ص ١٢ .

(٢٠٠) محمد خاتمي، الدين والفكر في فخ الاستبداد: ٦١ ويلاحظ أن الشعبية قامت في صلب نشأتها بسبب سياسة التمييز العرقي الأموية، ثم جمعت حولها كثيراً من المعارضين للحكومة علماً بأن رغبة الشعب في المساواة ومقاومة الظلم قد وجدت مرامها في الدعوة الشيعية ولما كان العصر عصر إيمان ورغبة في التدين فقد لاقت الحركات المطالبة بالعدل والمساواة والتي تقوم على الدين القبول عند غالبية الشعب . والدعوة العلوية تقوم أساساً على المساواة وهي الفكرة القرآنية الإسلامية لعل ذلك يفسر لنا لماذا تم التشويه على التراث العلوي والحسيني من قبل الحكام المستبدين حتى أن علماء الشيعة يضطرون لنفس المقولة الجاهلة والظالمة والمشوهة بأن الشيعي من يقول بأن النبوة كانت لعلي فأخذها محمد خيانة من جبريل / انظر في ذلك مقدمات كتاب / عقائد الشيعة الإمامية للسيد / محمد رضا المظفر وهي تعطينا إشارات متجددة أن محاولة طمس الفكر مازالت مستمرة، وما علينا سوى قراءة كتاب الخطوط العريضة لمحبه الدين الخطيب وفتوى شهيرة لشيخ كبير راحل يقول إن الشيعة كفار ولا يجب الالتقاء بهم أو التعامل معهم ثم يترضى هذا أو ذاك على الحسين وهو ما نلاحظه عند الذين يأخذون علمهم من خطبة البتراء والإشارة بتنقيط حروف المصحف من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي وهذا أيضاً يعطينا الحق في الإشادة بكل عالم يأخذ دينه مباشرة من القرآن الكريم دون اللجوء إلى التفسيرات المتضاربة التي تشوش الفكر وتعتقد أنها تلك الوحيدة التي تحتكر الحقيقة وتساهم عليها . إبراهيم بيضون ص ٦٣ .

الجميع مسلمون لا فرق بين أبيض أو أسود، عربي أو أعجمي إلا بالتقوى بحيث يمكننا القول بأنه أول من بذر بذرة الشعوبية^(٢٠١).

بعد أن مات معاوية هاجر الحسين من المدينة إلى مكة، ولعل السلطة الأموية تعمدت إحراج الحسين على يد أحد رموزها في الحجاز (مروان بن الحكم) دافعة به إلى الخيار الوحيد وهو البيعة ليزيد أمام والي المدينة الوليد بن عتبة ربما كان مروان يبغي استدراج الحسين واستفزازه إلى المواجهة المبكرة مع السلطة، ولكن الحسين كان أنكى منه فترك المدينة ودخل مكة علانية مختلطاً بأهلها والمعتمرين فيها، ومن المؤكد أن الحسين لم يأت المدينة عائداً بها كما فعل ابن الزبير ولم يكن يهدف الاستكانة، فمكة بالنسبة إليه كانت مجرد وقفة للتأمل والقراءة الموضوعية للمتغيرات، وهو كان يعي جيداً أن الكوفة هي الساحة الملائمة لمشروعه الإصلاحية، ففيها القاعدة الملتزمة بنهجه والملتزمة أيضاً بدعوته من خلال عناصر الصمود والتعبئة والمقاومة، ولم يكن ذلك وليد اللحظة، وإنما كان نتاج جهود مر عليها نحو عشرين عاماً^(٢٠٢)، ولقد كانت أهداف الحسين المعلنة للثورة تلخص في كتابه إلى أهل البصرة الذي دعاهم فيه إلى «إحياء معالم الحق وإماتة البدع»^(٢٠٣) وهي نفس الأسباب التي وضعتها في مواجهة كلامية مع معاوية، ولكنها زادت بولاية يزيد حيث قال الحسين فيها بعد حمد الله والثناء عليه :

«أيها الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا بقول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحق من غيري...»^(٢٠٤).

ولسنا في سياق سرد تفصيلي لأحداث كربلاء بقدر ما هو إسهام في الكشف عن مكنونات الثورة، والفكر الإصلاحية الذي أشاعه الحسين قبل كربلاء وبعدها، فالثورة الحسينية الفريدة في التاريخ تأسست على تراث فكري ريادي وتجربة جذرية خاضها الإمام عليّ بعقل مفتوح على النخبة التي استحقت ركوب الخطر إلى السلطة ليبقى الإسلام مضيئاً في عقولها حتى لا تنطفئ الحقيقة. وهي كانت في سبيلها للانطفاء لولا

(٢٠١) إبراهيم بيضون ص ٦٤ .

(٢٠٢) الدينوري الأخبار الطوال: ٢٣١ .

(٢٠٣) الكامل، ابن الأثير: ٤ / ٢١ .

(٢٠٤) العقد الفريد ج ٣ ص ١٣٣، ابن الأثير ج ٤ ص ٧ .

الثورة الحسينية - أمام اجتياح القبائل المضللة التي استعادت حضورها ورجعت إليها أيامها السالفة فكانت خلافة الإمام بهذا المعنى ثورة تهدف إلى بناء الإنسان النموذج أكثر منها سلطة فقدت إدارتها وشروطها الملائمة^(٢٠٥).

وإذا كان الانتظار سمة غالبية على المسلمين في تغيير حال الأمة الى الأصلح والعودة الى القيم الإسلامية الأصيلة التي تم التخلي عنها، وفرض الحكام هذا التخلي على النخبة، فإن هذا الانتظار البطيء قد تحول الى عقيدة ثورية تجابه الدولة الفتية التي تملك السلاح والمال بغير ما أنزل الله والذي نلاحظه عند خروج الحسين من مكة الى الكوفة أن أحداً من المسلمين لم يخرج معه، حتى أولئك المخلصون القريبون منه فقد اكتفوا بأداء النصيحة له مثل عبدالله بن عباس ومحمد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عمر وغيرهم كثير، اكتفوا بالنصح له حتى لا يخرج الى العراق، فهذا عبدالله بن عباس وهو التلميذ المخلص للإمام علي يأتيه ويقول: «قد أرجف الناس أنك سائر الى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع، فقال له: قد أجمعت السير في أحد يومي هذين انشاء الله تعالى، فقال ابن عباس فإني أعيذك بالله من ذلك، خبرني رحمك الله أتسير الى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك الى الحرب، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك، فيكونوا أشد الناس عليك»، ورفض الحسين نداء ابن عباس، وعندما أتاه في اليوم التالي وقال له: «يا ابن عمّ إنني أتصبر ولا أصبر، إنني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربهم، أقم في هذا البلد، فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم، فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج، فسر الى اليمن، فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب الى الناس وترسل إليهم، وتثبت دعواتك، فأني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية، فقال له الحسين: «يا ابن عم، إنني لأعلم أنك ناصح مشفق، وقد أزمعت وأجمعت على المسير» فقال ابن عباس: فإن كنت سائراً، فلا تسر بنسائك وصبيبتك، فأني لخائف أن تقتل، كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه، هذا ما قاله ابن عباس، ومثله قاله ابن الحنفية وغيره، ولا نجد كلمة واحدة عن مشاركتهم إياه في خروجه عندما صمم على الخروج، ومن هؤلاء من لا يشك في بأسه وقوته أحد، فلماذا؟ نعتقد أن طول مدة خلافة معاوية وملاحقته للمعارضين وقتلهم، وشراء الذمم، كل ذلك أو هن جسد الأمة، وعطل جهاز مناعتها لأي ظالم، فقد استمرراً الجميع الحياة وأصابوا من الدنيا، وإن كانت قلوبهم ترفض

الظلم، وتحولوا بالتالي الى ما يمكن تسميته «حزب المعتدلين» وهم الذين لا يتوقعون الخير من أي خروج على الحاكم الظالم أيّاً كان، وأياً كانت وسيلته للوصول الى السلطة، فكل أبناء الصحابة كانوا يعلمون جيداً أن الحسين على الحق وأنه على بيّنة من ربّه، وأنه يحارب الظالمين الماحقين لدين محمد، ورغم ذلك فإنهم أقنعوا أنفسهم بعدم جدوى المواجهة للسلطة الغاشمة؛ وهذا ما حدث مع الحسين الذي لم يجد لمشروعه الإصلاحية سوى ذلك النفر في العراق من تلك البقية الباقية من الجماعة الصالحة التي عقد الحسن الصلح مع معاوية من أجلها ولم تكن كربلاء إلا بداية الثورة على الظلم والعقائد المنحرفة الجديدة.

إن ثورة الحسين وإن أخفقت على الصعيد العسكري في معركة غير متكافئة ، فإنها حققت انتصاراً ليس على المدى القريب بإسقاطها الحكم السفيناني، ولكنها على مدى الأزمنة كانت النموذج الذي تستلهمه الحركات الثائرة ضد الطغيان ، وتخترنه الشعوب في وجدانها عنواناً للحرية والكرامة واستعادة حقوقها المغتصبة^(٢٠٦).

لقد كان الشيخ شمس الدين ذكياً في قوله : «قدم الحسين(عليه السلام) وآله وأصحابه في ثورتهم على الحكم الأموي الأخلاق الإسلامية العالية بكل صفائها ونقائها ، ولم يقدموا إلى المجتمع الإسلامي هذا اللون من الأخلاق بألسنتهم ، وإنما كتبوه بدمائهم»^(٢٠٧).

وقد أخبر النبي الكريم بما سيقع لأمته فقال: «ألا إن رجا الإسلام دائرة ، فدوروا مع الكتاب حيث دار ، ألا وإن كتاب الله والسلطان سيختلفان ، فلا تفارقوا الكتاب ، ألا أنه سيكون عليكم أمراء يرضون لأنفسهم ما لا يرضون لكم ، إن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم».

فقالوا : وما نفعل يا رسول الله؟

فقال(صلى الله عليه وآله): «كما فعل أصحاب موسى، حملوا على الخشب، ونشروا بالمناشير ، فوالذي نفس محمد بيده لموت في طاعة خير من حياة في معصية» (رواه أبو نعيم).

وقد وعى الحسين كل ذلك واستشرف مستقبل الأمة ، وأذنه تردد مقولة الإمام علي: «الحياة في موتكم قاهرين ، والموت في حياتكم مقهورين»^(٢٠٨)، ولذلك لم يتردد في القول بأن: «الدعي ابن الدعي خيرنا بين السلة والذلة ، وهيئات منا الذلة ، ومثلي لا يبياع مثله».

سؤال آخر يتردد: إذا كان أبناء الصحابة في مكة والمدينة خذلوا الحسين ، فلماذا خذله من استنصره ، وأرسلوا إليه بيعتهم ، فلماذا هذا النكوص ، وهل كانت شدة ابن زياد وحدها التي فرقت الجموع وجعلت مسلم بن عقيل يسير في شوارع الكوفة وحده

(٢٠٦) إبراهيم بيضون ص٧٧.

(٢٠٧) الشيخ شمس الدين، ثورة الحسين: ١٨١.

(٢٠٨) النهج: ١٠٠.

بعد أن انفض عنه الجميع؟ ولمعرفة الإجابة على هذا السؤال علينا أن نتخيل ما حدث لأبناء الصحابة في غير الكوفة وما فعله زياد بن أبيه في الكوفة أثناء حكم معاوية لنستنتج أن النخبة القيادية التي يمثلها شيوخ القبائل في ذلك الوقت وقد واكب بعضهم علياً والحسن لم يعط لها الدور الموازي لحجمها في الكوفة بعد طول تعاسها فانكفأت عن الحدث ولم تدرك هول المأساة إلا بعد مصرع سيد الشهداء، وحاولوا التعويض فيما بعد في حركة التوابين وثورة المختار الثقفي على أن الحسين نفسه كان يدرك أن الثورة ذاتها ستكون نواة لأجيال جديدة تولد في رحم الثورة، وبالفعل فقد توالى الثورات جميعها تستلهم من ثورته المقدسة كل معاني الولاء والفداء والتضحية والأريحية التي حملتها ثورة الحسين؛ فكانت ثورة الحرّة بالمدينة التي عجلت بنهاية الحكم السفيفاني ثم ثورة زيد بن عليّ الشهيد التي عجلت بتقويض الحكم الأموي كله من الأساس ويمكن القول في ذلك ما قاله حسن كامل المطاوي في كتابه «الإمام الحسين بن علي» ما نصه: «وأكد أجزم أنه لو كشف الغيب لمعاوية، فرأى أن الملك الذي أراد تأسيسه لبني سفيان سينتقل على عجل إلى مروان وبنيه، لفضل بذكائه الحاد ودهائه السياسي أن تبقى الخلافة شورى بين المسلمين كما كانت، ولما راقته له فكرة المغيرة بن شعبة في استخلاف يزيد، ولم يرد المغيرة بما أشار وجه الله^(٢٠٩) ونقول لو أن يزيد نفسه علم أن ابنه معاوية سيكون أول الناقمين عليه وعلى جدّه وأنه خلع نفسه من إمارة لا يستحقها لسلم يزيد قيادة الدولة إلى الأوصياء بها ولكن كل ذلك يبقى رجماً بالغيب فليس الأمر كما نهوى، فالتقوى ضاعت من القلوب والتكالب على الدنيا يفرض نفسه على القابعين على أجهزة الحكم فإن الغد لا ينظر إليه أحد من هؤلاء أصحاب الهوى .

وربما لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى أن يكون دم الحسين هو الوقود لكل الثورات التالية له خاصة إذا علمنا أنه تواترت أحاديث عن صاحب الرسالة تنبأ جميعها بإهراق دم الحسين .

رابعاً: حياته بعد استشهاده

مستقبل مفردات الثورة الحسينية

الحركات الثورية المعاصرة والتي اتخذت الثورة الحسينية منهجاً لها كتب لها النجاح سواء كان الثورات ضد الظلم الداخلي (الثورة الإيرانية نموذجاً) أو ضد طغيان استعماري خارجي (حزب الله في لبنان)، والثورة الفلسطينية حتماً سيكتب لها النجاح، لأن شباب الانتفاضة وعوا جيداً كل مفردات الثورة الحسينية، وكل قوم

يقدمون المزيد من دماء الشهداء رغم تنكب وسائل الإعلام (المعتدلة) وأصحاب الأحزاب (المتبرمين) من سقوطهم من كشوف العطايا. «ألا أن لكل دم ثائراً»^(٢١٠) وهي كلمة قالها الإمام علي. طبقتها الحسين وأثار بها الطريق إلى سالكي دربه ومتخذي سيرته نبراساً يهدي الحائرين .

سيرة الحسين الخالدة يتردد صداها في كل مكان وفي كل زمان ولا تقتصر على يوم عاشوراء، لأنه لا يقيد بعاشوراء^(٢١١) والزخم الذي يتردد كل يوم في دار المسلمين من جرّاء الهجمة الأمريكية الصهيونية، لا بد أن يجد رجالاً ينسون أنفسهم ويقودون أمتهم إلى نبل المعاني وسمو المقاصد حتى لو كان الثمن دماء هؤلاء القادة الذين يترسمون سيرة سيد الشهداء، وكم ترسم قادة سيرته فأقاموا دولاً، كلها تنسب نفسها للحسين أو لعلي أو للزهراء لأنهم دوماً خلاصة الخلاصة من الأمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، وليس لمثلهم ولمثل من ينهجون نهجهم إلا النصر بعد انتصار أكده الله كثيراً في قرآنه الكريم وأحاديث نبوية كثيرة توصي المؤمنين بالصبر والعمل بإخلاص المجاهدين إلى العمل الدؤوب من أجل إعلاء الحرية حيث يكون الإنسان .

* * *

(٢١٠) النهج: ١/ ٢٠٠ .

(٢١١) من خاتمة كتابنا «في رحاب كربلاء» على أبو الخير.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

استلھام المنھج الحسینی فی منع

حدوث ازدواج الشخصية لدى المسلم

د . سعيد یعقوب

ما هو ازدواج الشخصية وكيف يحدث؟

طبعاً لا أريد أن أتحدث بكلام طبي بحت علماً أنني طبيب أمراض نفسية لكن أقول إنني لا أقصد هنا مرض فصام الشخصية المعروف الذي يحتاج لعلاج طبي دوائي لفترات طويلة ولكن أقصد أن يحمل الإنسان شيئاً من النفاق، قد يكون هذا الشيء قليلاً أو كثيراً لكنه يحدث عنده ضعفاً في الشخصية وتردداً في السلوك وتناقضاً في بعض التصرفات...

وحيث إن للوراثة قيمة كبيرة في حياة الإنسان فسوف نتحدث عنها هنا في شيء من التفصيل.

الوراثة لها تأثير أساسي متأصل أو تربوي مكتسب لكن السنين أصلته هو أيضاً. وكمدخل لهذا الأمر نذكر أن لأي حضارة سمات ثابتة تقريباً في كل مراحل تاريخها.. فاليوم مرآة الأمس وجزء لا يتجزأ منه، وكذلك لا يمكن أن نفهم الجزء المعاصر من حضارة ما إن لم نبحث في جذورها في المراحل السابقة من التاريخ، فكل ارث حضاري يُعتبر حصيلة جهود طويلة لأجيال من أبناء هذه الحضارة في مراحل مختلفة من التاريخ، كما هي أيضاً حصيلة وراثة ميراث كبير للأجيال السابقة في العادات والتقاليد والثقافة والتصورات والأمزجة والحب والكره وما إلى ذلك، فإن قطعنا هذا الجزء المعاصر من الحضارة فلن نستطيع أن نفهمها حق الفهم، وإن كل ما يدّخره الإنسان من ماضي الحياة البشرية ليس حياة ميتة، بل أكثر من ذلك هناك في علم النفس ما يسمى الذاكرة السلالية، وليس من السهل الحديث عنها بالتفصيل هنا حتى لا نبتعد كثيراً عن لب الموضوع لكن باختصار نقول إن تأثير الماضي في الحاضر يكون في سلسلة مترابطة من الأسباب والعلل.

نعود إلى موضوعنا ونأخذ بعثة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كمثال مهم هنا.

كان لهذه البعثة في القرن السادس الميلادي تأثير عظيم الأثر خلال القرون التالية وحتى الآن وفي المستقبل على كل مراحل حضارتنا وعلى كل ما مر على هذه الأمة عبر كل العصور.

كما أن تفاصيل الأحداث الإسلامية كمعركة بدر وفتح مكة، ثم معركة كربلاء وغيرها كلها حفرت في الذاكرة الشعبية والذاكرة السلالية المتوارثة أخاديد لا تمحى قط.

إذ أن كل واحد من هذه الأحداث وغيرها له دور تأسيسي في بناء هذه الحضارة إذ من غير الممكن أن تفهم هنا الحضارة بمعزل عن هذه العوامل التي ساهمت في بناء وتكوين تاريخنا ومجتمعنا، وكلما زادت أهمية الحدث كلما زادت قيمته الحضارية في بناء المجتمع..

ونذكر هنا مقارنة ليس إلا، أن المجتمع الذي تمتد جذوره آلاف السنين مثل المجتمعات الإسلامية كالبلاد العربية و إيران مثلا هي مجتمعات تتمتع بقوة وصلابة أكثر من المجتمع والحضارة التي تكونت في عدة مئات من السنين لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة مثل المجتمع الأمريكي أو مجتمع عمره بضع عشرات من السنين كالمجتمع الإسرائيلي الفسيفسائي.

ذلك أن هذا العمل التاريخي البعيد يعتبر تراكماً كبيراً من الأسباب والعلل في تركيبة المجتمع حضارياً.

فقد يكون من السهل أن يتجاوز الإنسان الظروف السياسية التي تكونت في عصره من الحبّ والبغض مثلا لكن من المستحيل أن يتجاوز الإنسان حباً وبغضاً تكونا خلال ألف وأربعمائة سنة مثلاً؛ لأن مرور هذه الحقبة التاريخية الطويلة على هذه الحضارة يكسبها الكثير من الديمومة والثبات وهذا ما ندعوه بالإرث الحضاري، ولهذا الإرث عراقة وعمق وأصالة في حياتنا، وجاذبية خاصة في نفوسنا، ويمكن أن نعتبر أن الصلاة قد أصبحت إرثاً حضارياً عريقاً في نفس المسلم نظراً لما لها من أهمية اجتماعية لدى الملايين من المسلمين أكسبها هذه الجاذبية والتعاطف في نفوس هؤلاء الناس، كما ولهذه الفريضة أيضاً بعد تاريخي نجم عن بقائها عبر القرون وأخذها صفة القداسة وتغلغلها في العمق في الذاكرة الجمعية والسلالية والإرث الحضاري للأمة الإسلامية.

لذلك فإن الإسلام يؤكد دوماً على الأهمية الاجتماعية والأهمية التاريخية لفرائضه ومقدساته، فرغم أن للصلاة الفردية خشوعاً واعتكافاً أكثر من صلاة الجماعة فإن الإسلام فضّل هذه الأخيرة، وكذلك جعل الله الحج فريضة جماعية في موسم محدّد ولا يعتبر حج الفرد لوحده إذا زار الأماكن المقدسة في غير الموسم حجاً بل عمرة فقط.

الإسلام شجع الجماعة كثيراً، فقد جاء في الحديث «يد الله مع الجماعة والشيطان مع من خالف الجماعة»^(٢١٢) ويد الله هنا هي حتماً البركة والهداية والتسديد.

أما عن البعد التاريخي للفرائض الإسلامية فهو أيضاً ذو أهمية كبيرة، فقد أكد القرآن الكريم أنه: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى)^(٢١٣) وأيضاً: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى...)^(٢١٤).

إذن ومن هذه النظرة فإن حجنا امتداد لحج سيدنا إبراهيم وصلاة موسى وعيسى لها تأثير في صلاتنا، وكذلك فإن جهاد الحسين في كربلاء له تأثير على مسيرتنا ودعوتنا ومواجهتنا اليوم لطواغيت العصر وإن أجزاء هذه المسيرة الواحدة من آدم إلى نوح إلى اليوم الحاضر هي أجزاء مترابطة متماسكة، ومن هذه المسيرة أخذنا قيماً وكثيراً من مشاعرنا وأخلاقنا ونظراتنا بل وأمثالنا الشعبية ومحبتنا لشيء أو كرهننا له من جيل إلى جيل. وإن الذي يوحد أطراف هذه المسيرة المتباعدة ويجعلها قطعة واحدة ويشرك اللاحق في ثواب السابق هو الحب والولاء لمن ضحى من أجل هذه المسيرة وبقاء الدين، والكره والبغض لمن كان ضد هذه المسيرة وضد بقاء الدين وفي مثالنا هنا الحسين وصحبه ويزيد وأشياعه.

روى محمد بن سلمة مرفوعاً قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنما يجمع الناس الرضا والسخط فمن رضي أمراً فقد دخل فيه ومن سخطه فقد خرج منه»^(٢١٥).

كما وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام)، أنه قال: لو أن أهل السماوات والأرض لم يحبوا أن يكونوا شهداء مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكانوا من أهل النار^(٢١٦).

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أحبّ قوماً حشر معهم ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم والذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق أن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه^(٢١٧).

وكذلك نقول أيضاً: إنه كما الصلاة هي فريضة إلهية تمتعت مع السنين بعمق تاريخي تأصلت معه في وجدان الأمة وتاريخها وذاكرتها كذلك أيضاً الظواهر المادية كالمسجد مثلاً وكحجاب المرأة أيضاً أخذت لقيمتها الدينية قيمة تراثية تأصلت

(٢١٢) كنز العمال: الحديث/ ١٠٣١.

(٢١٣) الشورى: ١٣.

(٢١٤) البقرة: ١٣٦.

(٢١٥) المحاسن: ص ٢٦٢.

(٢١٦) المصدر السابق.

(٢١٧) بشارة المصطفى لشيعته المرتضى: ص ٧٤ - ٧٥ طبع النجف الأشرف ١٣٨٣ هـ.

في الذاكرة الشعبية للأمة وهذا الرسوخ في ضمير الأمة حفظ المسجد من اعتداء المعتدين، وهكذا حجاب المرأة المسلمة امتلك بفضل هذا العمق التاريخي قيمة كبيرة واحتراماً في ضمير الأمة كما يضيفي احتراماً خاصاً على شخصية المرأة.

وكذلك أيضاً مجالس العزاء الحسينية أخذت مع السنين قداسة وتراثاً لها أهمية كبيرة فكما نحافظ على العمارة التقليدية للمساجد وعلى التصميم التقليدي للمنابر وعلى الصورة التقليدية المعروفة للمصاحف في طباعة المصاحف كذلك نحفظ حجاب المرأة والشكل المعروف لمجالس العزاء وللتحية والسلام وشكل الزيارات، إنه ليس أمراً هيناً إنه جزء من تراث الأمة يحمي ويصون الأمة من أي اعتداء.

وكم حاول أعداء الإسلام القضاء على الفرائض الإسلامية وكذلك القضاء على الشعائر والشعارات، نعم لقد استخدم أعداء الإسلام كل الوسائل المعروفة في اجتثاث تراث هذه الأمة وتمييع أصالتها ومسح شخصيتها واستيراد الأفكار والتصورات من هنا وهناك، وبالتالي لخلق ازدواج في شخصية الفرد المسلم وكانت هذه المحاولات تبوء بالفشل.

لقد بذل رضا خان بهلوي وابنه الشاه محمد بعده في إيران، وأتاتورك في تركيا جهوداً كبيرة في محاربة الإسلام وفرائضه، نعم لقد منع رضا بهلوي الحج لعدة سنوات وحارب الحجاب وألزم النساء المسلمات بالسفور وحارب شعائر العزاء الحسيني وأخفق بهلوي واستمر الإسلام إلى أن قامت الثورة واستعادت الأمة حكمها بأيديها والسبب هو عراقية هذه الظواهر الحضارية في تاريخ الأمة، أما في تركيا فقد نجح أتاتورك في عدة أمور لكن الأمة بقيت تحتزن هذا الإرث في ضميرها وتمارسه سرّاً إلى أن تحين الساعة كما حانت الساعة في الدول الإسلامية التي كانت تحت لواء الاتحاد السوفييتي السابق، وقد لاحظنا أن الجماهير وقفت أمام مقام الإمام علي(عليه السلام) في النجف الأشرف بشكل حشدي كبير منع القوات الغازية من الدخول، وهذا كان منذ أيام قليلة كما هو معروف.

وقد يقول قائل إنك ابتعدت عن موضوعنا وهو المنهج الحسيني، لا أبدأ إنني لا زلت فيه فإن الأئمة بعد الإمام الحسين(عليه السلام) حافظوا على الشعائر والزيارات وأوصوا الناس بها وهم يعلمون بثاقب فكرهم وبصيرتهم وعلمهم وإلهامهم أنهم يرسّخون ذلك في ضمير الأمة وتراثها وبالتالي فإن الذي أوجد الشعائر والزيارات وأوصى بها هم الأئمة المعصومون أنفسهم.

وفي تاريخنا المعاصر كلما تحرك أعداء الأمة الإسلامية لغزو المنطقة الإسلامية فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً اصطدموا بواحد من مراكز القوة في حياة الأمة

وتراجعوا أمامه، وأقول على سبيل المثال هنا: إن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) أثر في تخفيف الضغط المضاد للإسلام وأوقف عجلة القضاء على الإسلام مع أن الانحراف ظل موجوداً، ومع أن ثورة الحسين لم تنتصر ظاهرياً لذلك كان شعار انتصار الدم على السيف وغيره من الشعارات المشابهة التي دخلت أيضاً بقوة وعمق في تراث الأمة، أما في العصر الحديث فأذكر على سبيل المثال أيضاً وإن كان هذا المثال الحديث هو استلهاماً لدرس الحسين ولثورة الحسين، أقول حين توفي السيد أبو الحسن الأصفهاني أحد كبار مراجع التقليد في النجف الأشرف أحدثت وفاته هزة عميقة في كل إيران ولبست إيران الحداد أربعين يوماً، وأقيمت له مجالس العزاء في كل مكان من البلد، وكان الإنجليز في نفس الفترة مندفعين بقوة للقضاء على الإسلام في إيران وكانوا يعملون لاستبدال الحضارة الإسلامية في إيران بالحضارة الغربية فلما رأوا ما حدث في وفاة الأصفهاني أخذ الإنجليز يراجعون حساباتهم من جديد في امكانية القضاء على الإسلام بشكل كامل في بلد يهتز من أقصاه إلى أقصاه لوفاة عالم من علماء الإسلام فكيف يمكن إذن القضاء على الإسلام واجتثاث جذوره من صدور هذه الأمة؟ إذن إن وفاة الأصفهاني أثرت في تخفيف الضغط المناوئ للإسلام من قبل الإنجليز على إيران لفترة من الوقت وقد قرأت ذلك في عدة مصادر منها في مقال للسيد آصفي على ما اذكر.

نعم حين كان الاستعمار يحتل القلاع والحصون ويفتح المدن ويحتل الإذاعة والتلفزيون والصحافة كان يقف أمام المسجد ولا يستطيع اقتحامه، وإن اختل هذا الأمر في عهد الاستعمار الصهيوني ثم الاحتلال الأمريكي للعراق الآن، مع أنه تحقق بعد احتلال النجف وتراجع الأمريكان عن دخول مقام الإمام علي (عليه السلام) كما ذكرنا.

نعم كان المسجد والمنبر والحوزة والمدارس الدينية ومجالس العزاء الحسيني صخرة يصطدم بها المحتل ويقفل راجعاً والسرّ كلّ السرّ في هذه القوة هو الامتداد التاريخي العميق لهذه الموارد الحضارية والمدنية في ضمير الأمة.

لذلك علينا أن نحافظ على هذه الموارد الحضارية في حياة الأمة وحمائيتها وتبنيها لتحصين شخصية الأمة، والمحافظة على أصالتها وعراقتها. وعلينا أن لا نتهاون في ذلك فإن المادة المخدرة تبدأ بكمية بسيطة ثم يخف إدراك شاربها فيتعاطى كمية أكبر وأكبر إلى أن تنهار صحته تماماً، وكذلك هذه الشعائر فقد يبدأ الدس من ضرورة إلغاء الشعائر الحسينية لأنها تسيء إلى سمعتنا في الغرب ولا تتفق مع المعايير الحضارية في القرن الحادي والعشرين ثم تبدأ عملية التراجع لا سمح الله

شيئاً فشيئاً، وإن تعريض المواريث الحضارية العريقة للأمة للضياع يعرض شخصية الأمة كلها للمسح ويصيب الفرد بازدياد الشخصيّة..

ولنتذكر قوله تعالى بعد أن يتحدث عن النبيين: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا)^(٢١٨).

هذا الخلف الذي يذمهم القرآن هم الذين أضاعوا الصلاة باعتبارها ميراث الآباء والأجداد إضافة إلى كونها فريضة.

إن من الناس من يحفظ الأمانة في مواريث السلف ويستلمها ويحافظ عليها من الضياع والفساد والانحراف ثم يسلمها إلى الخلف جيلاً وراء جيل وهؤلاء هم الخلف الصالح الذي يصلون الرحم ولا يقطعونه، فالرحم رحمة ولا يرحم الله من لا يرحمها ويحافظ عليها.

ومن الناس من يكون جسراً بين جيلين: جيل سابق وجيل لاحق، ينقل مواريث الصالحين من الآباء والأسلاف، ومن الناس من يشكل فجوة وقطيعة وحاجزاً بين جيلين فيفصلهما بعضهما عن البعض الآخر، ويقطع الخلف عن السلف كما فعل أتاتورك ورضا بهلوي، وهذه القطيعة هي أبرز صور الخيانة والعقوق والإساءة للذات قبل الإساءة للغير.

وقد أخذت هذه الأمور التي تحدثنا عنها في تاريخنا الإسلامي مصطلحي السنّة والبدعة، فالعمل بالسنّة هو الارتباط السلوكي بالسلف الصالح، والافتداء، طبعاً الافتداء بوعي والانتباه إلى الأصول والبذور الأولى للدين، والبدعة هي حالة القطيعة عن السلف الصالح وقطع الجسور والانحراف عن مسيرة السلف الصالح إلى الأنماط الجاهلية سواء الجاهلية القديمة أو جاهلية مستحدثة في كل عصر وأن. وكما نرى ونشهد كل يوم مع الأسف أن الاهتمام الكبير في النصوص الإسلامية بموضوع السنّة ينشأ من هذه النظرة ذاتها ويعبر عن اهتمام الإسلام بربط الأجيال المتعاقبة بميراث الأنبياء والمرسلين والأئمة والسلف الصالح وشدهم بهذا الرابط السلوكي الذي يعصم الأمة من الضلال والأفراد من الأمراض النفسية وازدياد الشخصيّة بشكل أساسي. وفي هذا الشأن نجد أن القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى التأسّي بالأنبياء السابقين فيقول:

(لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله)^(٢١٩).

(ولقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه)^(٢٢٠)

(٢١٨) مريم: ٥٩ .

(٢١٩) الممتحنة: ٦.

(٢٢٠) الممتحنة: ٦.

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (٢٢١).

وقد جاء في بحار الأنوار (٢٢٢) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة».

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيضاً: «لا يقبل قول إلا بعمل ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بإصابة السنة» (٢٢٣).

وعنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً، أنه قال: «من تمسك بسنتي في اختلاف أمي كان له أجر مائة شهيد» (٢٢٤).

وعنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً أنه قال: «في القلب نور لا يضيء إلا من اتباع الحق وقصد السبيل، وهو نور من المرسلين الأنبياء يودع في قلوب المؤمنين» (٢٢٥). هذا النور طبعاً هو الصفاء النفسي وخلو القلب من النفاق ومن المرض والازدواج في شخصية الفرد المسلم.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: السنة ما سنّ رسول الله والبدعة ما أحدث من بعده والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً (٢٢٦).

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: «ثلاث موبقات: نكث الصفة، وترك السنة وفراق الجماعة» (٢٢٧).

كما ولننتبه إلى هذه النقطة، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

رحم الله خلفائي فقيل يا رسول الله ومن خلفائك؟ قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله (٢٢٨).

هنا يتضح لنا أن الخلافة مرتبطة حتماً بالسنة ولا يعتد بخليفة لرسول الله لم يكن سيره على هدي سنته كالخليفة يزيد مثلاً وأبيه وغيرهما..

ثم في حديث آخر: «من أحيا سنة من سنتي فعمل بها الناس كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة فعمل بها الناس كان عليه أوزار من عمل بها لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئاً» (٢٢٩).

(٢٢١) الأحزاب: ٢١.

(٢٢٢) بحار الأنوار، ص ٢٦٢.

(٢٢٣) بحار الأنوار: ص ٢٦٢.

(٢٢٤) بحار الأنوار: ص ٢٦٢.

(٢٢٥) بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٦٥.

(٢٢٦) بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٦٦.

(٢٢٧) بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٢٦.

(٢٢٨) بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٦٦.

(٢٢٩) سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٧٦.

انتبه هنا أيها القارئ الكريم أن الذي يبتدع في الدين، ويقطع الأجيال اللاحقة عن اتباع السنّة يتحمل وزر كل الذين ينقطعون عن المسيرة والخط دون أن ينقص شيء من أوزارهم.

أقول: إن في حياة الإنسان ثوابت لن تتغير ولا تخضع لحسابات الزمن، وهذه الثوابت هي الأبعاد الرئيسية للإنسان والقيم الحقيقية لشخصيته، وإن تجاوز هذه الثوابت لا يؤدي إلى تطوير حياة الإنسان أبداً وإنما يؤدي إلى مسخ شخصيته وإصابته بالازدواجية. وبالتالي فإن المحافظة على شخصية الإنسان بأبعادها الحقيقية تقتضي المحافظة على هذه الثوابت.

إن الحاجات الأساسية في شخصية الإنسان لا يجوز له أن يتجاوزها أو يستبدلها بأي شكل من الأشكال وإلا سيصاب حتماً بازواج الشخصية وتشوهها، وهذه الأبعاد أو الحاجات الأساسية لشخصية الإنسان هي التي ترسمها الأديان الإلهية بالإجمال والتفصيل، ويدعو إليها ويعمل بها الأنبياء والمرسلون وعباد الله الصالحون وهي ما أسميناه بالتراث والمواريث والسنن، في مقابل البدع التي تعبر عن تجاوز الإنسان للسنن الإلهية الثابتة في حياة الإنسان.

إنّ بعض علماء الاجتماع ينظرون إلى المجتمعات المرتبطة بالسنن والمواريث الحضارية نظرة سلبية قاتمة، ويقولون إنها مجتمعات جامدة لا تستجيب للتحويلات الاقتصادية أو غيرها، وترفض التجديد والتطور والتقدم وأساليب الحضارة الجديدة، وتقول إن السنن والأعراف تتحكم في حياة الناس في هذه المجتمعات، ولا تتبدل عندهم التطورات والأفكار الدينية والسياسية والاجتماعية وإن دور أي فرد يحدده موقعه العائلي والطبقي أكثر مما يحدده جهده ونشاطه، وإن الطاعنين في السنن يشكلون مصادر السنن والأعراف التقليدية ويتحكمون في حركة المجتمع وبالتالي فإن كل هذا يخنق الإبداع والتجديد ويقولون أن لا أمل من هذه المجتمعات إلا بتخليها عن كل ذلك وأن لا يعود الناس يعيشون للأفراح والأحزان والحياة اليومية البسيطة التافهة وأن يزيلوا من أفكارهم انتظار الحياة الأبدية السعيدة بعد الموت.

إن علماء الاجتماع الغربيين يعممون هذا التصور ليشمل المسيرة الإلهية على وجه الأرض في التاريخ لأن هذه المسيرة مرتبطة بسنن ثابتة تتوارثها الأجيال وتحكمها ضوابط وأعراف وقيم لا تتبدل، وتحرص أجيال هذه المسيرة أن لا تتحرف عن الخط الذي تعتبره هو الصراط المستقيم وترفض أن تستبدل هذه المواريث بالأعراف والقيم والتصورات التي ابتدعها الناس في مختلف الأزمنة والعهود.

هنا نشير إلى مفارقة علمية يقع فيها علماء الاجتماع هؤلاء، وهي ماالمحنا إليه من الثوابت الثابتة القائمة في حياة الإنسان؛ فقد خلط هؤلاء العلماء هذه الثوابت مع تقليد القديم والجمود عليه، من هذه الثوابت مثلا وللتوضيح فقط نذكر الحاجة الجنسية والحاجة إلى الزواج وتشكيل الأسرة والحاجة إلى القبول الاجتماعي والتألف الاجتماعي والحاجة أو الحاجات الاقتصادية، منها ما يحافظ عليه من حيث الشكل والمضمون، ومنها من حيث المضمون أحيانا دون الشكل، ونذكر أن الأديان السماوية لا سيما الدين الإسلامي قد وضح هذه الحاجات وحل مشاكلها بما يتلاءم مع شخصية الإنسان وفطرته دون إفراط ولا تفريط، ونسى هؤلاء العلماء أن الأديان السماوية وعلى رأسها الإسلام ترفض التبعية والجمود على القديم والتعصب للأباء وكم من آية قرآنية توضح لنا ذلك، نذكر منها:

- (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا) (٢٣٠).

- (قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) (٢٣١).

- (.. قال أو لو جننكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) (٢٣٢).

وإن حالة الجمود والتبعية والتقليد غير الواعي يرفضها الإسلام رفضاً باتاً وهي بالطبع تختلف عن حالة اتباع السنن الإلهية التي يأمر بها الإسلام والتي تشكل العمق الحقيقي للإنسان وأصالته وسلامة شخصيته من الازدواجية والضعف. الإسلام يسمي الثوابت في شخصية الإنسان بالفطرة، يقول تعالى: (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) (٢٣٣).

ويتضح من الآية الكريمة أن الفطرة هي مجموعة الخصائص التي أودعها الله تعالى في الإنسان إذ أن معنى الفطرة هو الخلق والإبداع أي أن الآية الكريمة تقول بما معناه، أن لا تبديل لخلق الله في الكيفية والشكل الذي خلق الله الناس وأبدعهم عليها. وهذه الخصائص تشكل الجانب الثابت من شخصية الإنسان.

والدين الإلهي حتماً هو استجابة تشريعية لهذه الحاجات والأبعاد التكوينية الثابتة في شخصية الإنسان، وإن الإنسان حين يستجيب لسنن الله التشريعية ومنهج الرسل والأئمة يستجيب لهذا الجانب الثابت من شخصيته. وقد ورد التعبير عن هذه الثوابت في شخصية الإنسان في القرآن أحياناً بصيغة الله:

(٢٣٠) الاعراف: ٢٨.

(٢٣١) الزخرف: ٢٢.

(٢٣٢) الزخرف: ٢٤.

(٢٣٣) الروم: ٣٠.

(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) (٢٣٤) وهو تعبير بديع عن الجانب الثابت في الإنسان فان الله تعالى قد خلق الإنسان بلونه وصبغته الخاصة التي ميّزه بها، وهذه الصبغة واللون الذي يميّز به الإنسان صبغة من صبغة الله صبغ بها شخصية الإنسان، والدين هو الآخر الجانب التشريعي من هذه الصبغة الذي يتناسق مع الصبغة الإلهية في جانبه التكويني وهما معاً صبغة الله أحدهما: الوجه التكويني لهذه الصبغة والأخرى الوجه التشريعي لها ولذلك فهما متناسقان منسجمان.

أما الأصابع والألوان الجاهلية التي يصبغون بها حياة الإنسان في الأخلاق والأعراف والقوانين والتصورات والرؤى فهي لما كانت صبغة غير صبغة الله تأتي غير متناسقة مع الصبغة الإلهية لشخصية الإنسان في أصل التكوين؛ لذا فان هذه الشخصية تصاب عندئذ بالازدواجية.

وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) في حديثه لمفضل بن عمر: «ولكنه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم فأحله لهم وأباحه تفضلاً منه عليهم لمصلحتهم وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه وحرمه عليهم» (٢٣٥).

ثم إن الإسلام يقوي في المسلم الشعور بالاعتزاز ويقوي شخصيته وذلك بتذكيره دوماً بأنه وريث الأنبياء والشهداء والأئمة والصالحين والقديسين والصديقين، وأن الارتباط بهذه المسيرة المباركة يمنح الإنسان حالة الاستعلاء على الحياة الدنيا وزخرفها والترفع عن الأنا والشهوات، فإذا شعر الإنسان بأنه يرتبط نسباً وولاءاً وحباً واتباعاً بأكرم خلق الله وهم الأنبياء والأئمة فإنه سيحس إحساساً قوياً بقيمته التاريخية والحضارية فلا يفرط في قيمه وموضعه وقدرته، وهذا هو اهتمام الإسلام بالأساليب التي تشد الإنسان لهذا المحور الحضاري الرباني، فالقرآن الكريم يعتبر إبراهيم (عليه السلام) أباً للمؤمنين إذ يقول: (ملة أبيكم إبراهيم)، طبعاً إنها أبوة العمل ووراثة العقيدة والرسالة، نعم ووراثة العقيدة ونبوة الرسالة هي التي جعلت سلمان الفارسي (رضي الله عنه) من آل بيت النبوة والرسالة والتوحيد. وهذه نفسها التي جعلت ابن نوح ليس من أهل نوح (عليه السلام)؛ وذلك لأنه عمل غير صالح، فالنبوة والأبوة هما عمل قبل أن تكونا وراثة الصلب: وقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال لبعض أهل بيته: «لا يأتيني الناس غداً بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم».

إذن هناك تداعٍ مباشر بين الوراثة والعمل، فالعمل تحقيق الوراثة الصالحة والإحساس بالوراثة يهيئ الإنسان للعمل الصالح، ومن هنا تأتي زيارة الأنبياء والأئمة بعد وفاتهم وخطابهم بالنصوص الواردة في الزيارات، ومن هنا تأتي متابعتنا

ودراستنا للمنهج الحسيني، ومن هنا تأتي مشاركتنا جميعاً في نشاط المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق مشكورة على القيام بهذا المؤتمر والإعداد له والإشراف عليه.

إن المنهج الحسيني يقوّي شخصية المسلم ويعطيه إحساساً بالعزّة والكبرياء طبعاً من غير أن يكون الاعتزاز عجباً.. فحين عزم الحسين(عليه السلام) للتوجه إلى دوره وواجبه الذي أراده الله له، وحسم أمره لم يتردّد على الرغم من نصيحة بعض المخلصين له، وذلك لأنه يعي دوره المستقبلي وأهمية حركته في مستقبل الفرد المسلم ومستقبل الأمة المسلمة عبر الأجيال وإلى قيام الساعة، ودور هذه الحركة في بناء شخصية الإنسان المسلم ومنع حدوث الازدواجية فيها وفي علاجها من كثير من أمراضها، ثم حين نتحدث عن المنهج الحسيني هل ننسى أنه نتيجة للتربية العلوية والتربية النبوية المباركتين؟ هل ننسى أنه سيد شباب أهل الجنة؟ هل ننسى أنه وأخاه إمامان قاما أو قعدا؟ الحسين قام على الإمام الجائر والحسن قعد عن ذلك، وكلاهما لمصلحة الإسلام والمسلمين، أننسى أن التربية الإسلامية كل متكامل سواء ماورد منها في القرآن الكريم أو على لسان رسوله الأمين، أو على لسان أمير المؤمنين في نهج البلاغة من أسس تربوية لو أخذ بها الناس لكانت خير تربية لكل الناس ولما وصلت الإنسانية إلى ما وصلت إليه من رغبة في امتلاك السلاح المبيد الفتاك أكثر من رغبتها في إطعام جياح الأرض؟

وسواء منها ما تعلمنا إياه التربية الحسينية والمنهج الحسيني من أن يكون الفرد سوياً نفسياً خالياً من العقد والوساوس والازدواجية متكلاً على ربّه حاسماً أمره في ضرورة إحقاق الحق، ورفض الظلم والباطل والطغيان، وإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه الفريضة التي يكاد يتناساها المسلمون منذ بداية عصور الظلم والطغيان، وهذا ما أوصلهم إلى ما هم فيه اليوم من أمور يكاد لا يصدقها عقل أو فكر أو قلب.

إن السعي لزيارة الأنبياء والأئمة يعمق في نفس الإنسان الإحساس بالارتباط بهم باستمرار، ويغذي هذا الشعور بصورة مستمرة، كما أن إحياء مناسباتهم يؤدي دوراً فعالاً في تحقيق هذه الصلة الروحية بين الإنسان المؤمن وهذه المسيرة الحضارية الربانية المباركة، وليس كما يظن بعض المتعصبين بأن زيارة الأئمة مظهر من مظاهر الشرك وذلك لأن من يزور قبور الأئمة وأضرحتهم ومقاماتهم لا يعبد إلا الله ولكنه يتذكرهم ويتأسى بهم ويعاهد الله على السير على هديهم ونهجهم.

وفي موضوعنا هنا نجد أن النصوص على زيارة سيد الشهداء لا سيّما زيارة عاشوراء، تدل على الموقع الحساس الذي يحتله الحسين(عليه السلام)وتؤدي إلى تعميق الصلة بالموقف الحسيني موقف الإباء والشمم في كربلاء موقف العزة والكبرياء وسلامة الشخصية من أي ازدواج أو انحراف.

إن الارتباط بالأنبياء والأئمة والصالحين من الوسائل التي يتخذها الإسلام أداة للتربية وشدّ المسلم بالمسيرة الإسلامية الكبرى في التاريخ ويذكر القرآن بقصص الأنبياء والصالحين في معظم السور وبمختلف الصور.

إن هذا الإحساس بالوراثة يعمق كما ذكرنا شعور الإنسان بالمسؤولية ويبعث في نفسه الغيرة على موارد السلف، والوفاء لهم والحرص على الأجيال المقبلة وتشعره أنه جزء لا يتجزأ من سلسلة طويلة ممتدة وليس من حقه أن يفرط بهذا الميراث الكبير الذي ورثه من أسلافه وآبائه الصالحين.

لنتخيل لو أن الإنسان يشعر أنه لوحده، غير مرتبط بمن قبله ومن بعده، كيان قائم بذاته ولا يرتبط بمسؤولية تجاه الآباء ولا بمسؤولية تجاه الأبناء، إنه نمط غير مسؤول من الناس وبالتالي فإن إحساسه يرفع عن كاهله الشعور بالمسؤولية، ويخلق في نفسه شعوراً بأنه شيء منفصل عن التاريخ وعن المستقبل ولا يحمل أي مسؤولية عن الماضي والمستقبل، يعيش لنفسه شعوراً بأنه شيء منفصل عن التاريخ وعن المستقبل، يعيش لنفسه وفي حدود إطار ذاته وشخصيته، تخيل نفسيته وأمراضه النفسية ألا يكون ذا شخصية مريضة مصابة بالازدواجية النفسية أو ما شابه ذلك؛ إذن إن الإحساس بالارتباط بالسلف يحمي الإنسان من سلطان الهوى والشهوات ويمنحه المناعة ويحصنه ضد الشيطان ووساوس الشيطان ووسائله ومكره ويعطي الإنسان قدرة على الصمود والثبات أمام الضغوط التي يمارسها الطاغوت على المؤمنين لحرفهم عن مسيرة السلف.

الآن نأتي إلى دراسة شخصية الحسين(عليه السلام) دراسة نفسية على ضوء ما ذكرنا وبكل محبة وكرامة وأنا أعرف أنه إمام معصوم، حين حاول أمير المدينة الوليد بن عتبة ومساعدته يومها مروان بن الحكم أن يجبرا الإمام الحسين(عليه السلام) على البيعة ليزيد، وأجابهم الحسين: «أنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد رجل شارب للخمر قاتل للنفس المحترمة ملعن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله...» هذا الكلام اعتمد فيه الإمام على خلفية تاريخية ذات جذور راسخة وعميقة وأصالة، وجملة، بنا فتح الله وبنا يختم. أي أنه من سلالة إبراهيم الذي فتح الله به الرسالة الإلهية، وبمحمد ختمها، إذن استند إلى هذه الخلفية وهذه الجذور، هذه

شخصية أصيلة ناجحة سليمة نفسياً، أما الوليد ومروان فقد استندا إلى قوة الخليفة وبطشه «ولكن احبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه»، هذه النفسية المريضة المهزوزة المصابة بالازدواجية. ثم أيضاً لنأخذ كلام الحسين (عليه السلام) في عاشوراء حيث يقول: «وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية» أنظر إلى أستناده إلى الأصل والجذور والعراقة والأصالة والتربية في مقابل قوله عن يزيد «الدعي بن الدعي»، أيضاً ليس هذا شتيمة إنه عودة إلى الوراثة والأصل، وكأن الحسين (عليه السلام) يريد أن يقول لجيش ابن زياد في يوم عاشوراء إنه ليس شخصاً منقطعاً عن جذوره، خشبة عائمة على الماء يأخذها التيار حيث يتجه، وإنما هو جزء من بنيان كبير وعريق وأصيل، يرتبط بالله ورسوله من جانب، ويرتبط بالمؤمنين من جانب آخر، ويرتبط بأسرة طاهرة نقية أبية رافضة للظلم من جانب ثالث، وبالتالي لا يمكن أن يختار طاعة اللئام على مصارع الكرام. عندما يرتبط الداعية نفسياً بأسرة التوحيد الضاربة في أغوار التاريخ، والممتدة في أعماقه ويشعر بأنه عضو في هذه الأسرة المباركة وشوط من هذه المسيرة الربانية على وجه الأرض وصدى لدعوات الأنبياء والمرسلين وامتداد لهم إنه يشعر بالراحة والطمأنينة والثقة والألفة والقوة.

وتتمكن الثقة من نفس من يعمل في سبيل الله عندما يراجع مراحل تاريخ ومعاناة محمد (صلى الله عليه وآله) وغيره من الأنبياء، وموسى الكاظم (عليه السلام) وغيره من الأئمة فإنه يرى إلى جانب ما حل بهؤلاء الصفوة المختارة من الله سيرى نصب عينيه في الأفق نصر الله للمؤمنين ويرى يد الله الرحيمة معهم في كل مراحل حياتهم، كلما نزلت بهم محنة وكلما حلت بهم كارثة وكلما ضاقت بهم الأرض بما وسعت. ويرى هذا هو الأهم. ان هذا النصر والتأييد الإلهي للمؤمنين ليس صدفة ولا حادثاً طارئاً وإنما هو سنة من سنن الله التي لا تتحول ولا تتبدل:

- (ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (٢٣٦).

- (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) (٢٣٧).

- (فان مع العسرة يسرا إن مع العسر يسرا) (٢٣٨).

(٢٣٦) القصص: ٥ - ٦.

(٢٣٧) النور: ٥٥.

(٢٣٨) الانشراح: ٤ - ٥.

- (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين* إنهم لهم المنصورون* وإن جندنا لهم الغالبون)(٢٣٩).
وبهذا يزول من نفس من يجاهد في سبيل الله كل شك وريب وكل يأس وخوف
وينشرح صدره بالثقة بالله ونصره وتأييده...».

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): أيها الناس لا تستوحشوا من طريق الهدى لقتلة أهله فإن
الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل(٢٤٠)...فليعتزل المؤمنون هذه الموائد
ويقللوا طمعهم بها إلى المائدة الإلهية التي يجتمع حولها الأنبياء والأئمة والصالحون
والعاملون الصادقون من عباد الله قال تعالى (وما عند الله، خير وأبقى للذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون)(٢٤١).

ويكتب أمير المؤمنين (عليه السلام) لأخيه عقيل وقد آثر الحياة الدنيا على أخيه أبي
الحسن: «ولا يزيدن كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عني وحشة ولا تحسبن ابن أبيك ولو أسلمه
الناس متضرعاً متخشعاً ولا مقرأً للضيم وهناً ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المتقعد».
ومن هذه المسيرة فإن عمل الآباء للأبناء ذكرى ودرس وخبرة الآباء تنتقل إلى
الأبناء كدروس وتنقل خبرات العمل من جيل إلى جيل.. فيصبرون ويعملون في
مواجهة الطغاة ووعيا للعقبات، وإن الله تعالى يعلم نبيه(صلى الله عليه وآله) الصبر ممن
سبقه من أولي العزم من الرسل.

(فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم)(٢٤٢).

كما أن الله يذكر قصصاً من أنباء الرسل ليكون لهم موعظة وذكرى (ومكلاً نقص
عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين).
هذه بعض الإيحاءات التي يعطيها الإحساس بالانتماء إلى سلالة النبوة
والرسالات السماوية وهذه الشخصية الحسينية والأخلاق الحسينية والإباء الحسيني
يقوّي استلهاهما الإنسان المؤمن ويجعل منه شخصية ناجحة سليمة معافاة من
الازدواجية وغيرها.

* * *

(٢٣٩) الصافات: ١٧١ - ١٧٣.

(٢٤٠) نهج البلاغة، خطبة، ٢٠١.

(٢٤١) الشورى: ٣٦.

(٢٤٢) الأحقاف: ٣٥.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

أبو عبدالله الحسين

الشهيد الخالد بسبب انحراف السلطة

أ.د. وهبة الزحيلي

جامعة دمشق - كلية الشريعة

أبو عبدالله الحسين الشهيد الخالد بسبب انحراف السلطة

مقدمات كربلاء

من المؤلم حقاً أن تتصدّع وحدة المسلمين السياسية، وتتسع شقة الخلاف في الرأي بين المسلمين في عهد مبكر بعد خلافتين رشيدتين بسبب فتنتين داميتين هما: الفتنة الأولى التي أدت إلى مقتل وإستشهاد عثمان بن عفان، والفتنة الثانية من جديد بين المسلمين، بسبب ولاية العهد ليزيد من أبيه معاوية سنة (٦٠ هـ) ، وقد كتب «يزيد» إلى سائر الأمصار طالباً توليته ومبايعته، فبايعوه وامتنع عن مبايعته إمامان عظيمان: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير رضوان الله عليهما، وهما من الفئة المحقة الذين رفضوا بيعه بولاية العهد، على الرغم من أن «يزيد» طلب من عامله الوليد بن عتبة على المدينة المنورة إلزامهما بمبايعته وإلزام عبد الله بن عمر بها أيضاً، فرفضاً وتمكنا من اللحاق بمكة المكرمة، وهي البلد الحرام التي لا يقاتل فيها أحد، وكان مع الحسين جماعة من أصحابه، فأقام فيها أشهراً مما أدى إلى وقوع الفتنة الثانية التي كانت أشد غلياناً من الأولى، ودامت فترة أطول، حيث استمرت طوال حكم ثلاثة خلفاء بعد معاوية، واستطاع الرابع وهو مروان بن الحكم إخمادها، والاحتفاظ بالخلافة في أسرته بني أمية.

الإمام الحسين هو الإمام الشريف، سببط رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وريحانته من الدنيا، ومحبوبه، تربى في مدرسة النبوة، وتفقه في الدين والسياسة، وأدرك أن الخلافة تعتمد على الشورى وبيعة الأمة، لأعلى الوراثة وولاية العهد، وهو حرٌّ في أن يتصرف في الأمر.

وشهدت ولاية يزيد ثلاث حوادث خطيرة جداً في تاريخ الإسلام وهي مقتل الحسين(عليه السلام)، ووقعة الحرّة في المدينة، وضرب الكعبة، وهذه الأحداث مأس كبرى لا ينساها التاريخ، كما سأبين في آخر المقال.

وليس امتناع الحسين عن مبايعة يزيد أمراً غير مألوف، وإنما كان محقاً في هذا العمل بحسب موازين الشريعة السياسية.

ويتمثل موقف الحسين من الحكم اليزيدي والأمويين في خطابه الذي ألقاه في جيش العراق الأول الذي اتجه إليه حين أشرف على العراق، إذ قال: «أيها الناس، إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً

لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفي، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غير» (٢٤٣).

فمن لم يلتزم حدود الله، ليس جديراً بالبيعة، وغيره من الأتقياء الراشدين أحق بالبيعة، فلا أقول: إن الإمام الحسين كان خارجاً على خلافة يزيد، كما ينزلق فيه المؤرخون، وإنما أقول: إن الحسين أعلن تمسكه بشرعة الحق والعدل والشورى التي قام عليها الإسلام، وهو في حل من التحرك السياسي، وأحق من غيره بهذا التحرك، علماً بأنه عرف بين أهل الحجاز بتدينه وصرامته، ووصف بأنه شديد العزّة (٢٤٤). وكان أكثر تحمساً لحق أسرته في الخلافة، ورفض مبايعة يزيد، ورأى نفسه صاحب حق في الخلافة، لتجربته وكبر سنه، فقد كان يعرف بين العرب «بالسيد» وأن بني هاشم أسرته أولى بالخلافة من بني أمية، ومما يؤيد ذلك أنه قد ورد في اتفاق الحسن مع معاوية أن تكون الخلافة للحسن بعده، مما يجعله أولى بها من يزيد، وأنه أفضل منه (٢٤٥).

وزاد في خطوات الحسين نحو المطالبة بالخلافة موقف الشيعة بالكوفة، الذين كاتبهم وهو في مكة، فحرّضوه على ذلك، وكان فيها رجالات من قريش الذين سمح لهم «عثمان» بالانطلاق في البلاد، بعد أن كان من سياسة «عمر» حصرهم في الحجاز، ولما تولى «علي» الخلافة اتخذ الكوفة مركزاً له، وقاتل بأهل العراق أهل الشام قتالاً شديداً في وقعة الجمل ووقعة صفين (٢٤٦)، فاجتمع أهل الكوفة، وأرسلوا إلى الحسين كتاباً جاء فيه:

(إنه ليس علينا إمام، فأقدم علينا لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن النعمان بن بشير في قصر الإمارة، ولسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه في عيد. ولو قد بلغنا مخرجك أخرجناه من الكوفة، وألحقناه بالشام).

ثم أتبعوا هذا الكتاب بكتب أخرى بلغت زهاء (١٥٠) كتاباً من مختلف الجماعات في شهر ذي الحجة سنة (٦٠ هـ) ، وذكروا فيها أسماء الشيعة الذين حضروا الاجتماع، وطلبوا منه أن يبادر بالذهاب إلى الكوفة (٢٤٧).

(٢٤٣) تاريخ الطبري: ٣٠٤/٤ .

(٢٤٤) تاريخ يعقوبي: ٢٩٣/٢ .

(٢٤٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير: ١٣/٢ .

(٢٤٦) التاريخ السياسي للدولة العربية، د. عبدالمنعم ماجد: ٦٨/٢ .

(٢٤٧) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٣/٢ وما بعدها.

ولما وصلت هذه الكتب إلى « الحسين » أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل لمعرفة حقيقة الأمر، فسار إلى الكوفة، فوجد فيها حماساً شديداً، والتفّ حوله كثير من الشيعة وبايعوه على النصر، فاغترّ بما شاهده منهم، وأرسل إلى الحسين يستحثه على القدوم إلى الكوفة^(٢٤٨).

ولكن « يزيد » عزل النعمان بن بشير، وولى مكانه عبيد الله بن زياد أمير البصرة وصار أميراً على البلدين، فعامل الشيعة بالشدة، وتفرق عن «مسلم بن عقيل» كثير من أهل الكوفة، فاستجار بهاني بن عروة المرادي، فقتلها عبيد الله بن زياد. وسوابق أهل الكوفة مع علي وابنه الحسن معروفة، ولكن الحسين أدرك خطر بقاءه في مكة، لاحتمال تعقب بني أمية له حتى يقتلوه في الحجاز، فأثر الابتعاد عن البيت الحرام، ولما رأى عبد الله بن عباس إصرار الحسين على الخروج إلى الكوفة قال له:

(فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فإني أخاف أن تقتل كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه)^(٢٤٩) ونصحه آخرون من أهل بيته وأنصروه بأن يبقى في الحجاز، ويتحصن بمكة البلد الحرام، لأن الكوفة بلد شؤم.

ولكن الحسين لم يلتفت لنصح الناصحين، وسار إلى الكوفة في عشر ذي الحجة سنة (٦٠ هـ)، ومعه فئة قليلة لم يتجاوز عددها ثمانين رجلاً، ولم يكن قد علم بقتل مسلم بن عقيل وخذلان أهلها له، ولقي الفرزدق الشاعر في الطريق، فسأله عن أهل الكوفة فقال له: (خأفت قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية عليك)^(٢٥٠).

ومن المنغصات أيضاً: أنه بلغ الحسين (عليه السلام) وهو في طريقه إلى العراق، خبر مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل، فعزم العودة إلى مكة، لكن إخوة مسلم قالوا: (والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل) فقال: (لا خير في الحياة بعدكم)^(٢٥١).

ورأى الحسين الخروج إلى الكوفة، في جوابه على ابن عباس الذي حاول منعه من ذلك الخروج وقال: «لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي أن تستحل بي» يعني مكة^(٢٥٢).

وكان مسير الحسين من مكة إلى العراق، بعد أن بايعه اثنا عشر ألفاً من أهل الكوفة، على يد مسلم بن عقيل بن أبي طالب، مثل سنة أبيه في السير إلى العراق.

(٢٤٨) تاريخ الإسلام، د. حسن إبراهيم حسن: ٣٩٨/١.

(٢٤٩) مختصر تاريخ ابن عساکر: ١٤٢/٧.

(٢٥٠) مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر: ١٤٤/٧، ط دار الفكر بدمشق.

(٢٥١) تاريخ الطبري: ٢٩٢/٤.

(٢٥٢) تاريخ الطبري: ٢٩٢/٤.

عدم تكافؤ القوى

والتقى جيش الحسين الذي لا يبلغ الثمانين رجلاً مع جيش يزيد بين خمسة آلاف فارس وراجل بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص في كربلاء أي أرض الكرب والبلاء، على مسافة أميال كثيرة من جنوبي بغداد، وبدل التقاؤهم في هذا المكان على أن الحسين كان متجهاً إلى طريق الشام تاركاً الكوفة، ولما التقوا خيّرهم الحسين بين ثلاث فقال: «إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جنت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور» أي أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه، أو يذهب إلى الثغور: بلاد الترك، أو العودة إلى يزيد.

ولكن عبيد الله بن زياد والي البصرة والكوفة أمر قائد الجيش عمر ابن سعد بأن يسلم الحسين أو يقتل، وذلك بعد أن حرّضه شمر بن ذي الجوشن - وهو من الطغاة الأشرار، أصحاب الفتن - على التسليم أو القتل، فلم يقبل الحسين تسليم نفسه، ونشب القتال.

ويلاحظ أن الحسين لم يبدأ بالقتال، واقتصر موقفه على عدم الإستسلام فقط، بل إنه نصح من يحب من أتباعه أن ينصرف إذا شاء، ففرقوا عنه، ولم يبق معه إلا أهل بيته ومواليه وعدد من أصحابه، من بينهم أولاد مسلم بن عقيل الذين أرادوا الأخذ بثأر أبيهم.

وقد جمع الحسين أصحابه ليلة عاشوراء، فحمد الله، وقال: إني لا أحسبُ القوم إلا مقاتليكم غداً، وقد أدنت لكم جميعاً، فأنتم في حلّ مني، وهذا الليل قد غشيكم، فمن كانت له قوة، فليضمّ إليه رجلاً من أهل بيتي، وتفرّقوا في سوادكم، فإنهم إنما يطلبونني، فإذا رأوني، لهوا عن طلبكم، فقال أهل بيته: لا أبقانا الله بعدك، والله لا نفارقك، وقال أصحابه كذلك^(٢٥٣).

وقع القتال بين فئة صغيرة لا تبلغ الثمانين رجلاً مع الحسين، وبين خمسة آلاف فارس وراجل، ثم انضم إلى الحسين أفراد رأوا أن أهل العراق خانوا الحسين، وأن من واجبهم الاستماتة بين يديه فقتل جميع رجال الحسين حوالي (٧٢) رجلاً، ثم قُتل الحسين (رضي الله عنه).

استشهاد الحسين البطل

تردد جنود ابن زياد في مبدأ الأمر في قتل الحسين، لكنه لما طلب الماء^(٢٥٤)، ضربه جندي بسهم اخترق صدغه، ثم انتزع سيفه منه رجل آخر، الذي هو سيف

(٢٥٣) الكامل لابن الأثير: ٥٧/٤، سير أعلام النبلاء: ١٠١/٢.

(٢٥٤) سير أعلام النبلاء: ٣١١/٣ - ٣١٢، تاريخ ابن عسكرو: ١٤٨/٧.

النبي(صلى الله عليه وآله) المسمى بذي الفقار، فصار الحسين يضرب بسكين ولكن تكاثر الجند عليه وضربوه حتى سقط، وأصيب بجراح شديدة وسقط عن فرسه، فقام حاقد قبيح المنظر أبرص اسمه شِمْرُ^(٢٥٥) بن ذي الجوشن بعث به عبید الله بن زياد وقال له: إن قاتل، وإلا فاقته، وكن مكانه، فركب صدره الشريف، وحز رأسه، ثم وطئت الخيل جسده، فكان قتله كأبيه عليّ في كربلاء أرض بالعراق قرب الكوفة، وقرب الطف، في يوم الاثنين، لعشر خلون من المحرم سنة (٦١ هـ) ووجد فيه أكثر من ثلاث وثلاثين طعنة، وأربع وأربعين ضربة. وعمره سبع وخمسون أو ثمان وخمسون سنة. وقتل من جيش عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفراً. وفي بعضها: قتله سنان بن أنس النخعي^(٢٥٦).

مقدمات الاستشهاد وأسبابه

الحسين رضوان الله عليه نال درجة الشهادة، وبقي له الأثر الكبير في قلوب المسلمين على الدوام، وأظن أنه لو لم يستشهد لما كان له مثل هذا الشأن والحب والعطف.

وضرب المثل الأعلى في الجرأة والشجاعة قبل قتله، حيث ظلّ رابط الجأش، يقاتل قتال الفارس الشجاع، ويشدّ على الأعداء فيهزمهم، حتى صاح بهم شِمْرُ: تكلتكم أمهاتكم! ماذا تنتظرون؟ ضرب عاتق زرعة التميمي، فصرعه، وطعن سنان النخعي في ترقوته وصدره، فخرّ، ثم نزل ليحتز رأسه^(٢٥٧).

حينما أراد الحسين ترك مكة والذهاب إلى العراق، كتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمّره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنه إنّما يساق إلى مصرعه، وتقول: أشهد لحدثني عائشة أنها سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: «يقتل حسين بأرض بابل» فلما قرأ كتابها قال: «فلا بد لي إن من مصرعي» ومضى^(٢٥٨).

ولقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن قتله في أحاديث أخرى، منها ما قالت أم سلمة: دخل الحسين على رسول الله(صلى الله عليه وآله) ففرع، فقالت أم سلمة: مالك يا

(٢٥٥) وضبطه بعضهم شِمْر بن جَوْشَن.

(٢٥٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: ٣٩٧/١، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/٣٠٢، ٣١١، مختصر تاريخ

دمشق لابن عساكر: ١٤٧/٧ - ١٥٦.

(٢٥٧) سير أعلام النبلاء: ٣/٣٠٢.

(٢٥٨) مختصر تاريخ ابن عساكر: ١٤٠/٧.

رسول الله، قال: إن جبريل أخبرني أن ابني هذا يقتل، وإنه اشتد غضب الله على من يقتله. وفي حديث آخر بالمعنى: وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، فأراه إياه، فإذا الأرض يقال لها: كربلاء. وقال الرسول(صلى الله عليه وآله) كرب وبلاء(٢٥٩).

وشارك الحسين في مواقع أخرى منها وقعة الجمل، قال أبو عبيدة بن المثنى: كان على الميسرة يوم الجمل الحسين(٢٦٠).

القتلة في النار

لقد كان قتل الحسين ظلماً وعدواناً وكان وراء قتله بنو أمية ولقد خذله وتآمر عليه أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل، وظل الحسين مؤمناً بعدالة قضيته وإعلان عدم أحقية يزيد بالخلافة، وتابع في مخططه لتقويض أركان هذه الخلافة بإيمان قوي، وتصميم شديد.

قال عامر بن سعد البجلي: لما قتل الحسين بن علي، رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) في المنام فقال: إن رأيت البراء بن عازب فأقرأه مني السلام، وأخبره أن قتلة الحسين بن علي في النار، وإن كاد الله أن يسحت أهل الأرض منه بعذاب أليم، قال: فأتيت البراء فأخبرته، فقال: صدق رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتصور بي»(٢٦١).

إيمان صادق كالجبل الأشم

كتب والي مكة الى عمرو بن سعيد بن العاص كتاباً إلى الحسين جاء فيه: (بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني أعيدك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد فأقبل إلي معهما، فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار. لك الله علي بذلك شهيد وكفيل ومراع ووكيل).

فكتب الحسين(عليه السلام) مجيباً: «خير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة»(٢٦٢).

(٢٥٩) المصدر السابق: ١٣٤/٧.

(٢٦٠) سير أعلام النبلاء: ٢٨٨/٣.

(٢٦١) تاريخ ابن عساكر: ١٥٦/٧.

(٢٦٢) تاريخ الطبري: ٢٩٢/٤.

فهذا دليل واضح على صدق الحسين وإيمانه بربه وتقواه وحرصه على أن يؤمن نفسه ليوم القيامة، بفعل يفعله كخروجه لقتال الفاسدين.

مضاعفات الحادث الأليم وأثره في التاريخ

بكى المسلمون بكاء حاراً وشديداً من أصدقاء وأعداء على مقتل الحسين مما ألهب الحماس في القلوب، ولم تنطفئ جذوة الغضب عبر التاريخ. بدليل هذه الآثار (٢٦٣):

قال ابن عباس: أوحى الله تعالى إلى محمد(صلى الله عليه وآله): أني قد قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأنا قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً. وقال ابن سيرين: لم تَبْكِ السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين بن علي.

وعن خلف بن خليفة عن أبيه قال:

لما قتل الحسين اسودت السماء، وظهرت الكواكب نهاراً، حتى رأيت الجوزاء عند العصر، وسقط التراب الأحمر.

وقال عيسى بن الحارث الكندي: لما قتل الحسين مكثنا سبعة أيام، إذا صلينا العصر، فنظرنا إلى الشمس على أطراف الحيطان، كأنها الملاحف المعصفرة، ونظرنا إلى الكواكب يضرب بعضها بعضاً.

وقال المنذر الثوري: جاء رجل يبشر الناس بقتل الحسين، فرأيته أعمى يقاد. وقالت نصرية الأزدية: لَمَّا أن قتل الحسين، مطرت السماء دماً، فأصبحت وكل شي لنا ملآن دماً.

وهناك عشرات الأقوال في هذه المعاني من الإنس والجن التي إن دلت على شي، فهي تدل على مكانة أبي عبد الله الحسين عند الله، وعلى شناعة وفضاعة جريمة أعدائه الذين قتلوه قتلاً شنيعاً، يبوئهم عند ربهم يوم القيامة في نيران جهنم، مع فرعون وهامان وقارون وجنودهم رؤساء الشر والضلال، كما تدل على تعجيل النكبات بمن أساء إلى الحسين حياً وميتاً بأنواع الخبل والجنون والجذام والمرض وال فقر.

منزلة الحسن والحسين عند النبي(صلى الله عليه وآله)

كان للحسن والحسين رضوان الله عليهما منزلة عليا وفريدة عند النبي(صلى الله عليه وآله) فهما سبطا رسول الله وريحانته، وسيدا شباب أهل الجنة، لأحاديث وروايات

كثيرة وردت في حقهما، منها الحديث الصحيح عن أم سلمة: أن النبي(صلى الله عليه وآله) جلّ حسناً وحسيناً وفاطمة بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وظهرهم تطهيراً»^(٢٦٤).

ومنها ما رواه أبو سعيد الخدري عند الإمام أحمد مرفوعاً: «الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة»^(٢٦٥).

ومنها: حديث حذيفة، عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: يا حذيفة، جاءني جبريل، فبشرني أن الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة^(٢٦٦).

ومنها عن ابن مسعود قال: رأيت النبي(صلى الله عليه وآله) أخذ بيد الحسن والحسين ويقول: هذان ابناي، فمن أحبهما أحبني، ومن أبغضهما أبغضني.

ومنها حديث يعلى بن مرة قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده في رقبتيه، ثم ضمّه إلى إبطه، ثم قبّل هذا، ثم قبّل هذا، وقال: «إني أحبهما فأحبهما» ثم قال: «أيها الناس، إن الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبُنة^(٢٦٧) وهناك روايات أخرى^(٢٦٨).

الأحداث الثلاثة الخطيرة في الحكم اليزيدي

وقعت أحداث ثلاثة كبرى في عهد يزيد، لن ينساها التاريخ، فهي مصائب خطيرة، ومأس وذات جراح عميقة، وهي كارثة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي(عليه السلام) في سنة (٦١ هـ)، ووقعة الحرة سنة (٦٣ هـ)، وغزو الكعبة المشرفة.

أما يوم كارثة كربلاء

فصار يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين ولا سيّما الشيعة في العاشر من المحرم، كما أوضحت.

وأما وقعة الحرة فقد أبيحت المدينة المنورة في عهد يزيد، وهي حرم رسول الله(صلى الله عليه وآله) لكرهة أهلها حكم يزيد وخلعهم إياه وطردهم عامله وتضييقهم على من كان بها من بني أمية^(٢٦٩)، فبعث إليهم يزيد مسلم بن عقبة المري، وكان

(٢٦٤) رواه أحمد في المسند والطبراني والترمذي وابن جرير الطبري والحاكم.

(٢٦٥) رواه أحمد في المسند وغيره.

(٢٦٦) رواه أحمد في المسند وغيره.

(٢٦٧) رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي في «الأسماء والصفات»: ١٦٤، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.

(٢٦٨) انظر سير أعلام النبلاء: ٢٤٥/٣ - ٢٦٠.

(٢٦٩) تاريخ الإسلام لليقوي: ٣٠/٢ وما بعدها ٤٠.

من جبابرة العرب ودهاتهم، فحاصر المدينة من جهة الحرّة من ظاهر المدينة وفتحها، وقتل كثيراً من الصحابة والتابعين، ثم أباحها للجند ثلاثة أيام، وأسرف هو وجنده في القتل والنهب والاعتداء، فلقبوه «مسرفاً»؛ لذلك، فكانت هذه الواقعة شراً وبلاءً خطيراً على الإسلام والمسلمين^(٢٧٠).

وأما غزو الكعبة وهدمها: فقد أمر يزيد قائده مسلم بن عقبة بالمسير إلى مكة، حيث كان عبد الله بن الزبير قد دعا فيها إلى نفسه، وتبعه أهلها، ومات مسلم في الطريق، فتولّى قيادة الجند الحصين بن نمير، وحاصر مكة وهدم الكعبة بالمجانيق والعرادات واحترق البناء، ورمى مع الأحجار بالنار والنفط وأنواع المحرقات، وألحق الخسائر الفادحة بالكعبة، وذلك لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة (٦٤ هـ)، وفي أثناء الحصار والقتال الدائر بين جند الحصين وجند ابن الزبير اتاهم نعي يزيد، فرفع الحصين الحصار عن مكة^(٢٧١).

علم الحسين وصلاحه

روى الإمام الحسين عشرات الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) منها: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»، «اختلفتم وأنا بين أظهركم، فأنتم بعدي أشد اختلافاً»^(٢٧٢). وكان الحسين رضوان الله عليه مثلاً يحتذى في كثرة العبادة والتضرع إلى الله تعالى، قال مصعب الزبيري: حج الحسين بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً^(٢٧٣). نقل الزركلي في الأعلام عن الفيلسوف «ماربين» في كتابه (السياسة الإسلامية) ما أفاض فيه من وصف استشهاد الحسين، وعدّ مسيره إلى الكوفة بنسائه وأطفاله سيراً إلى الموت، وقال: لم يذكر لنا التاريخ رجلاً ألقى بنفسه وأبنائه وأحب الناس إليه في مهاوي الهلاك إحياءاً لدولة سلبت منه، إلا الحسين، ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف ينزل ملك الأمويين الواسع ويقفل أركان سلطانه. وكان نقش خاتمه (الله بالغ أمره)^(٢٧٤). لكن لا يعدّ هذا إلقاء بالنفس إلى التهلكة، وإنما هو تضحية في سبيل إعزاز كلمة الله والحق.

(٢٧٠) تاريخ الإسلام، د. حسن إبراهيم: ٢٨٦/١.

(٢٧١) تاريخ الإسلام: ٢٨٦/١ - ٢٨٧.

(٢٧٢) أنظر سير أعلام النبلاء: ٢٨٠/٣ وما بعدها، الاستيعاب: ٣٩٧/١ وما بعدها.

(٢٧٣) الاستيعاب، المصدر السابق.

(٢٧٤) الإيعام للزركلي: ٢٦٤/٢.

رضي الله عن أبي عبد الله الحسين الشهيد البطل المجاهد الفذ، ولا غرو في ذلك
فهو سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونجل قائد الشجعان والأبطال بعد الرسول الإمام
علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه.

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

أضواء

على النهضة الحسينية

د. نبيل عبد الحميد دحية

أضواء على النهضة الحسينية

لماذا خرج الإمام الحسين على حكم يزيد؟

ألم يكن يزيد أميراً للمسلمين وخليفة للمسلمين؟ هل أراد الإمام أن يفرّق جماعة المسلمين ويخرج على إمامها، أم كان يهوى المعارضة فقط، أم كانت لديه الرغبة في إثارة القلاقل والفتن والاضطرابات في الدولة آنذاك؟.

إن معاوية بن أبي سفيان لم يوف بشروط صلحه مع الإمام الحسن(عليه السلام)ونقض عهوده معه وأخذ البيعة لابنه يزيد بقوة السيف وأرغم المسلمين على هذه البيعة وجعل الحكم وراثياً دون أن يعتمد في ذلك على دليل من كتاب الله وسنة رسوله(صلى الله عليه وآله) فابتدع شيئاً جديداً في الإسلام لم يقل به أحد من قبل، وانحرف بذلك عن خط الإسلام الأصيل، فبيعة يزيد لم تكن بيعة شرعية بل كان يزيد مغتصباً بالخلافة متعدياً على حرمان الله تعالى ثم من هو يزيد هذا؟ وما هي مؤهلاته التي تجعله خليفة للمسلمين وحاكماً يجلس مكان رسول الله(صلى الله عليه وآله)ويتولى أمر أمة الإسلام؟

لقد كان يزيد لا يردعه رادع عن دين عن نيل ما يشتهيهِ. وكان شارباً للخمر تاركاً للصلاة يضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب، وكان متسهترأ بتعاليم الإسلام يحل الحرام ويحرم الحلال وكان ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات. فهل يصلح مثل هذا أن يكون خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين؟ حتى الذين قالوا إن الخلافة بالشورى هل توفرت شروط الخلافة عندهم في يزيد؟.

إنه لم يكن يصلح لتولي أمر المسلمين بكل المقاييس، وكيف يحافظ على الدين ويدافع عنه وهو له مضيع وبتعاليمه مستهتر؟ هل يوافق الإمام الحسين على مثل هذا الحاكم ويقبل أن يبايعه خليفة للمسلمين وولياً لأمرهم؟ هل يسكت كما سكت غيره ويلوذ بالصمت؟ وإذا سكت فمن غيره يتصدى للانحراف والظلم والجور والفساد؟.

إنه لا يستطيع أن يسكت ولا يمكنه ذلك حيث إنه إمام للمسلمين، لقد كان يرى في يزيد كل المواصفات للسلطان الجائر الذي تحدث عنه الرسول(صلى الله عليه وآله) في الحديث الذي رواه الإمام الحسين نفسه حيث قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».

فهل يقبل الإمام أن يدخله الله تعالى مدخل يزيد يوم القيامة بينما هو سيد شباب أهل الجنة؟، فكان لا بد أن يغير بالقول والعمل لأنه كان يرى في ولاية يزيد لأمر الأمة ضياعاً للإسلام وكان يقول: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد»؛ ولهذا رفض بيعة يزيد وأعلنها مدوية: «إن مثلي لا يبايع مثله».

لقد أراد ألا يجعلها مسألة شخصية حيث أراد أن يضعها في الإطار العام ويعلم الأجيال على مدى التاريخ أن من يقتدي بالحسين لا يمكن أبداً أن يبايع أمثال يزيد من الحكام الجائرين الذي سيوجدون على مرّ العصور، وحينما قال له عبد الله بن عمر: «اتق الله ولا تفرّق جماعة المسلمين» قال له الإمام: «والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية أبداً»، فأراد الإمام بذلك أن يحسم الموقف من بيعة الحكام الجائرين على مدى التاريخ، ولم يكتف الإمام برفض البيعة فقط وإنما أراد أن يغير؛ فكان هذا الخروج من أجل التغيير والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيقاف مسيرة الانحراف الخطيرة التي لحقت بالإسلام.

وهذا ما أوضحه الإمام الحسين في كلماته التي بيّن فيها بواعثه ودوافعه لهذا الخروج، حيث قال: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب» إنه يريد العودة بالإسلام إلى مساره الصحيح الذي كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

إنه أراد أن يلقي عن كاهل الإسلام كل هذا التبديل والتغيير والانحراف الذي أصابه. لو لم يخرج الإمام الحسين لأضفيت الشرعية على حكم يزيد وأمثاله إلى يوم القيامة، ولما استطاع أحد بعد ذلك أن يصحح مسيرة الإسلام ويوقف الانحراف، ولمحق هذا الدين وحل محله دين آخر محرّف مغاير للدين الذي أنزله الله على رسوله محمد (صلى الله عليه وآله).

فلقد كان خروج الحسين إذن دفاعاً عن الإسلام المحمدي الأصيل وفداءً له وتضحية من أجله ليبقى هذا الدين خالداً إلى يوم القيامة، ولنعرف حقيقة قول الرسول (صلى الله عليه وآله): «وأنا من حسين» حيث إن استمرار رسالته ستكون من خلال مواقف الإمام الحسين (عليه السلام).

وأرسل أهل العراق إليه يطلبون مبايعته إماماً لهم لأنهم لا يرضون بيزيد إماماً وأرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل إلى العراق ليأخذ له البيعة من أهلها ويستوثق منهم.

وقرر الإمام الخروج ولكنه اختار للخروج توقيتاً غريباً - انه يوم التروية - حيث يخرج المسلمون إلى منى محرّمين بالحج وإذا بأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) يحل إحرامه بالحج ويجعله عمرة ويقرر الخروج إلى العراق.

هكذا فعل الحسين وهو الذي حج ماشياً على قدميه خمساً وعشرين مرة. فلماذا هذه المرة لم يذهب للحج وهو موجود في الحرم واليوم يوم التروية؟ هل كان يعلم أن جلاوزة يزيد يتبعونه ويريدون اغتياله في الحرم فقرر الخروج حتى لا تنتهك حرمة البلد الأمين بسببه وحرصاً منه على حرمة البلد الحرام؟ أم أن الإمام (عليه السلام) أراد أن يعلمنا أن الخروج لنصرة الإسلام ومقاومة الجور والانحراف والفساد لا يقل أهمية عن الخروج للحج؟.

إن الخروج للشهادة ربما يفوق خروج الآخرين للحج خاصة حينما يرى الناس في الحج مجرد شعائر مجردة لا أثر لها في حياة المجتمع. ان الشعائر الإسلامية لا قيمة لها إذا لم تثمر عملاً ايجابياً في المجتمع وإذا لم يكن لها دور في الإصلاح ومواجهة الانحراف وإذا لم يصحبها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإذا لم يعقبها تمسك بالحق واستعداد للتضحية من أجله فمثلاً هل يريد الله تعالى منا حينما يأمرنا بالصلاة أن نوّدي حركات الصلاة من قيام وركوع وسجود وقراءة وذكر مجردة لا أثر لها ولا ثمرة؟ كلا إن الله تعالى يريد منا أن نقيم الصلاة التي تنتهي عن الفحشاء والمنكر (إن الصلاة تنتهي عن الفحشاء والمنكر) فإذا اقتضت الصلاة على الحركات فقط صارت ميتة لا روح فيها ولم يكن لها دور في الحياة وفي المجتمع، ولم يكن لها أثر في محاربة الفساد والمنكر، كذلك سائر العبادات ومنها الحج إن لم يكن له أثر في المجتمع وإن لم يكن فيه تعظيم لله تعالى واستصغار لكل ما دون الله تعالى وإن لم يكن فيه تعلق بالله العظيم والفناء فيه وإن لم يكن فيه الاستعداد للتضحية بكل ما هو غال من أجل الله تعالى ومن أجل دين الله تعالى وإن لم يكن فيه تحطيم لكل الأصنام والشياطين المعبودة والموجودة في حياتنا إن لم يكن فيه كل هذه المعاني صار أقرب ما يكون إلى رحلة سياحية إن خلا من كل هذه المعاني.

أم أن الإمام أراد أن ينشر خبر خروجه إلى العراق في كافة البلدان والأمصار بعد أن يرجع الحجيج إلى بلادهم بهذا الخبر فيسأل الناس عن أخبار هذا الخروج ويهتمون بمعرفة مصيره ونتائجه مما يساعد في التغطية الإعلامية لأحداث كربلاء؟ إن الحج الحقيقي الحج الإبراهيمي المحمدي هو الذي يجعل المسلم يتحرك ويعمل ويضحى من أجل دين الله تعالى ولا يخاف إلا الله ولا يعظم إلا الله تعالى وما طلب الله منه أن يعظمه: (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب).

لقد تجمع الكثير حول الإمام الحسين حيث إن الكثير قد تحركهم العواطف ولا يفكرون في عاقبة الطريق ويعتقدون أنه مجرد نزهة خالية من الآلام والصعاب، وأيضاً قد يرى البعض أن هذا الطريق فرصة للوصول إلى المغانم والمكاسب والمصالح الدنيوية، ولكن الإمام يريد نوعية معينة من الاتباع لا يريد الكثرة الغثائية التي لا تثبت عند موقف، وأيضاً فإنه يصدق اتباعه ولا يخدمهم فإن كثيراً من القادة يمارسون عملية الخداع مع أتباعهم فيزجون بهم في المهالك دون أن يصارحهم بمخاطر الطريق إنهم يريدون أن يتبعهم الناس بأي أسلوب، ثم ليكن ما يكون بعد ذلك ولكن الإمام (عليه السلام) ليس من هذا الطراز من القادة، إنه إمام وكل قول وفعل سيكون له الأثر في الأجيال وفي الزمان وفي التاريخ وهنا يحدد الإمام طبيعة مهمته ويبين مواصفات اتباعه فقال في خطبته: «أيها الناس خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وخير لي مصرع أنا لاقية كأي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواميس وكريلاء فيملآن مني أكراشا جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلانه ويوفينا أجور الصابرين ولن تشذ عن رسول الله لحمته وهي مجموعة في حظيرة القدس تقرأ بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا».

إنه يتكلم عن الموت وعن المصير الذي ينتظره في كربلاء فهي إذاً رحلة موت وشهادة، وليست نزهة أو راحة فلا يصلح لهذه الرحلة إلا الصادقون المخلصون الذين يبذلون أرواحهم فداء لأهل البيت (عليهم السلام) والذين يقدمون على الموت وعلى الشهادة، أما الذين يبخلون بأرواحهم فلا يصلحون لهذه الرحلة، وكذلك الذين يركنون إلى الدنيا ولا يرغبون في الآخرة. إن الإمام يريد الصادقين الذين يبذلون كل شيء فداء للقيادة الشرعية لأهل البيت والذين يتعطشون للشهادة إنه يريد أن يحدد مواصفات أتباع أهل البيت على مدى التاريخ .

إن طريق أهل البيت (عليهم السلام) والذي هو طريق الإسلام المحمدي الأصيل ليس بحاجة إلى المنافقين والجبناء والمنتفعين والمترددین انه لا يقبل إلا الصادقين المخلصين وهكذا تنسحب الكثرة ولا يبقى مع الإمام إلا القلة المؤمنة وهي التي يريدونها (عليه السلام) .

لماذا خرج الإمام رغم تحذيرات الكثيرين له؟

البعض طلب منه ألا يخرج والبعض طلب منه إن كان مصراً على الخروج فليخرج إلى اليمن؛ حيث يكثر أنصاره وأنصار أبيه وطبيعة الجغرافيا فيه تساعد في مواجهة خصومه.

لماذا أصر الإمام على الخروج مع أن ميزان القوى ليس في صالحه؟ ولماذا أصر كذلك وقد أخبره البعض بمقتله إذا خرج؟ إنه خرج من أجل الشهادة حيث يقوم بمهمة استشهادية وليس من أجل النصر العسكري في المعركة، لقد أراد أن ينجس الطريق أمام المجاهدين إلى يوم القيامة، وأراد أن يرشدهم إلى طريق النجاة والفلاح والسعادة والعزة والكرامة خاصة حين يفقد المرء النصر والقوة.

لقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) على يقين أنه سيقتل في أرض كربلاء ألم يحدث بذلك جدّه المصطفى؟ ألم يخبر الذي لا ينطق عن الهوى الصادق المصدوق بذلك؟ ومن أولى من الحسين (عليه السلام) بتصديق كلام جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله)؟ ألم يخبر جبريل (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وآله) يوم ولادة الحسين بأنه سيقتل في أرض كربلاء، ألم يأتي جبريل (عليه السلام) بتربة من أرض كربلاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ ألم يبكي عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقيم له مجالس العزاء، ألم يعط تربة كربلاء إلى السيدة أم سلمة رضي الله عنها وأخبرها أنه إذا تحول ذلك التراب إلي دم فلتعلم أن الحسين قد قتل؟

تقول أسماء بنت عميس بعد حول من مولد الحسن ولدت السيدة الزهراء (عليها السلام) الحسين فجاءني النبي (صلى الله عليه وآله) فقال يا أسماء هاتي ابني فدفعته إليه (صلى الله عليه وآله) في خرقة بيضاء فاستبشر به وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ثم وضعه في حجره وبكى، قالت أسماء فقلت فذاك أبي وأمي ممّ بكأوك يا رسول الله؟ قال: علي ابني هذا، قلت انه ولد الساعة، قال: يا أسماء تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي ثم قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا فإنها قريبة عهد بولادته.

وعن علي (عليه السلام) قال: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعيناه تفيضان، فقلت: يا نبي الله أعضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان؟ قال الرسول: بل قام من عندي جبريل قبل مجيئك فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، وزار ملك القطر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدخل الحسين يتوثب على رسول الله فقال الملك: أما إن أمتك ستقتله قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أتاني جبرائيل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا الحسين وأتاني بتربة من تربة حمراء، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ناول السيدة أم سلمة رضي الله عنها كفاً من تراب أحمر وقال: «إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها الحسين فمتى صار دماً فاعلمي أنه (أيّ الحسين) قد قتل، قالت أم سلمة: فوضعت في قارورة عندي وكنت أقول إن يوماً يتحول فيه دم ليوم عظيم فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دماً. إن الإمام علياً (عليه السلام) أخبر أيضاً بموت الحسين (عليه السلام) وبكى عليه فعندما مر بكربلاء عند مسيره إلى صفين وقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه، ثم قال: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يبكي فقلت

ما يبكيك؟ قال كان عندي جبريل آنفاً فأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب شماني إياه فلم أملك عيني أن فاضتاً. وفي رواية أن علياً مر بمكان قبر الحسين فقال: ها هنا مناخ ركابهم. وها هنا موضع رحالهم. وها هنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض لقد أخبره أخوه الحسن بمقتله حين دخل عليه الإمام الحسين (عليه السلام) في مرضه الذي استشهد فيه فلما رأى ما به بكى فقال له الحسن (عليه السلام) ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال أبكي لما يصنع بك فقال الحسن: «إن الذي يوتى إلي سم أقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، وقد أزدلف إليك ثلاثون ألفاً يدعون أنهم من أمة جدنا محمد وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسببهم ذراريتك ونساءك وانتهاك ثقتك، فعندما تحل ببني أمية اللعنة وتمطر السماء رماداً ودماً ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار. ألم ير الإمام الحسين جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) حيث قال له في الرؤيا: «يا حسين أخرج إلى العراق فإن الله شاء أن يراك قتيلاً مخضباً بدمائك. فالحسين (عليه السلام) كان يعلم علم اليقين أنه مقتول في أرض كربلاء؛ فخرج من أجل الشهادة لينير بشهادته الطريق أمام كل الصادقين والمخلصين والمجاهدين إلى يوم القيامة. فإذا فقد الناصر وقلت العدة فإنه لا يفقد الشهادة، إنه بشهادته (عليه السلام) يكتشف هؤلاء المتسترين باسم الدين، والذين يحكمون باسم الإسلام، بشهادته ينزع عن هؤلاء الشرعية إلى يوم القيامة، ويبين حقيقتهم.

خرج الإمام الحسين (عليه السلام) مع القلة المؤمنة وكله تصميم على أداء مهمته الاستشهادية وفي الطريق قابل الفرزدق الشاعر فسأله الإمام عن أهل الكوفة فقال الفرزدق: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، ها هو الإمام لن يجد أنصاراً له في الكوفة هؤلاء الذين أرسلوا له ودعوه ليأتي إليهم لن يحاربوا معه بل إذا لزم الأمر فإنهم سيحاربونه هؤلاء اكتفوا بحب الإمام فقط ولكن عند الموقف فإنهم سيقاتلون الإمام الحسين الذي يحبونه؛ حيث أن هناك صنفاً من الناس يدعي محبة أهل البيت ويكتفي بهذه المحبة التي لا تخرج عن طور الإدعاء، أما الولاء والتضحية والفداء فلا نصيب لهم في ذلك. إنهم يحبون أهل البيت بينما نجدهم في الساعة وعلى صعيد الواقع يتحركون ليس من أجل الدفاع عن أهل البيت وإنما لقتال وحرب أهل البيت. لماذا يفعلون ذلك؟ لأن الحب لم يتعمق في قلوبهم ولو صدقوا في حبه لصدقوا في اتباعهم وفي التضحية من أجلهم. إن هؤلاء يغلب على قلوبهم حب الدنيا وحب البقاء ولا يريدون أن يفقدوا شيئاً من مصالحهم، إن طريق أهل البيت لغني عن هذا الصنف من الناس الذين تراهم يتشدقون بحب أهل البيت ويدعون ذلك دون أن يكون لهم

موقف إيجابي نحو نصره أهل البيت والتضحية من أجلهم، ها هو الإمام يسير بأبنائه وأهله وأصحابه المخلصين ويقطع بهم الصحراء حتى يصل إلى مشارف العراق إلى كربلاء عندما يأتيه جيش ابن زياد مكوناً من ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد التميمي، ترى هل يحاول الإمام أن يجهز عليهم وهم متعبون يكادون يموتون من العطش؟ وهنا يعلمنا الإمام كيف يكون الالتزام بالخلق الإسلامي حتى مع الخصم ومع المخالف ومع المحاربين إنه يأمر أتباعه أن يقدموا لهم الماء ليشربوا ويرتووا ولترتوي منه دوابهم أيضاً إنها العظمة التي يمثلها الإمام إنه لا يتخلى عن الخلق الإسلامي في أحلك الظروف إنه الإمام الذي تتعلم منه الأجيال على مر العصور الخلق الرفيع والإرادة الحرة والرفض للظلم إنه يجسد الإسلام وتعاليمه ولا ينتظر منهم أن يعاملوه بالمثل فعما قليل سوف يحاصرونه ويمنعون عنه ماء الفرات ليموت عطشاً إنهم سيمنعون الماء حتى عن النساء والأطفال حتى عن الرضع فأى خسة هؤلاء القوم؟ وهل كان عندهم دين أو قل هل كان عندهم خلق ومروءة ورجولة؟ إن البعض من المسلمين لا يفهم كيف يتعامل مع غيره من المسلمين إن اختلفوا معه في الرأي فتراهم يكفرون الآخرين ويخرجونهم من دائرة الإسلام ويرفضون أي حوار معهم مع أن الله تعالى علمنا الحوار مع أهل الكتاب ومع الكفار حيث قال في كتابه: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) وقال أيضاً على لسان نبيّه في القرآن مخاطباً المشركين: (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فهل نتعلم من الإمام الحسين(عليه السلام) كيف نتعامل مع غيرنا من المسلمين وإن كانوا مخالفين لنا في الرأي، ها هي الجيوش تجتمع لقتال الإمام الحسين(عليه السلام) وهل كانوا أربعة آلاف أم ثلاثين ألفاً إنهم اجتمعوا لقتال من؟! لقتال ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكننا نجد الإمام الحسين(عليه السلام) يطلب تأجيل المعركة ليوم واحد إلى العاشر من المحرم. ترى لماذا طلب التأجيل؟ هل سيتراجع عن موقفه ويبايع يزيد؟ أم سوف يفرّ في جنح الظلام؟ كيف يصدر منه ذلك وهو الإمام. هل أراد أن يهيب نفسه في هذه الليلة ويتلذذ بالعبادة التي يعشقها. أم أراد أن يعطي الفرصة لأهله وأصحابه أن يراجعوا أنفسهم؟ أم أراد منهم أن يتهيأوا في تلك الليلة ويستعدوا للقاء الله تعالى، أم أراد أن يظهر حقيقة معادن هؤلاء الرجال المخلصين ويقدمهم نماذج فذة للتاريخ لنعرف كيف يكون أتباع أهل البيت(عليهم السلام). هل كان الإمام بطلاً في المعارك فقط ولم يكن عابداً ورعاً تقياً؟ إن البعض قد لا يعرف عن الإمام الحسين سوى الشجاعة والقتال والشهادة ولكن الإمام(عليه السلام) كان

رجلاً متعبداً طيب القلب نقي الضمير كثير الصوم والصلاة والحج والصدقة وفعل الخير وكان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة.

قيل لعلي بن الحسين(عليه السلام): ما كان أقل ولد أبيك؟ قال: أعجب كيف ولدت له كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة ومتى كان يتفرغ للنساء. ولقد حج ماشياً على قدميه خمساً وعشرين حجة. كان يجالس المساكين ويأكل معهم وكان كثير الإنفاق على الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل. جاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجه فقال: يا أبا الأنصار صن وجهك عن ذلك المسألة وارفع حاجتك في رقعة فإني أت فيها ما هو سارك إن شاء الله، فكتب، يا أبا عبد الله لفلان عليّ خمسمائة دينار وقد ألحّ بي فكلمه أن ينظرني إلى ميسرة فلما قرأ الحسين(عليه السلام) الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرّة فيها ألف دينار، وقال له: أما خمسمائة فاقضي بها دينك، وأما خمسمائة فاستعن على دهرك ولا ترفع حاجتك إلا إلى ثلاثة ذي دين أو مروءة أو حسب، فأما ذو الدين فيصون دينه وأما ذو المروءة فإنه يستحي لمروءته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم.

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

أبعاد المنهج العلمي

في دراسة نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

د. ياسر محمد الصالح

د. سامي ناصر خليفة

أبعاد المنهج العلمي في دراسة نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

مقدمة

المستقرى للأحداث التاريخية للبشرية سواء عبر مسيرتها الارتقائية والتقرب إلى الله عزّ وجلّ أو عبر مسيرتها في دهاليز الحياة المظلمة ومنحنيات الفساد والانحطاط نحو ذاتها الدنيئة وملذاتها الرخيصة الفاقدة لقيم الأخلاق والإنسانية من جانب، والمتتبع لمواقف البشرية من رسالات الأنبياء والمرسلين والأئمة (عليهم السلام)، والدعاة الصالحين والعلماء من جانب آخر، يلاحظ بوضوح وجلاء مدى الاختلاف الكبير والتباين الشديد في المتبنيات والمواقف النظرية والمناهج العملية من قبل الناس تجاهها. مما يوجد خطوطاً مميزة بين الأفراد في المجتمع الإنساني الواحد.

فئة تتميز بالتطرف الحاد، والرفض التام للحقائق والأفكار والأشخاص، متخذة جميع السبل والطرق التي تحقق لها هذا الموقف اللإنساني واللامعقول، ومنها فئة تتميز بالتأييد المطلق، والذوبان الكامل في خط التوحيد، والتمسك بالحق والحقيقة بثوبها النظري والعملية مهما كانت الظروف الزمانية التي تحيط بها.

وهذه الظاهرة المتكررة في تأريخ البشر، توضحها آليات وأحاديث عديدة في القرآن الكريم والسنة الشريفة فيقول عزّ وجلّ في محكم كتابه المقدس: (فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة). وبين التأييد المطلق والرفض التام، هناك حالة عائمة وشكل مطاطي زئبقي يؤطر الإنسان به نفسه، ففئة من الناس يتظاهرون بالتأييد النظري دون العملي، وأخرى تقف موقف المحارب والند العنيد، وذلك من باب الكلام النظري دون أن تمارس على أساسه ممارسات عملية واضحة، ومنها فئة يقع موقعها بين ذينك الموقعين أو الإطارين، وهم فئة اللامبالين أو الهمج الرعاع الذين ينعمون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح^(٢٧٥).

فكم من حقائق ومعارف مادية ومعنوية ذات سمات علمية موضوعية، وذات دلالات وبراهين منطقية دامغة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، والبشرية عنها غافلة جاهلة فاقدة الحس والشعور تجاهها، إلى درجة تقف فئة منها موقف الرفض التام والند العنيد والمحارب البارز لها من جانب، والتمسك والدفاع عن تلك الأحكام والمعارف المزيفة الباطلة من جانب آخر.

ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا هذا السؤال الجوهرى: ما هي الأساليب والظروف التي تساهم في تباين واختلاف المواقف والأحكام الفردية والاجتماعية تجاه تلك الحقائق والمعارف والأدلة الواضحة؟ أو بتعبير آخر: ما هي العوامل التي تشكل تلك السدود المنيعه والحواجز السميكة أمام بصر وقلب وأذن وحس الإنسان، فتمنعه من رؤية الحقائق، وسماع الأخبار الصادقة اليقين، والإحساس بالواقع الموضوعي؟ ومن أهم الأسس والقواعد الأساسية للمنهج القويم في البحث التاريخي أو في أي موضوع كان هو على النحو التالي:

- ١ - دراسة متأنية للهدف أو الرسالة الجوهرية والأساسية للموقف العملي أو الحدث الثوري أو النهضة.
- ٢ - التعرف على فلسفة وكنه الرسالة والهدف للثورة أو النهضة.
- ٣ - التفريق والتمييز بين الجوهر والقشور أو العلة والظواهر.
- ٤ - تحديد المقاييس والموازن الدقيقة والمناسبة لقياس نتائج النهضة ومظاهرها وأساليبها.

- ٥ - المنهج وأثره في تحريف وتضليل الفكر الإنساني.
- ٦ - تحديد معالم الشخصيات الرئيسية في الأحداث والثورات من حيث الإيمان والصدق والعلم بالهدف والطريق.

يتميز الإنسان عن بقية الكائنات الأخرى بحكمه كائناً مؤمناً مفكراً. فالتفكير هو الصفة الرئيسة التي تميز شخصية الإنسان عن المخلوقات الأخرى، وتوضح معالمها وموقفها من الحياة، فكلما كان منهجه التفكيرى مبنياً على أسس وركائز قيمة سليمة، كلما كان الفكر المستوحى منه فكراً قوياً صائباً. وللتفكير المنهجي السليم أهمية بالغة في تشكيل الشخصية الإنسانية وتكاملها في مسيرتها الارتقائية في الحياة.

فالذي يعاني نقصاً في التفكير السليم والمنهج القويم نراه فاقداً للرؤية الصائبة وفاقداً للحكمة والبصيرة أثناء السير في حياته، لأن التفكير السليم أو المنهج القويم هو الذي يوجه الرؤية الواقعية الصادقة، ويوصل الإنسان إلى الحق والحقيقة، وهذه هي سنة طبيعية نلاحظها حتى في سيرة الأنبياء والمرسلين(عليهم السلام) حينما أرادوا التوصل إلى حقيقة وماهية الدين وإله الكون. فهذا نبينا إبراهيم(عليه السلام) يتدرج في منهجه حتى يصل ويلامس الحق والحقيقة، وكذلك نبينا محمد(صلى الله عليه وآله) حينما تفرد بنفسه في غار حراء سنين طويلة، متخذاً من التفكير والتأمل العميق أسلوباً ليصل إلى حقيقة وكنه ما جاء به الوحي الإلهي. فالارتكاز على أسس ودعائم التفكير

المنهج القويم هو الذي يوصل الإنسان إلى الحق والحقيقة، وما سواه يضل الإنسان ويحرفه عن جادة الحق والطريق المستقيم.

فنظرة منفتحة موضوعية بعيدة عن التشنج المذهبي والتفوق الفكري، أو التعصب العرقي والميل المتطرف لأفراد أو أحزاب في عصرنا الحاضر، نلاحظ بكل وضوح وجلاء، كيف أن العبقرية والنبوغ قد اجتمعا مع المنهج القويم والأسلوب الصحيح في معرفة الحقيقة والحق والواقع الموضوعي في شخصيات علمية واجتماعية أمثال العلامة الطباطبائي والشهيد الصدر والشهيد مطهري والشهيد الدكتور بهشتي وغيرهم وعلى رأسهم من الشخصيات التي كانت لها لمسات فاعلة في التاريخ الحديث وفي مقدمتهم الإمام الخميني، فهؤلاء عرفوا المنهج القويم المتمثل في التفكير والاستنباط والاستقراء للواقع من مصادره الصحيحة المتمثلة في التجربة والعمل السياسي والاجتماعي والعقل والعرفان في آن واحد.

ونرى أن هذه هي عين الحقيقة والواقع، وإن كانت مخفية على بعض من العلماء والمفكرين والفقهاء، ولكن إن شاء الله سوف تظهر هذه الحقيقة لعامة الناس بشكل عام وتظهر للمفكرين والفقهاء بشكل خاص، بعد أن يستوعبوا ويدركوا كنه وحقيقة هذا المنهج القويم في معرفة الوضع والتصدي له، ودحض بقية المناهج والأساليب التي لا تشخص الواقع وتعالجه.

فالمنهج الصحيح والأسلوب القويم في البحث والتفكير يساعد حتى الأفراد المتوسطين في العمل والنبوغ من الإدراك والتوصل إلى مستويات رفيعة من الحقائق، في الوقت الذي لو فقد النابغة والعبقري المنهج القويم في البحث والدراسة والإطلاع لما استطاع أن يصل إلى الحقيقة بصورة موضوعية وتشخيص الواقع.

والمنهج القويم في التفكير يمكن تشبيهه بالسير في الطريق المنبسط، فالرجل الأعمى الذي يتكى على عصاه، ويمشي ببطء وحذر شديدتين، إذا سار على طريق منبسط مستقيم يكون أسرع وأكثر ضماناً وأماناً في البلوغ إلى هدفه وغايته من ذلك الرياضي أو العداء المحترف الذي أحرز كثيراً من البطولات والجوائز في هذا المضار، والذي اختار لنفسه مسلكاً شاقاً وطريقاً وعراً مملوءاً بالأشواك والصخور والعوائق، وإن استغل كل ما يملك من طاقات وإمكانات فنية أو تمتع بمقومات جسدية كبيرة.

إذا فمسألة اختيار المنهج القويم، والأسلوب العقلاني السليم في البحث، والتقصي عن الحقائق والواقع الموضوعي، أو تبني الأفكار والأشخاص في حياة الإنسان المؤمن المفكر في غاية الأهمية والخطورة، وذلك سواء بالنسبة للحقائق الاجتماعية والسياسية أو العلمية والفقهية، وسواء بالنسبة لاختيار القادة أو الفقهاء أو الزوجة أو الصديق.

فالفاقد للمنهج القويم والإيمان الراسخ في وقتنا الحاضر، يكون أول من يقع في دائرة الفسق والفساد والضلال والانحراف، وذلك لأن حياتنا المستقبلية ستتمس بالاختيار الصعب، والتمحيص الشديد، والابتلاء العظيم، والمسؤولية الكبيرة، والطريق المملوءة بالأشواك الكثيرة والمنحنيات الصعبة والمنعطفات الحرجة.

من المؤكد أن من الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى ظهور مفاهيم وآراء خاطئة، أو تبني مواقف غير حكيمة، أو تؤدي إلى اتخاذ قرارات غير رشيدة في الحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية أو العلمية أو الفكرية، هي تلك النظرات والتأملات الجزئية المفتتة، مقابل النظرة الشمولية العميقة المنفتحة للأمور التي تصادف الإنسان عبر مسيرته نحو التكامل البشري.

ونحن نعتقد بأنه من أخطر حالات النظرة الجزئية الضيقة، هي الاعتماد على بعض المعلومات والفروض المحددة والخاطئة التي تفسر ظواهر اجتماعية أو علمية معينة، في الوقت الذي تعطينا نتائج أو انطباعات صحيحة لا غبار عليها. أو بتعبير آخر تكون الفروض والمعلومات غير صحيحة، ولكن في محصلتها النهائية نجدها تعطي نتائج سليمة ومشابهة فيما لو كانت المعلومات والفروض صحيحة مائة بالمائة.

عناصر ومكونات المنهج التفكيري

المقصود بمنهج التفكير القويم: الأسلوب أو الطريقة التي تحتوي على قواعد وأسس معينة، ويتم بواسطتها الوصول إلى الحقيقة اليقينية.

أولاً: الهدف أو الرسالة الحسينية

لكل رسالة معالمها وشخصها الرئيسية التي تحدد جوهرها وكيانها الخاص المتميزة بها عن بقية الكيانات والرسالات الأخرى. وتتميز رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) بأنها رسالة إلهية وإنسانية وإسلامية من جانب، ورسالة عقائدية مبدئية ذات أبعاد سياسية واجتماعية ونفسية وتاريخية من جانب آخر. فهي رسالة تدعو إلى

الوحدة الاجتماعية والإنسانية استناداً إلى قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (٢٧٦).

والوحدة المقصودة من رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) هي وحدة الشعار والمسار والهدف والمقياس والفكر والشعور تجاه الإسلام بشكل عام، وموقفه الشرعي الإنساني تجاه ذلك الحدث الجسيم والأليم الذي ألمّ بالأمة الإسلامية. وهي رسالة خالدة، وهي رسالة للبشرية والإنسانية كافة، لأنها كانت تعالج واقع الإنسان وتخاطب فطرته وكيانه العقلي وإحساسه القلبى، لأنها تخاطب فطرة الإنسان وكرامته وقيمه الإنسانية وحرية ومعانيها السامية في بناء المجتمع السياسي الحر.

وهي رسالة تحمل فكراً وشعاراً وعقيدة بناءة تخدم تلك القيم والمبادئ والمشاعر وتحارب الأفكار السائدة المنحلة والمنحرفة عن جادة الحق والحقيقة، والشاذة عن مسار الفطرة الإنسانية والرسالة الإسلامية لتبني كياناً متكاملًا ودولة متينة يجد الإنسان فيها مأمناً وحرية، ويمارس نشاطاته الروحية والفكرية والاجتماعية في ظل هذه الدولة الكريمة المباركة. وهي رسالة لتصحيح التاريخ المنحرف آنذاك وبالتالي تحمل في طياتها سنن التاريخ وشعاره ولغته وفقهه وأسلوب التحليل والتفكير فيه، وهي رسالة حق، واتباع الحق والحقيقة.

وهذا يتجسد بشكل واضح وجلي، حينما نتأمل أو حتى نلقي الضوء فقط على البيان الأول للإمام الحسين (عليه السلام) لثورته، حيث جاء في شكل وصية كتبها إلى أخيه محمد بن الحنفية: «... وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله) أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا، أصبح حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين» (٢٧٧).

فرسالة الحسين (عليه السلام) هي رسالة تجسد كرامة الإنسان وإيمانه بالهدف المنشود وأداء التكليف الشرعي والعقلي وذلك دون خوف واضطراب، بل بشوق وحنين وهيام وفخر واعتزاز وخاصة مع معرفته الكاملة لنتائج خروجه على الظلم والفساد والظالمين في سياق قراءته لواقع المسلمين آنذاك. وهذا ما نلاحظه بشكل جلي في خطبته عند خروجه (عليه السلام) من مكة.

«الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقية

(٢٧٦) آل عمران: ١٠٣.

(٢٧٧) الوثائق الرسمية لثورة الحسين (عليه السلام)، عبد الكريم القزويني: ص ٣٦ نقلاً عن مقتل الخوارزمي.

كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاد فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً،
لا محيص من يوم خط بالقلم».

إذن فرسالة الحسين هي رسالة ارساء قيم الرسائل السماوية وليس رسالة
زعامة دنيوية مؤقتة، فهي رسالة الشهادة والشهيد على الأمة الإسلامية على مرّ
تاريخها القديم واللاحق.

ثانياً: الجوهر والقشور في تحليل ودراسة ثورة الحسين (عليه السلام)

عند تحليل وشرح الحوادث التاريخية بشكل عام والمواقف الاجتماعية
والشخصية بشكل خاص، قد تضيع الفكرة الأساسية أو الهدف الرئيس أو جوهر
الموضوع ويتم التركيز وإلقاء الضوء على قشور المسائل والحوادث أو على العلل
الثانوية والظواهر الجانبية، مما قد تسبب عند نهاية الأمر في ضياع الحق والحقيقة
وطمس معالمها

وتفاعلاتها في الفكر والسلوك، وفي بعض الأحيان بسبب التركيز على جانب من
الجوانب الرئيسة للحدث أو الموضوع.

وعليه، حتى نستوعب ونلتمس الأهداف الحقيقية لثورة الحسين (عليه السلام) ونستفيد
من مخزونها العاطفي والعقائدي والفكري والسياسي والاجتماعي، يجب استيعاب
جوهرها وعلتها وأهدافها الأساسية التي تتركز في المحاور الرئيسة التي تمّ
توضيحها في رسالة الثورة الحسينية وفلسفتها.

ومن المؤسف أن كثيراً من المؤرخين الاجتماعيين والمحللين السياسيين في
عصرنا وفي العصور الغابرة لم يستطيعوا أن يلمسوا هذا الجوهر وتمّ التركيز على
العوامل والمتغيرات الثانوية فقط فضلاً عن تفسير الثورة الحسينية على أساس
محاور اجتماعية أو قبلية أو شخصية تأرية أو في إطار الزعامة والخلافة.

ونعتقد أن بعضاً من المؤمنين الذين لم يستجيبوا لنداء ثورة الإمام الحسين (عليه
السلام) ولم يتفاعلوا عملياً معها كان منطلقهم رؤية قشور وأطراف وجوانب هامشية
وفرعية من أصل النهضة والثورة الحسينية أو النظر إلى مكوناتها وفقاً للمنظار
المادي.

وعليه نستنتج أن منهج البحث والتفكير وتقصي الحقائق القويم لا بد أن يستند على
الهدفية والغائية الواضحة لموضوع البحث والدراسة من جانب، والتشبث والتمسك
بالجوهر والأساس وترك القشور والأمور الجانبية التي تصطب وتتحرك وتسيح

حول الجوهر والأساس من جانب آخر، بحيث يكون هو الضمان للإنسان الباحث عن الحقيقة والحق الذي يبعده عن الانحراف عن الطريق المستقيم والوصول إلى الحق وذلك بعد خلوص النية التي تتمثل في معرفة الحق والحقيقة، والالتزام بهما مهما كانت تلك الحقيقة.

إذن لا بد للمفكر والمحلل لثورة الإمام الحسين(عليه السلام) من سبر أغوار هذه الثورة والغوص في أعماقها للتعرف على حركتها العفوية واكتشاف جواهرها المحركة وماهيتها، وذلك من خلال تشخيص معالم العلل والدوافع التي أدت إلى وقوع هذه الثورة، أي معرفة العلل الفاعلة أو المسببة لها ومن ثم معرفة العلل الغائية، أي معرفة هدف وغاية تلك النهضة أو الثورة، وبعد ذلك يتم التعرف على العناصر والمحتوى والمضمون الذي تتشكل منه تلك النهضة، أي العمليات والنشاطات التي وجدت في سياق الحدث، وكذلك الشكل العام والصورة الكلية التي اتخذتها الحركة أو الثورة في المجموع.

وهنا تتبادر إلى الذهن جملة من التساؤلات المشروعة التي تتطلب إيجاد الإجابات الصحيحة والمقنعة لها. ومن أهمها ما يلي:

هل أن نهضة الإمام الحسين(عليه السلام) حركة وثورة عفوية انفجارية؟ وهل استجابة ورد فعل الإمام الحسين(عليه السلام) استجابة انفعالية غير محسوبة؟ أم أنها نتيجة لتراكمات زمنية ساحقة خلقت حالة نفسية مليئة بالعقد والمعاناة؟ مما تسبب فقدان الصبر والتحرك في اتجاه حركة الأعصاب والتهيج دون تصميم وإرادة مسبقة لها؟ وهل الحركة كانت استجابة لدعوات الناس إلى الإمام الحسين(عليه السلام)؟

كلّ المؤشرات والدلائل تؤكد على أن نهضة الإمام الحسين(عليه السلام) هي ثورة واعية تماماً، أساسها التصميم وجوهرها الإرادة الواعية، ومن معالمها الاختيار الحرّ، والعمل على أساس التكليف الشرعي والاجتهاد العقلي الذي يفرض على كل قائد وإمام مخلص في سبيل أهدافه الإسلامية، وتؤكد على النظرة والرؤية التاريخية البعيدة للأمة الإسلامية، وليست انفجاراً وانفعالاً من جانب أو استجابة لدعوة الكوفة فقط.

فلو وضعنا تحليلاً للمحركات الرئيسية لثورة الإمام الحسين(عليه السلام) لنجدها تتشكل في المسائل أو المحاور التالية:

١ - عدم بيعة يزيد بن معاوية. يلاحظ أن عامل البيعة لا يفرض على الإمام الحسين(عليه السلام) أكثر من تكليف رفض البيعة أو العمل باقتراح ابن عباس واختيار

جبال اليمن مكاناً للهجرة، لكان قد عمل بذلك التكليف الإلهي من جانب الالتزام والتطبيق بالواجب الشرعي.

٢ - دعوة أهل الكوفة. مما يقتضي التكليف الشرعي تلبية هذه الدعوة وخاصة أنها حجة قد تمت على الإمام الحسين(عليه السلام)، فواجب الإمام هنا التوجه والسير نحو الكوفة، ما دام أهل الكوفة متمسكين بدعوتهم وبيعتهم له، ولكن عندما يتخلون عن التزاماتهم وعهودهم وينقضون العهد أو يتراجعون عنه، فإن الواجب والتكليف الإلهي للإمام (عليه السلام) يكون قد سقط عن كاهله، فليس هناك معنى للتكليف المحدد.

ولكن المستقرى للتاريخ وحوادثه آنذاك، يلاحظ بوضوح أن حركة وفلسفة ودوافع نهضة الإمام الحسين(عليه السلام) لم تكن مقتصرة على تلبية دعوة أهل الكوفة، حيث أن عامل دعوة أهل الكوفة لم يكن سوى عامل وقت، أي أنه كان عاملاً متأخراً على قيامه، فبعد لقاء الإمام الحسين(عليه السلام) بالحر بن يزيد الرياحي وتأكدت لديه أخبار مقتل مسلم، وسائر أخبار الوضع الكوفي، أصبح موضوع دعوة أهل الكوفة منتقياً ولم يعد تكليفاً شرعياً يفرض على الإمام (عليه السلام) أي واجب معين تجاهه.

٣ - عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهنا يكون موقف الإمام الحسين(عليه السلام) موقف المهاجم النائر والداعية للثورة والنهضة والحركة الجهادية الفاعلة، وليس موقف المدافع والمتعاون مع الحدث.

ولا نريد هنا أن نهمل أو نهمل دور عامل البيعة والدعوة، ولكن الذي نريد أن نقول أن جوهر حركة الإمام الحسين(عليه السلام) ودوافعها والمحرك الرئيس لها هو انطلاقه (عليه السلام) من دافع التكليف الشرعي المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياقه التاريخي والعقائدي والاجتماعي.

ومن هنا، نستطيع القول أن منهجية دراسة نهضة الإمام الحسين(عليه السلام) تفرض علينا الاطلاع الشامل والدقيق والمعرفة الحقيقية لمبدأ وشروط وأهداف المبدأ الإسلامي القويم، مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى نستطيع أن نعمل على تقييم وتقويم وتحليل وتفسير أهداف وغايات ومحركات نهضة الإمام الحسين(عليه السلام) من جانب، وكيفية الاستفادة من دروس وعبر عقائدية وسياسية واجتماعية لا شك أن الأمة الإسلامية بأمس الحاجة إليها في وقتنا الحاضر.

ونحن نعتقد كل الاعتقاد أن أغلبية المسلمين بما فيهم بعض علماء الدين بحاجة ماسة إلى فهم حقيقي لهذا المبدأ الذي لو تم تطبيقه بالشكل السليم لكان أساس للقضاء على الظلم والظالمين والفسق والفجور من جانب، وأساساً لبناء الصرح الإسلامي التكاملي في المجتمع من جانب آخر. فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يشترط تحديد جوهر الفسق والفجور وعاملهما الرئيسي وذلك على المستوى الشخصي والاجتماعي والسياسي.

ألم يشخص الإمام الراحل الخميني (قدس سره) أن الشيطان الأكبر اليوم هو أمريكا؟ وعليه يستلزم الحذر والحرص وعدم الركون إليها، ومواجهة هذا الشيطان وكشف ألاعيبه ومؤامراته وأساليبه في البطش بالأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء وكذلك الانتباه الشديد للأساليب والأهداف والأعمال المعسولة التي تمتلئ بالسم القاتل.

فالإمام الحسين (عليه السلام) قد شخّص العلة الرئيسة وكشف جوهر المشاكل والفسق والفجور القائمة آنذاك، والتي ستوجد مستقبلاً بشخص وأفعال يزيد بن معاوية، فلو كان تركيزه على أفعاله فقط لكان الأمر والوضع القائم وضعاً آخر قد لا يذكر للإسلام والأخلاق فيه إلا قليلاً.

وهكذا يجب أن لا نغفل اليوم عن جوهر وعلة الظواهر المرضية والأخلاقية في مجتمعنا وأن نشخصها بالعلة الجوهرية المتمثلة بالعامل الداخلي في نفس الإنسان، والعامل الخارجي المتمثل اليوم في الشيطان الأكبر أمريكا وأعوانها في المجتمعات الإسلامية.

وخلاصة القول، أن المقاييس والموازن التي بواسطتها نستطيع تمييز الحقائق والإدراكات المزيفة أو الخاطئة، عن الإدراكات والحقائق الصادقة والصحيحة، وفقاً للمنطق أو المذهب الإسلامي في المعرفة هي متنوعة، بحيث يكون لكل واحد منهما مجال خاص، يمكن الاستناد والاعتماد عليها في قياس الحقيقة اليقينية الصادقة. فهناك مقياس العقل، وهناك مقياس التجربة والإحساس، وهناك مقياس الآثار والدلائل غير المباشرة، وهناك مقياس القلب والإيمان والفترة والتسليم، وأخيراً هناك مقياس روعي ينبع من ضمير الإنسان ووجدانه.

وكل هذه الموازين والمقاييس تقيس لنا الحقائق والإدراكات، وتميز لنا الصادق والصحيح من الكاذب والمخطئ.

ثالثاً: مقاييس وموازن الحقيقة الصادقة وأثرها في معرفة الحق والحقيقة وتقويم

الحركات والثورات التاريخية

المطلع على أدبيات الفكر الفلسفي أو الاجتماعي، يلاحظ مدى التباين والاختلاف الكبير حول المقياس الذي يقاس به صحة المعارف والحقائق الإنسانية. أو بتعبير آخر، المقياس الذي يميز لنا المعارف الصادقة عن المعارف الكاذبة أو الباطلة.

والإنسان في حياته يواجه تيارات عنيفة من الأفكار والمعارف المتباينة، ومطلوب منه في هذا الخضم الكبير من الصراعات والتناقضات، أن يحدد موقفه اتجاه هذه التيارات والحقائق. وبالتالي يحتاج إلى مقاييس وموازين يقيس بها، ويميز بواسطتها المعارف اليقينية الصادقة والصحيحة من الباطل والكاذب.

فبأي شيء تعرف الحقيقة؟

ما هو مصدرها؟

ما هو المقياس الذي يميز به الصواب من الخطأ؟

هل التجربة والمشاهدة والاختبار فقط؟ أم العقل المحض، أم الدين والوحي، أم العرف، أو تحقق اللذة والمنفعة الفردية أو الاجتماعية، أم العرفان والقلب؟ أو أن كل واحد من هذه الأسباب والمقاييس لها مقامها الخاص. وفي اعتقادي أن كل تلك المعطيات لها موقعها الذي يتناسب مع عمق ودقة الموضوع الذي ما زال قيد البحث والدراسة.

فخروج الإمام الحسين(عليه السلام) - كما يقول عباس محمود العقاد في كتابه أبو الشهداء الحسين بن علي(عليه السلام) - من مكة إلى العراق حركة لا يسهل الحكم عليها بمقاييس الحوادث اليومية، لأنها حركة من أندر حركات التاريخ في باب الدعوة الدينية أو الدعوة السياسية.. لا تتكرر كل يوم ولا يقوم بها كل رجل ولا يأتي الصواب فيها بالصورة التي جاءت عليها هذه الثورة.

وهي حركة لا يأتي بها إلا رجال خلقوا لأمثالها فلا تخطر لغيرهم ببال، لأنها تعلق على حكم الواقع القريب الذي يتوخاه في مقاصده سالك الطريق الرحب والدرج المطروق، وهي ليست ضربة مغامر من مغامري السياسة، ولا صفقة مساوم من مساومي التجارة، ولا وسيلة متوسل ينزل على حكم الدنيا أو تنزل الدنيا على حكمه، ولكنها وسيلة من يدين نفسه ويدين الدنيا برأي من الآراء هو مؤمن به ومؤمن بوجود إيمان الناس به دون غيره.. فإن قبلته الدنيا قبلها وإن لم تقبله فسيان عنده فواته بالموت أو فواته بالحياة، بل لعل فواته بالموت أشهى له ترقباً للقاء الباري جلّ وعلا.

هي حركة لا تقاس إذن بمقاييس المغامرات ولا الصفقات ولكنها تقاس بمقياسها الذي لا يتكرر ولا يستعاد على الطلب من كل رجل أو في كل أوان^(٢٧٨).

(٢٧٨) عباس محمود العقاد «أبو الشهداء الحسين بن علي» دار الكتاب العربي ١٩٦٩.

فنهضة الإمام الحسين(عليه السلام) لا تقاس بمقياس مادي أو عقلي محض أو مقياس نتائج التجربة، بل هي ثورة ونهضة شاملة تتضمن أبعاداً عقائدية وروحية واجتماعية وسياسية وتاريخية وأبعاداً نفسية ودينيوية وأخروية، وتتجاوز أبعادها الإطار الإسلامي لتصل إلى الإطار الإنساني الفطري، وتخرق محددات الزمن وتربط الماضي بالحاضر والمستقبل.

وعليه يستلزم استخدام مقاييس وموازين متنوعة ومتعددة في قياس نتائجها وأساليبها وأهدافها وغاياتها السامية، وأن تستخدم ميزان الحس والعقل والقلب والتجربة التاريخية وأن يكون الميزان لقياس بعض المسائل الجوهرية لهذه النهضة من الدقة والكمال كميزان الذهب، أو بشكل أدق مثل الميزان الذي يقاس بها وزن الذرة، لأنها من المسائل الجوهرية الدقيقة التي تستلزم وضعها تحت مجهر إلكتروني دقيق للتعرف على حقيقة الحقائق لهذه الثورة الفريدة والنهضة الشاملة الخالدة التي تقتبس منها كل المذاهب والطوائف والملل والنحل اسس ومبادئ نهضتها؛ وذلك كل بقدر معرفته ودرأيته واستيعابه لأبعاد وأهداف وأساليب هذه النهضة، وخير دليل على ذلك هذا الكم الكبير من الزعماء والمشاهير والفلاسفة والمفكرين الذين استشهدوا بأقوال وأمثال الإمام الحسين(عليه السلام) من جميع الملل والمذاهب الإسلامية وغير الإسلامية.

وخلاصة القول، المنهج القويم الذي يستلزم من الباحثين والدارسين لنهضة الإمام الحسين(عليه السلام)، استخدامه في التعرف على حقيقة الحقائق والأبعاد البعيدة والأهداف السامية والرؤية الكونية والتاريخية لهذه الثورة، الذي يتمثل في المنهج الشمولي الإسلامي الإنساني الفطري، وليس في المنهج الذي يركز على بعد واحد مثل الماركسية كالبعد الاقتصادي، أو الجنسي والجغرافي أو البعد المادي أو البعد الواقعي التجريبي أو البعد النفسي. وكذلك المقاييس والموازين التي بموجبها يتم قياس وزن الأمور يجب أن تكون مناسبة مع دقة ووزن وبعد الأمر.

ونحن في هذه الورقة حاولنا أن نستعرض بإيجاز تلخيص بعض أبعاد وجوانب المنهج العلمي في دراسة نهضة الإمام الحسين(عليه السلام). ونعتقد أن غياب المنهج القديم هو المسؤول عن إمكانية الباحث في الوصول إلى حقيقة الحقائق والأبعاد البعيدة لهذه النهضة الخالدة والتي ستصبح قاعدة وإطاراً للنهضات الإسلامية القادمة إن شاء الله.

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الإمام الحسين

على قمة هرم الحضارة الإنسانية

د. أحمد راسم النفيس

الأستاذ بكلية الطب جامعة المنصورة مصر

الإمام الحسين على قمة هرم الحضارة الإنسانية

على قمة هرم الحضارة الإنسانية يتربع الإمام الحسين بن علي عليه وعلى آبائه وعلى أبنائه أفضل الصلاة وأتم السلام وعلى السفح وبين الشقوق يجثم السقوط بشقيه المادي والدوني فسحقاً لمن رضي بالذل!

أما الدونية فتتمثل في أولئك الذين قال عنهم ربنا عز وجل: (قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)^(٢٧٩) وهم الذين صمتوا حتى قتل الإمام الحسين (عليه السلام) حتى إذا جيء برأسه الطاهر ووضع بين يدي ابن زياد وأخذ يعبث به، قال قائلهم: (أمر عبد عبداً فاتخذ قوماً تلداً!! أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة فهو يستعبد خياركم). أما المادية فتتمثل في هؤلاء: (الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا)^(٢٨٠) وكانت السلطة والمال أكبر همهم وهدفهم الذين لا يبغون عنه حولاً.

إنها التقسيمة السائدة في دنيا المسلمين من يومها إلى يومنا هذا بين المادية الأموية المتسلطة والدونية الذليلة التابعة التي تقوم بدور البوق والتي تحاول الآن عبثاً النهوض برأسها وانتزاع السلطة من بين أيدي المتسلطين مدّعية التقوى والورع وهيئات هيئات فقد (ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون).

يخطئ من يظن أنه من الممكن لهذه الأمة أن تنهض من كبوتها وأن تفيق من غفوتها التي طالت تحت قيادة أولئك الذين ما زالوا يحملون على أكتافهم أوزار البشرية جمعاء مع أثقالهم (وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون)^(٢٨١) فالنقيضان لا يجتمعان إرادة التحرر والانطلاق وتلك الأثقال والأوزار التي تكاثرت وما زالت تتكاثر لتوقر الأكتاف والأعناق حتى يأتي يومهم الذي يوعدون فيؤخذ بالنواصي والأقدام.

تلك العقد النفسية المرضية والازدواجية الأخلاقية التي حملها أعداء نهج الأئمة من الأولين وحتى أتباعهم الآخرون ومفكروهم المعطوبون والتي استمرت قتل البشر وسلب حقوقهم وسبهم ولعنهم ولمزهم بالألقاب والإفتراء عليهم وترويج

(٢٧٩) البقرة: ٦١ .

(٢٨٠) الأنعام: ٧٠ .

(٢٨١) العنكبوت: ١٣ .

الأكاذيب في حقهم لا لشيء إلا اتباعهم وموالاتهم لأهل بيت العصمة والنبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ فأصيبت عقولهم بالشلل ونفوسهم بالمرض وحيل بينها وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل، ثم ها هم يصرخون بعد أن دارت الدائرة عليهم وأحلوا قومهم دار البوار والخسار منددين بالإزدواجية الأخلاقية لقوى الاستكبار العالمي وكأنهم قدّموا طيلة هذه القرون النموذج الأمثل للجهر بالحق ومقاومة الظلم بينما يشهد لهم الواقع والتاريخ أنهم أضاعوا كل فرص النهوض والتحرر والانطلاق، ويزداد العجب حينما يردد هؤلاء حجّتهم التاريخية البالية القائلة بأن الشيعة هم الذين خذلوا أبا عبد الله الحسين وهب أن هذا بعضه أو كله كان صحيحاً فمن الذي أعمل فيه السيوف ومن الذي وطأ بسنابك الخيل؟؟ إنها نفس الإزدواجية الأخلاقية التي يمارسها هؤلاء اعتذاراً عن قتل عمار بن ياسر في مواجهة ما أخبر به الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) «تقتلك الفئة الباغية» فيقولون إنما قتله من أخرجه.

البشرية من القمة إلى القاع

على قمة البشرية يوجد أولئك الذين عاشوا وما زالوا يعيشون بين الشهادة والشهود إنهم (محمد وآل محمد) يحيط بهم من أحبهم وأخلص لهم الولاء الواعي من (الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) أي مبعدون عن القاع الدنيوي والأخروي. لقد كتبنا من قبل عن التمهيد التاريخي للنهضة الحسينية منذ الولادة الطاهرة بل ومنذ البعثة النبوية المباركة بدءاً من اللحظة التي دخل فيها الصراع بين الحق والباطل إلى بداية مرحلته النهائية تلك اللحظة التي تسلمت فيها الطليعة المحمدية (محمد وآل محمد) قيادة البشرية، وها نحن الآن نتحدث عن الحسين بن علي (عليه السلام) وقد عاش مرحلة الشهود قبل أن يكملها بالانتقال إلى الشهادة، الشهود المطلق للحضرة الإلهية حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الإمام الحسين في عالم الشهود

وقف الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة قبيل توجهه للشهادة يدعو قائلاً: «اللهم اجعلني أخشاك كأي أراك وأسعدني بتقواك ولا تشفتي بمعصيتك وخر لي في قضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت.. ها أنا أتوسل إليك بفقرتي إليك وكيف أتوسل بما هو محال أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك؟ أم كيف أترجم بمقالي وهو منك برز إليك؟ أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت إليك؟ أم كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت؟ إلهي ما

ألفك بي مع عظيم جهلي وما أرحمك بي مع قبيح فعلي! إلهي ما أقربك مني وأبعدني عنك وما أرفك بي! فما الذي يحجبني عنك؟ إلهي علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إليّ في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء.

إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعي عليك بخدمة توصلني إليك.. كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك و متى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً .

إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعي إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها، مصون السر عن النظر إليها ومرفوع المهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير إلهي، هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك فاهدني بنورك إليك وأقمني بصدق العبودية بين يديك .

إلهي علمني من علمك المخزون وصنّي بسترِكَ المصون إلهي حقتني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسلك أهل الجذب إلهي أغني بتدبيرك عن تدبيرِي وباختيارك عن اختياري وأوقفني على مراكز اضطراري .

أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووجدوك وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك، أنت المؤمنس لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذي هديتهم حيث استبانتم لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك؟ تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وأنت الذي تعرفت إلي في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء، وأنت الظاهر لكل شيء يا من استوى برحمانيته فصار العرش غيباً في ذاته محقت الآثار بالآثار ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار يا من احتجب في سرادقات عرشه عن أن تدركه الأبصار يامن تجلى بكمال بهانه فتحققت عظمته من الاستواء كيف تخفى وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر؟ إنك على كل شيء قدير) دعاء الحسين يوم عرفة.

كان هذا هو الإمام الحسين (عليه السلام) في ساحة الشهود في المرحلة التي سبقت توجهه إلى ساحة المواجهة المفروضة عليه حيث الظهور الإلهي الحقيقي في كل شيء ولكل شيء ولكنها (لا تغمى الأبصار ولكن تغمى القلوب التي في الصدور)، (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) حيث أشرقت الأنوار وزالت الأغيار وحيث الأنس الحقيقي بالحضرة الإلهية بعيداً عن الوحشة الإنسية الدنيوية فأنت أنت الذي هديت أوليائك حتى استبانتم لهم المعالم وأنت أنت الذي أنستهم حين أوحشتهم كل هذه العوالم.

من هنا بدأ الانطلاق أي من حالة الشهود نحو الشهادة (منك إليك) (منك يا الله إليك لا إلى غيرك) لا إلى صعود موهوم نحو الدنيا ولا إلى الجاه ولا إلى السلطة ومن باب أولى لا إلى ذل وخنوع مفروض باسم الواقعية السياسية والحكمة الكهنوتية أو تقية القبور ولو كانت باسم الحسين وأهل البيت (عليهم السلام)، تلك الغيبوبة الاختيارية التي تركت العالم يتوجه نحو الحرية والديمقراطية وتفرغت لمهمة الاعتذار والتبرير، والأدهى أنها زعمت وما زالت تزعم أنها أهدى سبيلاً وبدلاً من أن تستضيء بنور الحسين اتخذت من كلام عمرو بن العاص (سلطان غشوم خير من فتنة تدوم) شعاراً ومنازاً!

(منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك فاهدني بنورك إليك وأقمني بصدق العبودية بين يديك) ومن هنا كان الانتقال الواعي إلى التطبيق العملي أي الشهادة، فكيف يقول البلهاء والمزورون أن فلاناً نصحه وأن فلاناً أشار عليه فأى منطق أن يستدل على طريق الوصول إليه بمن هو في وجوده مفنقر إليه؟ وأي لعين أغواهم فقال لهم: إن الحسين حين انتقل من حالة الشهود متوجهاً إلى الشهادة بعد أن أزال الحق جل وعلا الأغيار من قلبه حتى لم يحب سواه ولم ير أحداً غيره خرج يطلب الملك والدنيا؟ وما لم يقيم العبد البرهان على صدق الشهود بالسعي إلى الشهادة حتى ولو لم يحصل عليها فعندها (يصدق عليه أن محاسنه مساوئ وحقائقه دعاوى) فسحقاً لأمة رضيت بالذل واختارت أن تنتقل بين المساوئ والدعاوى الفارغة واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير من دون أن تحاول أن تستضيء بنور السماوات والأرض!

الحضارة بين المعاني والمباني

في البدء كانت الكلمة (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)^(٢٨٢) فأصل الحضارة كلمة لها معنى... وفعل له معنى... ومبنى له معنى...

لقد مثل الحسين (عليه السلام) كلمة الحق والإخلاص والتوحيد في أمة عزّ فيها القائلون بالحق: (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) إنها أمة وصفها سيدة نساء العالمين: «أيها الناس المسرعة إلى قيل الباطل المعرضة عن قيل الحق».

فالتوحيد كلمة ينطق بها اللسان ومعنى في القلب ومبنى تقام فيه الصلوات خالصة لله رب العالمين (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)^(٢٨٣) (ألم تر أن الله يسجد له

من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من
الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء^(٢٨٤).

ومن هنا فعندما يعتمد الإنسان تلك المعاني المقدسة مثل السجود والإخبات لله
رب العالمين يأخذ كل شيء معه في رحلة الصعود والارتقاء بما فيها الأحجار
والجمادات والمنشآت التي تصبح هي الأخرى مقدسة (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي
كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين)^(٢٨٥) أما عندما يبدأ الإنسان رحلة
المعاندة مع الله تصبح المباني قلاعاً في ساحة مواجهة مع جبار السماوات والأرض،
تلك الساحة التي لا عاصم ولا معتصم فيها من أمره جل وعلا إلا من رحم (قال سآوي
إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من
المغرقين)^(٢٨٦) (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر
مشيد)^(٢٨٧) (أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم
جبارين)^(٢٨٨)؟؟

هذا على مستوى العلاقة بين المعنى والمبنى فالمعنى هو الروح والباطن والمبنى
هو الظاهر ، والباطن هو الذي يمنح الظاهر حيثية وجوده أو يسلبها منه وعندما
يصبح الباطن في اتجاه، والظاهر في اتجاه معاكس ويستولي الشيطان على أوليائه؛
يتفرد الذين سبقت لهم من الله الحسنى مؤثرين الحق على الخلق والباطن على الظاهر
تاركين الدنيا لأهلها مؤثرين ما عند الله وهو خير وأبقى حيث تتوحد إرادتهم مع
إرادة الله ويصبح مرادهم هو مراد الله وعندها يسميهم ربّ العزة شهداء ويصبحون:
(أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)^(٢٨٩).

وعلى الناحية الأخرى يتكوم أصحاب المباني خالية المعاني ويعيشون على ظهر
الأرض (أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون)^(٢٩٠) فليس من مات فاستراح بميت إنما
الميت ميت الأحياء.

(٢٨٣) الحج: ٣٢.

(٢٨٤) الحج: ١٨.

(٢٨٥) المائدة: ٢١.

(٢٨٦) هود: ٤٣.

(٢٨٧) الحج: ٤٥.

(٢٨٨) الشعراء: ١٢٨-١٣٠.

(٢٨٩) آل عمران: ١٦٩-١٧٠.

(٢٩٠) النحل: ٢١.

لهذا كله كان الحسين بن علي (عليه السلام) هو سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة لا لأنه استشهد في معركة عادية بين الحق والباطل بل لأنه أبقى المعنى الإسلامي الرسالي الحقيقي حياً ودافئاً عندما روى شجرة الحرية والكرامة بدمه الطاهر وحقق ما عجزت عن تحقيقه جحافل المتكلمين الغوغائيين المهترطين من يومها إلى يوم الدين.

ويكفي للدلالة على عظمة الوقفة الحسينية أن نعرف أن الأمويين فعلوا ما لم يفلح أبرهه في صنعه عندما هدموا الكعبة في ظل الحكم اليزيدي الذي أوقفته الصدمة الحسينية عند حده ومنعته من التمدد والاستمرار ، إنه الصدام بين المعنى الرسالي الكامل وقاطرة الشر المتكامل التي ما كان لها أن تتوقف عندما تصطمم للوهلة الأولى بأي عقبة تواجهها بل لا بد لها أن تقطع مسافة طالت أم قصرت حتى تستلقي على جانبها وتتكوم وتذوق وبال أمرها، وهذا ما حدث بالفعل حيث لم يدم الحكم اليزيدي بعد استشهاد الحسين (عليه السلام) سوى عامين قام فيهما باستباحة المدينة المنورة وهتك حرمتها وبقي النوح والبكاء في دورها عاماً كاملاً ثم هدم الكعبة بعد قصفها بالمنجنيق وكان بين هدمه الكعبة وهلاكه أقل من أسبوعين.

إنه المعنى الذي عبر عنه أبو الأحرار الحسين بن علي بقوله: «إذا كان دين جدّي لا يستقيم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني» إنه معلم الحرية الأول لكل أحرار العالم من المسلمين وغيرهم والنموذج الرسالي الأكمل فأين الثرى من الثريا وأين المعنى الأمثل من التشبيه والاستعارة والتمثيل؟؟.

امتداد الكلمة الحسينية إلى يوم يبعثون

كذب العادلون اختيارهم باختيار الله وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراً مبيناً أولئك الجهلاء الذين يتساءلون لماذا خرج الحسين بن علي؟ وأجهل منهم من يقول: إن المفسدة التي تحققت بخروج الحسين ابن علي أكبر من المصلحة وأجهل من كل هؤلاء الذين يعتبرون ما يسمونه بالكربلانية نوعاً من الهروب والانسحاب من المواجهة وكأنهم يقولون: إن الحكومة الأموية الجائرة كانت أمراً أراد الله وكان أمر الله قدراً مقدوراً وسبحان من قال: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون؟؟ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون) والله وحده يعلم كيف كان مصير الإسلام والمسلمين لو بقيت هذه الدولة الفرعونية التي ابتلي بها الإسلام في صدره الأول لو لم تتعرض لزلزال الثورة الحسينية وتوابعه الممثلة في حركة التوايين ثم

ثورة المختار بن أبي عبيدة ثم ثورة زيد الشهيد وأخيراً ثورة يحيى بن زيد رضوان الله عليهم أجمعين، فقد بقيت دولة بني العباس عدّة قرون وكذلك بقيت دولة سلاطين بني عثمان حتى بداية القرن العشرين وبرغم كل ذلك كانت كلمة الله هي العليا تلك الكلمة التي أطلقها أبو عبد الله الحسين وجعلها (كلمة باقية) في عقبه إلى يوم يبعثون كلمة يهابها سلاطين الجور ويعملون لها ألف حساب حتى يأتي يوم الفصل الذي يحسم فيه الأمر مع المجرمين أجمعين (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما تؤخره إلا لأجل معدود).

الصراع بين المادية والدونية

ابتلي المسلمون بأنفسهم حينما نكثوا عهدهم من بعد أيمانهم ولم يوفوا ببيعهم الذي بايعوا به يوم غدير خم، فكان أن فقدوا إرادتهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة والدونية وتحقق فيهم وعد الحسين بن علي حينما خاطبهم في آخر لحظاته في هذه الدنيا، وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع يتقي الرمية ويفترص العورة ويشد على الخيل وهو يقول: «أعلى قتلي تحاثون؟؟ .. أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله .. الله أسخط عليكم لقتله مني وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله أن لو قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم»^(٢٩١).

إنها إذا تلك الدونية السائدة بين هؤلاء الأزلام المستخفين بكل التزام أخلاقي من يومها إلى يومنا هذا لحساب طغاة ذلك العصر وكل عصر من الماديين الدنيويين، فكيف يقدر الدونيون أن يواجهوا الماديين الدنيويين أو أن ينتصروا عليهم، هيهات هيهات وهكذا وما لم ينهض الحسينيون الرساليون الاستشهاديون الذين تنتظرهم كل البشرية ويأخذوا زمام المبادرة فلن يتحقق النصر أو الخلاص المأمول.

المسلمون والازدواجية الأخلاقية

يكثر العرب والمسلمون من انتقادهم للقوى الكبرى محملين إياها مسؤولية المآسي التي يعيشها العالمان العربي والإسلامي!! أما أنهم يتحملون قسطاً لا يستهان به من المسؤولية فهذا مما لا شك فيه، أما الإصرار على تبرئة الذات وتحميلهم وحدهم كامل المسؤولية واتهامهم دون غيرهم بالازدواجية الأخلاقية فهذا ما لا نصدقه وما يكذبه الواقع والتأريخ فما هو الشاعر الوحيد الذي جرؤ يومها على رثاء الإمام الحسين يتساءل:

أتسألنا قيسٌ فنعطي فقيرها *** وتقتلنا قيس إذا ما النعل زلت
ألا إن قتيل الطف من آل هاشم *** أذل رقاب المسلمين فذلت
ثم يقولون لك إنها قضية تاريخية لا داعي لإثارتها لأنها ستفترق شمل الأمة.
إنها بالفعل خطيئة تاريخية ارتكبتها الأمة، وما زال البعض مصراً على مباركتها
لأنها ستفترق شمل الأمة إلى فريقين (فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا
الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) وهم يعنون أن اكتشاف الناس للحقيقة
سيؤدي إلى انفضاضهم عن المحورين المتصارعين للاستيلاء على أشلاء الأمة من
يومها إلى يومنا هذا محور السلطة والمال يقابله أحياناً ويعاونه أحياناً أخرى محور
الذل والذيلية والتبعية الذي يتطلع هو الآخر إلى اقتسام كعكة السلطة والمال.
فلماذا يتهم الاستكبار الغربي وحده بالازدواجية الأخلاقية مع أنه لم يقتل الحسين
ولا اقتحم المدينة يوم الحرة ولا قتل ستة آلاف من أهل الكوفة من أصحاب المختار
صبراً في يوم واحد بعد أن أخذوا الأمان؟

التحليل السياسي الحسيني لواقع الأمة الإسلامية عشية توجّهه نحو الشهادة:
تكلّمنا سابقاً عن أن التحرك الحسيني نحو ساحة المواجهة ومن ثم الشهادة جاء
منطلقاً من تكامل الوعي الإنساني مع الإرادة الإلهية تحقيقاً لكرامة الإنسان (ولقد كرّمنا
بني آدم) (كلا إن كتاب الأبرار نفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهو
نفس التكامل الذي ظهر واضحاً في الخطاب السياسي لأبي عبد الله الحسين عشية
توجّهه نحو ساحة المواجهة المفروضة والمقدرة سلفاً، ولقد جاء هذا التحرك
الإستشهادي في مقابل سياسة تزييف الوعي الذي أدمنته النظم الأموية القديمة
والمعاصرة ذلك الوعي القائم على قلب الحقائق ومخاطبة الجماهير بشعارات مبهمة
تتحدث عن الاستقرار ووأد الفتنة من أجل التغطية والتعمية على مظالمها واستبدالها
واستئثارها بالسلطة وإمعانها في انتهاك كرامة الإنسان عماد قوتها ومنبع وجودها
وفشلها في تلبية احتياجات الأمة الاستراتيجية والأساسية ذلك الفشل الذي ظهرت
معالمه واضحة جلية في الأزمة الراهنة التي يواجهها الإسلام والمسلمون والتي
جاءت نتيجة تراكمات الماضي القريب والبعيد وعجز الأمة عن التحرك نحو
الإصلاح حيث كان النظام الأموي نموذجاً واضحاً لكل هذه العورات والسيئات التي
تراكمت حتى حولت الأمة الآن إلى مسخ شائه يعجز حتى عن الدفاع عن الكرامة في
أبسط صورها وأشكالها، فما بالك بحقيقتها، من هنا جاءت هذه الكلمات وجاء هذا
الخطاب الذي يعرّي الحقائق ويبينها للناس لعلمهم يتنبهون قبل أن يصل الحال إلى ما
هو عليه الآن وما أقرب الليلة من البارحة!

اعتبروا، أيها الناس، بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأبحار إذ يقول: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)^(٢٩٢) وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبة في ما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول: (فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً...)^(٢٩٣)، وقال: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..)^(٢٩٤) فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها.

ثم أنتم، أيها العصابة، بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وباللّه في أنفس الناس مهابة يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيئة الملوك وكرامة الأكابر؛ أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون؟ فاستخففتم بحق الأنمة فأما حق الضعفاء فضيعتم وأما حقكم بزعمكم طلبتم فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأماناً من عذابه، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نعماته لأنكم بلغتكم من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون وأنتم في عباده تكرمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفرعون وأنتم لبعض نهم آبائكم تفرعون ونمة رسول الله محقورة والعمي والبكم والزمن في المداين مهملة لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعتبون وبالادّهان والمصانعة عند الظلمة تآمنون كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي أنتم عنه غافلون وأنتم اعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون، ذلك بأن مجارى الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك إلا لتفرقكم

(٢٩٢) المائدة: ٧٨-٧٩.

(٢٩٣) المائدة: ٤٤.

(٢٩٤) التوبة: ٧١.

عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ولو صبرتم على الأذى وتحملتكم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإيكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيروا في الشهوات سلطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فما بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشتهم مغلوب، يتقلبون في الملك بأرائهم ويستشعرون الخزي باقتدائهم اقتداءً بالأشرار وجرأة على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة والناس لهم خول لا يدفعون يد لأمس، فمن بين جبار عنيد وذئ سطوبة على الضعيف شديد مطاع لا يعرف المبدئ المعيد، فيا عجباً وما لي لا أعجب، والأرض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا!

اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسنتك في بلادك، فإنكم إن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم، «وحسبنا الله وعليه توكلنا واليه أنبنا وإليه المصير».

كانت هذه هي رؤية الإمام الحسين (عليه السلام) لواقع الأمة السياسي وما آلت إليه الأمور بعد تمكن الشيطان الأموي من الرقاب ذلك التمكن الذي مهد له وأعان عليه أغلب القوى السياسية والاجتماعية الكارهة للعدل، والذين لم يوفروا فرصة لمحاربة الحق والاستقامة المتمثلة في أئمة أهل البيت إلا وانتهزوها كراهية للذات ورغبة مفتوحة ألهبها الشيطان في نفوسهم (ليبدلوا نعمة الله كفرةً ويحلوا قومهم دار البوار) وكان المصائب والويلات التي لحقت بالأمة في مرحلة ما قبل الخلافة العلوية لم تكن كافية لتردد شيطانهم فكان أن أعلنت حرب مفتوحة على إمام الحق منذ اللحظة الأولى لولايته، وكأنها كانت فلتة من فلتاتهم السابقة، ثم ها هم بعد انتهاء دولة ابن آكلة الأكباد لم يأخذوا عبرة وعظة مما لحق بهم (الشيطان سول لهم وأملى لهم) وغرهم مخزون القوة والدفعة المعنوية التي نالها أولئك الأعراب بانتسابهم للرسالة الإسلامية المحمدية وظنوا أنهم إلى الله لا يرجعون وكان قائلهم يقول: (ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولنن رُددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً) (وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) وهكذا فقد استمرراً هؤلاء وأحفادهم وأحفاد أحفادهم ذلك الاختلال ورغبوا عن التصحيح والإصلاح حتى جاءهم يومهم الذي يوعدون وها هي الأساطيل والطائرات تحيط بهم

فهلأ قرر هؤلاء العودة إلى الله وإلى صراطه المستقیم ونهجه القويم «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» بالرغم من أنهم كانوا (يفتنون في كل مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)؟

لقد جاء التحرك الحسيني دفاعاً عن كرامة الأمة كل الأمة وكرامة الإنسان كل إنسان، ولم يكن مجرد تحرك للدفاع عن سلطان مسلوب تنازل عنه الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) لابن أكلة الأكباد ومن ثم فهو فتنة نصح فلان وعلان باجتنابها كما يقول المعطوبون ممن قام النظام الأموي بتسليمهم القيادة الفكرية للأمة ليتفرغ هو للقنص والقتل والاستمتاع بثروة الأمة المنهوبة، ولو تأمل هؤلاء في خطابات الإمام الحسين (عليه السلام) لرأس النظام الأموي: «أست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة، جرأة على الله واستخفافاً بعهده؟ أو لست بقاتل عمرو بن الحمق، الذي أخلقت وأبليت وجهه العبادة فنحل جسمه وصفرت لونه بعد ما أمنتته وأعطيتته من عهود الله ومواثيقه فقتلته من بعد ما أعطيتته من العهود ما لو أعطيتته طائراً لنزل إليك من رأس الجبال ثم قتلته جرأة على الله واستخفافاً بذلك العهد؟ أولست المدعى زياداً في الإسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم في جذوع النخل؟ سبحان الله! يا معاوية، لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين علي صلوات الله عليه فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي ودين علي هو دين ابن عمه (صلى الله عليه وآله) الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آباءك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم»؟

ويبقى السؤال ماذا كان يتوقع المسلمون من سكوتهم المتماذي على هذه الجرائم وخذلانهم لأئمة الحق من آل محمد واستخفافهم بهذه البشاعات وجريهم وراء وعاظ السلاطين الذين أفتوهم بوجوب السكوت على الظلم والرضا به والوقوف مع الظالم ضد المظلوم تحقيقاً لما يسمونه بالاستقرار وخوفاً من وقوع ما يسمونه بالفتنة إلا أن يأتيهم جورج بوش ليستبيح بيضتهم وينتهك حرمتهم بعد أن مهدوا بأنفسهم طريق الذل وفرشوه للناس بالورود، بل وجعلوا من كل هذا الرغام فرقة وحيدة ناجية ومن عداها من المقاومين الثائرين الأبرار في النار .

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الإمام الحسين (عليه السلام)

إمامته

سعد محمد القاضي / مصر

الإمام الحسين (عليه السلام) إمامته

١ - الإمامة ودورها في الحياة المعنوية والسياسية والاجتماعية للناس

تظهر عظمة إمامة الإمام الحسين(عليه السلام) عندما نصحه أخوه محمد بن الحنفية أن يبقى في المدينة ولا داعي للسفر الى العراق.

قمة عظمة الإمامة هنا أن الحسين(عليه السلام) رأى في هذا النصح نوعاً من التخاذل، وان روح الهزيمة قد شاعت في النفوس؛ فقرر أن يحطم قيود الخنوع والضعف.

لقد كان رده درساً لكل من يريد أن يفهم معنى الإمامة وعظمتها عند الحسين(عليه السلام).

لقد كان لرده تأثير عظيم في الحياة بكل صورها المعنوية والسياسية والاجتماعية.

لقد سبق الجميع في الذهاب الى المعركة؛ وهذا هو دور الإمام العظيم الذي يسبق الجميع في الذهاب الى المعارك.

ويذهب الحسين(عليه السلام) ليودع جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) :

إنه يقول أمام قبر رسول الله: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد خرجت من جوارك كرهاً وفرق بيني وبينك مبايعة شارب الخمر وراكب الفجور يزيد بن معاوية، وأنا إن فعلت وبايعت كفرت وإن أبيت قتلت...».

هنا تظهر عظمة الإمامة عند الحسين(عليه السلام).

لقد كانت كلماته هذه فعل السحر في وجدان الناس.

٢ - موقع الإمام الحسين(عليه السلام) من صيانة مكتسبات الأنبياء الإلهيين

- من أهم مكتسبات الأنبياء(عليهم السلام) .

- لم يكن الحسين(عليه السلام) خارجاً لحرب وإنما الى ارجاع الدعوة الإسلامية الى نبعها إرشاداً وهداية ومحافظة على الإسلام والسلام.

- هل يعقل أن يخرج رجل لحرب الألوف بعشرات من الأطفال والنساء والرجال العزل؟

- إن الحسين(عليه السلام) كان يريد أن يحافظ ويصون مكتسبات الأنبياء والتي أهمها وأبرزها الدعوة الى السلام.

- ثم انه الإمام العابد الغيور على دين الله، أثر عنه أنه أدى فريضة الحج خمساً وعشرين مرّة ماشياً على قدميه من المدينة الى مكة تواضعاً لله وتقرباً اليه سبحانه وتعالى واقتداءً بالنبي محمد(صلى الله عليه وآله) .

٣ - موقفه من معركة الأئمة من أهل البيت

- من أبرز معاركه (عليه السلام) عندما انتقلت الخلافة الى الإمام علي كرم الله وجهه.. فعندما امتدت الصراعات السياسية والعسكرية في هذا العهد كان الحسين(عليه السلام) في مقدمة القادة الذين استعان بهم الخليفة لمحاربة خصومه، فظهر كبطل مغوار في تلك المعارك الحامية الوطيس فيما تعرف على صفحات التاريخ باسم الفتنة الكبرى.

وكذلك كان موقفه مع أخيه الأكبر الحسن - لقد نصح الحسين(عليه السلام)الحسن وقال له:

- أنشدك الله أن لاتصدق أحداثاً معاوية وتكذب أحداثاً أبيك! فقال له الحسن: اسكت، أنا أعلم بهذا الأمر منك.

٤ - صراعه مع البدع والتيارات المنحرفة

من أهم هذه التيارات تيار الجبن والخوف الذي أصاب أهل الكوفة عندما تأكدوا أن الحسين(عليه السلام) في طريقه الى محاربة أعداء الإسلام.
- انه تيار مليء بالبدع ومليء بالشائعات المنحرفة التي روّجها البعض من أهل الكوفة.

- عندما رأى الحسين انسيال المئات منهم وبدأوا ينصرفون عنه سرايا أخذ يؤثّبهم ويخبرهم أن هناك تيارات منحرفة ضده وضد الإسلام وضد السلام.
- وكانت المفاجأة عندما قال لهم: انه في غنى عنهم وهذه التيارات التي جرفتم ساقضي عليها، ويقول:

«فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا بيتاً أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً».

- لقد تمكن الحسين(عليه السلام) من أن يقضي على التيارات المنحرفة التي وقفت ضده.

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المد الحسين في مصر

صالح الورداني

المد الحسيني في مصر

مع بروز الإمام عليّ (عليه السلام) وتسلمه إمامة المسلمين بعد مصرع عثمان وإرساله لمحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر مصر - بدأت أنوار آل البيت وآثارهم تبرز في مصر وتستوطن فيها^(٢٩٥).

واستمرت حركة آل البيت في التواجد والإنتشار بين ربوع مصر، واستوطن الكثير من أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله) أرض مصر مما ساعد على تعميق الروابط بين المصريين وآل البيت (عليهم السلام) ، تلك الروابط التي ازدادت قوة وتمكناً رغم الضغوط والمعوقات.

ولقد كانت فاجعة كربلاء وما نتج عنها من مأس وأحزان العامل الرئيسي في ديمومة هذا الترابط وتوطين حب آل البيت في قلوب المصريين خاصة بعد وصول السيدة زينب إلى مصر وإقامتها بها ثم وفاتها ودفنها بين ربوعها حسبما أشارت بعض المصادر التاريخية^(٢٩٦).

وبعلو ذكر السيدة زينب في مصر ارتفع ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) وجاءت السيدة نفيسة من بعدها لتسهم في دعم هذا الذكر وشيوعه في مصر^(٢٩٧). من هنا برزت على ساحة الواقع المصري ظاهرة الاحتفال بآل البيت وإحياء المناسبات الخاصة بهم والتي هي مستمرة منذ قرون طويلة وتشارك فيها جميع قطاعات الشعب والتي تعكس بصورة واضحة مدى الحب والولاء الذي يكنه المصريون لآل البيت .

(٢٩٥) لا يزال المرقد الذي يضم رفات محمد بن أبي بكر بعد اكتشافه موجوداً، وقد بني فوقه مسجدٌ على النيل في قرية تابعة لمدينة أجا بمحافظة الدقهلية ، كذلك قبر مالك الأشتر الذي يقع على مقربة من القاهرة ويقال له الشيخ العجمي وذلك بمنطقة القلج التي أصبحت امتداداً للقاهرة الكبرى اليوم.

(٢٩٦) هناك خلاف بين الرواة والمؤرخين حول مكان دفن السيدة زينب إلا أن هناك العديد من المراجع التي تشير إلى وصولها إلى مصر ووفاتها فيها عام (٦١ هـ). أنظر خطط المقرئزي والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أبياس وانظر مساجد مصر وأولياؤها الصالحون للدكتورة سعاد ماهر: ج ١ والعدل الشاهد في تحقيق المشاهد لعثمان مروخ، وتحفة الأحابيب للسخاوي وانظر لنا الشيعة في مصر من الإمام علي حتى الإمام الخميني.

(٢٩٧) هي نفيسة بنت الحسن بن زيد الأبلج بن الإمام الحسن (عليه السلام) ولدت عام (١٤٥ هـ) بالمدينة وتوفيت بالقاهرة عام (٢٠٨ هـ) ودفنت في بيتها الذي هو مشهدها اليوم . وكان الشافعي قد تتلمذ على يدها وصلت عليه حين وفاته بمصر (٢٠٤ هـ) .

ومن أبرز الاحتفالات السائدة في مصر الاحتفال بذكرى مولد الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك الاحتفال الذي يقام في قلب القاهرة القديمة حيث يقع المشهد الحسيني^(٢٩٨). والاحتفال بآل البيت في مصر اليوم إنما يقع على كاهل التيار الصوفي بطرقه المختلفة، وتشارك فيه وزارة الأوقاف وبعض الجمعيات والمؤسسات الأهلية بالإضافة إلى جماهير الشعب الغفيرة.

رأس الحسين

وعند قدوم الفاطميين إلى مصر وقيام دولتهم فيها أخذت حركة آل البيت دفعة قوية حيث تحول أهل مصر من خط معاوية وبني العباس إلى خط الإمام عليّ لتصبح مصر قوة ودولة مركزية بعد أن كانت تابعة لدمشق وبغداد.

وفي عام (٥٤٨هـ) (١١٥٣م) في خلافة الفاتح الفاطمي تمّ نقل رأس الحسين (عليه السلام) من مدينة عسقلان إلى القاهرة في يوم الأحد الثامن من جمادى الآخرة (١١٥٣/٨/٣١م).

وقام الوزير طلائع بن رزيق ببناء جامع خارج باب القاهرة الجنوبي ليُدفن فيه الرأس الشريف إلا أن أهل القصر غلبوا عليه ودفنوه في قصر الزمرد ثم أنشئت له قبة في العام التالي (٥٤٩ هـ) وهي المشهد الموجود حالياً^(٢٩٩).

وقد كثرت الروايات واختلفت المصادر التاريخية وتضاربت الروايات حول مكان الرأس إلا أن هناك العديد من المصادر والمؤرخين الذين أكدوا وجود الرأس في مصر منذ أواخر العصر الفاطمي^(٣٠٠).

ويمكن حصر الأماكن التي أشارت الروايات إلى وجود الرأس فيما يلي :
كربلاء ، المدينة ، دمشق ، عسقلان ، القاهرة ، حلب ، مرو ، الرقة^(٣٠١).

(٢٩٨) الاحتفال بذكرى الإمام الحسين في مصر يرتبط بتاريخ دخول الرأس إلى مصر في شهر جمادى الآخرة حسبما أشارت المصادر التاريخية الخاصة بتلك الفترة على ما سوف نبين.

(٢٩٩) انظر خطط المقرئ، ج ٢ والعدل الشاهد والسخاوي وصبح الأعشى للقلقشندي وتاريخ المساجد الأثرية لحسن عبد الوهاب ومساجد مصر لسعاد ماهر وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي وإخبار مصر لابن ميسر وبدائع الزهور لابن أبياس والعدل الشاهد لابن مدوخ وغيرها من المراجع . وقد شكك ابن كثير في البداية والنهاية في وجود الرأس بمصر سيرا على نهج أستاذه ابن تيمية .

(٣٠٠) انظر المراجع السابقة . وانظر لنا الشيعة في مصر .

(٣٠١) انظر مروج الذهب للمسعودي والبداية والنهاية لابن كثير وتاريخ الإسلام للذهبي ومسالك الأبصار للعمدي وروض الأخبار لابن يعقوب والخطط للمقرئ وتاريخ ابن عساكر وأحسن التقاسيم للمقدسي وإسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين للصبان والعدل الشاهد وإخبار مصر وصبح الأعشى ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وبدائع الزهور وتذكرة الخواص وغيرها من المراجع.

وأمام هذا الخلاف في الروايات والتضارب في الأقول قال سبط ابن الجوزي :
وفي الجملة ففي أي مكان كان رأسه فهو ساكن في القلوب والضمائر ، قاطن في
الأسرار والخواطر(٣٠٢).

وبعد سقوط الدولة الفاطمية عام (٥٦٧ هـ) وقيام الدولة الأيوبية التي عملت على
محو آثار الفاطميين من مصر استمر أثر المشهد الحسيني في واقع المصريين(٣٠٣).
واستمرت الاحتفالات بذكرى عاشوراء إلا أن الأيوبيين عملوا على تغيير مقاصد
هذه الاحتفالات ومظاهر الحزن التي ارتبطت بها(٣٠٤).

وأمام المد الحسيني الجارف أقيمت المدارس والتجمعات من حول المشهد
الحسيني لينشأ مع مرور السنين أهم الأحياء السياحية والتجارية بالقاهرة وأحبها إلى
نفوس المصريين وهو حي الحسين الذي أصبح قبلة أهالي الأقاليم الوافدين إلى
القاهرة ، وقبلة الأدباء والمتقنين ، وموطن الرموز الإسلامية البارزة ، ومركز
الطرق الصوفية بالإضافة إلى كونه مأوى للفقراء والمستضعفين الباحثين عن الأمن
والرزق.

إن استمرار الدور الحسيني في واقع مصر والمصريين لهو دليل قاطع على كون
بركات آل البيت قائمة لا تنقطع، وأن الخصوم مهما صنعوا من مؤامرات ووضعوا
من عراقيل فلن يحولون بين المسلمين وآل البيت ، ولن ينفذوا إلى قلوبهم ويحجبوا
النور الإلهي عنهم. ولقد توطن حب آل البيت وحب الحسين خاصة في قلوب
المصريين من قبل الفاطميين ومن بعدهم، وازداد هذا الحب اشتعالاً على مر السنين
وشكل عقيدة خاصة كانت سداً منيعاً حال بينهم وبين السقوط في برائن أعداء الإسلام
بل كانت دافعاً من دوافع الجهاد والإستشهاد في سبيل الله.

تأثيرات

- (٣٠٢) تذكرة الخواص . وانظر مساجد مصر لسعاد ماهر .
(٣٠٣) هدم قصر الزمرد مع مواقع أخرى من آثار الفاطميين وقبض على أبناء الفاطميين وحبسوا وأغلق الجامع الأزهر
ونادى مناد في الطرقات من اعتقد غير عقيدة الأشعري ومذهب بغير مذهب الشافعي فقد حل دمه .
إلا أن الأيوبيين أبقوا على المشهد الحسيني واستثمروه وبنوا من حوله المدارس وهذا فيه دلالة على قوة المد الحسيني
وعجزهم عن مقاومته .
والجدير بالذكر أن المسجد الحالي الذي ألحق بالمشهد بني في عهد الخديوي إسماعيل حفيد محمد علي.
انظر رد فعل المصريين تجاه هذا الانقلاب في خطط المقريري وبدائع الزهور والنجوم الزاهرة . وانظر أحداث عام
(٥٦٧ هـ) في كتب التاريخ. وانظر لنا الشيعة في مصر .
(٣٠٤) استبدل الأيوبيون الموالح التي كان المصريون يأكلونها في عاشوراء وليس السواد بالحلوى والملابس الملونة .
كذلك تم الحد من المظاهر الشعبية التي كانت تقام بهذه المناسبة حتى اختفت مع مرور الزمن . انظر المقريري وبدائع
الزهور والنجوم الزاهرة والنصر على مصر لابن الجوزي.

ولم تنحصر بركات الحسين على مصر والمصريين في حدود المشهد الذي يحوي مرقد الرأس الشريف والذي قامت على أساسه منافع لا حصر لها على المستويين المادي والمعنوي تمثلت في إقامة حي باسم الإمام الحسين - كما ذكرنا - وتأسيس ثقافة دينية تقوم على حب آل البيت والولاء لهم بالإضافة إلى قيام نهضة أدبية أفرزت العديد من الروايات والأدباء - (٣٠٥)، بل امتدت إلى سلالة الإمام من الأشراف الذين أحدثوا تأثيرات فاعلة على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في تاريخ مصر الإسلامي.

وعلى رأس هؤلاء الأشراف

- السيدة زينب بنت علي شقيقة الإمام الحسين ومرقدها مشهور في حي كبير يعرف باسم حي : السيدة زينب .
- السيد البدوي الحسيني صاحب الكرامات والشعبية الساحقة، وتقام بمناسبة مولده احتفالية ضخمة في بلدة طنطا التي تضم مرقده والتي كانت قرية صغيرة وتحولت إلى مدينة كبيرة في وسط منطقة الدلتا وأصبحت عاصمة محافظة الغربية .
- السيد عمر مكرم نقيب الأشراف وزعيم الشعب الذي تصدى للحملة الفرنسية وأوصل محمد علي إلى حكم مصر.
- السيد جمال الدين الأفغاني الذي وفد إلى مصر عام (١٨٧٨م) وقام بتأسيس جمعية العروة الوثقى وبث روح الوعي والنهوض والبعث في نفوس المصريين والتف حوله الكثير من أرباب الفكر والقلم ومن أشهر تلاميذه الإمام محمد عبده.
- السيد أحمد عرابي الحسيني وهو واحد من القادة العسكريين من تلاميذ الأفغاني، وقد قاد الجيش في مواجهة الخديوي توفيق حاكم مصر مطالباً بحقوق الأمة في الحرية والعدل والسيادة على مقدراتها ، ثم تصدى للإنجليز الذين جلبهم توفيق إلى مصر ودخل معهم في معركة شرسة انتهت بهزيمته والقبض عليه ونفيه مع رفاقه إلى جزيرة سيلان .
- السيد عبد الله النديم أحد تلاميذ الأفغاني ورجالات عرابي الخطيب المشهور الذي ألهم بخطبه حماس الجماهير المصرية ضد الظلم والفساد حتى أطلق عليه خطيب الوطنية، وطاردته السلطة الحاكمة وأصبح يتنقل متخفياً في البلاد بأسماء وشخصيات مستعارة.
- السيد رفاعة رافع الطهطاوي رائد النهضة والإصلاح في تاريخ مصر الحديث.

(٣٠٥) صدرت العديد من الروايات التي تعرض لحي الحسين ومشهد الرأس وقد كتب نجيب محفوظ أشهر رواياته في حي الحسين الذي أصبح ملهم الكثير من الشعراء والأدباء في مصر .

ومن رموز التصوف الكبرى في مصر السيد إبراهيم الدسوقي الذي تنسب إليه مدينة دسوق عاصمة محافظة كفر الشيخ، وتقام له احتفالية ضخمة في ذكرى مولده كل عام .

والسيد عبد الوهاب الشعراني صاحب الكرامات ومؤلف الطبقات .
ومن الأدباء والكتاب مصطفى لطفى المنفلوطي والدكتور مصطفى محمود .
ومن الفقهاء الشيخ محمد أبو زهرة .
ومن القادة الزعيم الوطني سعد زغلول .
وكمال الدين حسين أحد أعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو عام (١٩٥٢ م) وغير هؤلاء كثير لا يتسع المجال لذكرهم هنا، هذا مع الإشارة إلى أن هناك الكثير من الرموز الأخرى الفاعلة في تاريخ مصر التي ينتهي نسبها إلى الإمام الحسن (عليه السلام) (٣٠٦) .

المد الوهابي

ولقد تعرض رموز الأشراف لكثير من صور الطعن والتشويه والتقليل من أهميتهم ومكانتهم من قبل أصحاب التوجه الحنبلي الوهابي الذين برزوا على ساحة مصر مع قيام الحركة الوهابية والذين قاموا بتأسيس جمعيات وإصدار صحف تروج لأفكارهم ومبادئهم وعلى رأس هذه الجمعيات جماعة أنصار السنة المحمدية التي قام بتأسيسها أحد رجال الأزهر وهو الشيخ حامد الفقي والمطبعة السلفية ومكاتبها التي قام بتأسيسها محب الدين الخطيب ومجلة دعوة الحق ومجلة التوحيد وكلاهما تصدران حتى اليوم، كما أن جماعة أنصار السنة لا تزال قائمة حتى اليوم وهي التي تصدر مجلة التوحيد باسمها كما أن مجلة دعوة الحق تصدر باسم جماعة دعوة الحق .
إلا أنه يمكن القول أن المد الوهابي لم تكن له فاعلية تذكر في الواقع المصري بسبب الارتباط الوجداني بين المصريين وآل البيت وكثرة المقامات والأضرحة لأبناء الرسول (صلى الله عليه وآله) المنتشرة في المدن والقرى محل حفاوة وتكريم جماهير الشعب بالإضافة إلى قوة المد الصوفي .
وكانت فترة حكم عبد الناصر التي اتسمت بالعداء للسعودية قد انعكست بصورة سلبية على النشاط الوهابي في تلك الفترة .

(٣٠٦) أنظر خطط المقريري ومساجد مصر والنجوم الزاهرة وتاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار وهو يؤرخ لمصر في فترة الحملة الفرنسية وظهور محمد علي . وانظر الخطط التوفيقية لزكي مبارك وهو من الأشراف أيضًا . وانظر سلسلة أعلام العرب التي صدرت عن وزارة الثقافة وانظر لنا : أبناء الرسول في مصر . صفحات من تاريخ الأشراف .

ومع دخول فترة السبعينيات ووصول السادات إلى الحكم فتحت الأبواب على مصاريعها للمد الوهابي فبرزت الجماعات الإسلامية واشتدت الحرب على الشيعة والصوفية في مصر تلك الحرب لاتزال مستمرة حتى اليوم. ويمكن القول أن السياسة لعبت دوراً بالغاً في هذه الحرب التي لم تكن في صالح المد الوهابي الذي كان يعتمد على النفوذ والدعم لا على الفكر والعقل. من هنا وأمام المد الرباني الموالي لآل البيت الذي يسود الشارع المصري المطعم بحب الحسين (عليه السلام) فشل المد الوهابي في اختراق هذا الشارع وتحولت جماعته إلى فقايع ذابت في الهواء. وهو ما أدى في النهاية إلى فشل الحركة الإسلامية في مصر وإخفاقها في تحقيق أهدافها وكسب ثقة الجماهير بسبب تبنيها العقل الوهابي ومحاربتها لفكرة التوسل والاحتفاء بآل البيت ومعاداتها للأضرحة والمقامات^(٣٠٧).

إن الحسين (عليه السلام) حركة دائمة ومستمرة في واقع المسلمين عامة والمصريين خاصة ، وأن محاولة عزل هذه الحركة عن التصور الإسلامي هو بمثابة مؤامرة على الإسلام تستهدف جوهره الرسالي وصورته الربانية. الحسين لم ينهض لأجل نفسه وإنما نهض لأجل الدين والأمة ومستقبلها. ولأجل هذا كله ظل الحسين في عيون المصريين محفوظاً ، وفي قلوبهم محفوراً فهو النور الإلهي والبركة الربانية الدائمة.

ملحق

نماذج من الكتب الخاصة بالإمام الحسين الصادرة في مصر

- الحسين أبو الشهداء للعقاد .
- الحسين ثائراً لعبد الرحمن الشرقاوي
- الحسين شهيداً لعبد الرحمن الشرقاوي

(٣٠٧) انظر لنا الحركة الإسلامية في مصر الواقع والتحديات.

وقد برز في ساحة الحركة الإسلامية في مصر التيار الشيعي مع قيام الثورة الإسلامية في إيران والذي يعد انعكاساً له ليسهم في مقاومة المد الوهابي ويعد بروز هذا التيار امتداداً للمد الحسيني. وهناك جهد إعلامي بارز في مقاومة الوهابية في مصر من قبل التيار الصوفي تمثل في وجود العديد من الصحف والكتب التي تتحدث عن مشروعية الزيادة والتوسل والاحتفال بالمناسبات الخاصة بآل البيت. وعلى رأس الصحف الصوفية : مجلة التصوف الإسلامي التي تصدر عن المجلس الصوفي الأعلى الذي يضم كبرى الطرق الصوفية في مصر ومقره بميدان الإمام الحسين. ومجلة الإسلام وطن التي تصدر عن الطريقة العزائمية . ومجلة المسلم التي تصدر عن العشيرة المحمدية وهي إحدى المؤسسات الصوفية البارزة في مصر والتي تحمل اسم : المسلم .

- أبناء الرسول في كربلاء خالد محمد خالد
 - الحسين توفيق أبو علم
 - الحسن والحسين أحمد الشهاوي
 - الحسين بن علي سعد القاضي
 - دم الحسين إبراهيم عيسى
 - الحسين حياته واستشهاد مأمون غريب
 - عظمة الإمام الحسين محمد عامر
 - مأساة أحفاد الرسول عبد العزيز الشناوي
 - سيدنا الإمام الحسين محمد عبد العليم
 - في خطي الحسين أحمد راسم
- وذلك بالإضافة إلى الكتب الخاصة بآل البيت في مصر جملة وهي أكثر من أن تحصى على مستوى الماضي والحاضر.

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الإمام القدوة

د. راغدة المصري / لبنان

الإمام القدوة

(يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (٣٠٨)

جاءت الأحداث المستجدة على الساحة الإقليمية من انتهاك حقوق الإنسان، وهتك الحريات، والجرائم الوحشية، وإغفال الرأي العام العالمي، وتغاض عن الشرع الدولية، لتطرح نفسها بقوة على المستوى العالمي، كعنوان مساهم في تفعيل الثورة ضد الظلم والاستبداد، واستنهاض الهمم في عملية تغيير تحمل في جوهرها تطويراً حضارياً، وذلك لأجل صياغة نماذج استنهاضية تنطلق من ضمير الأمة لاستخراج العبر منها، ولتؤكد على ضرورة إعطاء دور جديد للشعوب بحيث تشعر بأن ما حولها لا يشكل تنازلاً من مجتمعها لصالحها، بل هو حق أساسي معطى لها، وأنه بوجودها يترتب عليها تحمل جزءاً من مسؤولية تطوير المجتمع وتحقيق نموه وتقدمه، على أن يتلائم هذا الأمر مع الفعل الإبداعي لموروثنا الثقافي، كعنصر ثانٍ؛ لينتج تفاعلاً مساهماً في الثقافة العالمية ويعطي دلالة على هويتنا المرتبطة بالواقع الاجتماعي من خلال مدى التعبير الإبداعي، وذلك بتفعيل وتحديث نموذجيات التراث الإسلامي.

من هنا جاءت إشكالية ضرورة وجود نموذج قدوة، الإمام الحسين (عليه السلام)، لإطلاقه شعاراً يواجه به المفاهيم الدخيلة والانحرافات والغزو السياسي والعسكري والثقافي، كخطوة ضرورية لإنهاض وإنماء وتفعيل دور الأمة، لأن كل عملية تغيير يجب أن تنطلق من الاتجاهات الفكرية والإيديولوجية لتكون الدافع المحرك لها. وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: من هو الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) القدوة النموذج للمرحلة الحالية؟ وما هي الإمامة وما دورها المعنوي والاجتماعي والسياسي؟

تشيد الدول ضريحاً رمزياً لجندي مجهول وقع شهيداً في الدفاع عن شيء مقدس لأجل وطنه، لتزرع في نفوس الشعوب روح التضحية. وفي الإسلام جاء ضريح الحسين (عليه السلام) ليكون الرمز، فكيف يمكن لزيارة أن تحمل في طياتها هذه المضامين الكثيرة. مفهوم الإمامة، وأبعاد الخلافة، والارتباط بالولاية؟

١ - الإمامة ودورها في الحياة المعنوية والسياسية والاجتماعية للناس

جاء في الكافي عن الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) حول الإمامة أنها: «هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول، ومقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وميراث الحسن والحسين(عليهما السلام)، إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين، إن الإمامة أسّ من الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف»^(٣٠٩).

فلا بدّ لأيّ مجتمع أن ترأسه قيادة قويّة تجسّد المثل السامية، وتكون قادرة على الصمود أمام رغباتها، وتندمج مع مراكز القوى الداخلية، وتصمد في وجه تهديدات القوى الخارجية، وتستأصل التيارات الفاسدة. من هذا المنطلق فالإمامة هي القيادة العامّة في أمور الدين والدنيا، هي استمرار لخلافة الرسول، وهي من الدولة الإسلامية كالرأس من الجسد، ففي الرأس العقل الموجّه والمدبّر، كذلك حال القيادة التي تدير أمور الحكم والسياسة وتنظّم أمور الأمة.

وعرّف الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) الإمام بأنّه: «النجم الهادي والماء العذب، والمنجي من الردى، والسحاب الماطر، ومفزع العباد في الداهية، وأمين الله في خلقه، وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله، ونظام الدين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين»^(٣١٠).

وعن الإمام علي (عليه السلام): «إنّه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربّه: الإبلاغ من الموعدة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقّيها، وإصدار السّهمان على أهلها»^(٣١١).

وعرّف الإمام الخامنّي دام ظلّه الإمامة بقوله: «كلمة الإمامة تعني في الأصل القيادة بمعناها المطلق، وفي الفكر الإسلامي تطلق غالباً على مصداقها الخاص، وهي القيادة في الشؤون الاجتماعية الفكرية منها والسياسية»^(٣١٢).

كما حدد الإمامة في المفهوم الشيعي بما يلي: «إن الإمام والزعيم السياسي في المجتمع الإسلامي يجب أن يكون منصوباً من الله، بإعلان من النبي، ويجب أن يكون قائداً فكرياً ومفسراً للقرآن وعالمياً بكلّ دقائق الدين ورموزه، ويجب أن يكون معصوماً مبرّئاً من كلّ عيب خلقيّ وسببي، ويجب أن يكون من سلالة طاهرة نقيّة...».

(٣٠٩) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥، ص ١٥٢.

(٣١٠) الكافي: ١/١٩٦.

(٣١١) نهج البلاغة خ ١٠٥، ص ١٥٢.

(٣١٢) الخامنّي، علي، الدروس العظيمة من سيرة الأئمة الأطهار: ٥٦.

فالإمام في المفهوم الشيعي ومن خلال ما ورد هو القائد الديني والسياسي الذي:

- يرفع شؤون الأمة.

- ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

- ويحيي سنة النبي .

- ويقيم حدود الله.

- وينشر العدالة والمساواة.

- ويصرف الأموال على مستحقيها.

أتم الرسول مهمته المكلف بها بأن أعلن عن خليفته الذي سيقوم بمهام القيادة من بعده: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (٣١٣).

وهكذا اقترن خط الخلافة بخط الولاية والقيادة للإشراف على الرسالة السماوية وتطبيقها. فالله أرسل الأنبياء ليرشدوا الناس ويهدوهم إلى الصراط المستقيم، وكان يخلف كل نبي وصي، ولما كان الإسلام خاتم الرسالات، والنبي خاتم الأنبياء، كان لا بد من الإمامة التي تقوم بالإشراف والرقابة على سير الأمة؛ خاصة وأن القيادة العليا في المجتمع الرسالي يجب أن تختار من منطلق القيم الإسلامية والتعاليم الإلهية، ولا يخضع الاختيار لأهواء واعتبارات مادية زائفة، إنما يكون على أسس العلم والزهد والتقوى والكفاءة والقائد يجب أن يتفاعل لديه نوعان من العلوم:

الأول: يرتبط بواقع الحياة .

والثاني: ينطلق من القيم التي يؤمن بها.

أي أن القائد يجب أن يكون على معرفة بالسياسة مدركاً أبعادها، وبالدين متفهماً أحكامه. ولا يقتصر دور الولي القائد على تنظيم المجتمع داخلياً عبر إيجاد التلاحم بين أبنائه، بل يعمل على خلق أمة موالية لله، ولا يتم ذلك إلا عبر تحديد العلاقات الخارجية للمجتمع واضعاً الحدود والأطر لها، لكي تبقى الأمة محافظة على صبغتها وهويتها واستقلالها وكيانها، فالأنبياء هم القادة الذين اختارهم الله للحكم بين الناس، واستخلفهم بالأوصياء.

وينقسم عمل القيادة إلى قسمين :

القسم الأول: تعبئة طاقات المجتمع وإرشادها إلى طريق العدالة من خلال توفير الرفاه والحرية، وإدارة المجتمع وتوزيع الأدوار كل حسب إمكانياته.

القسم الثاني: إزالة الحواجز التي تؤدي إلى التخلف والعجز، وبتّ روح الأمل في الأمة، ووضع خطط تنموية للمجتمع، وبذلك تضمن استقامته وتقدّمه. ولا بد من الارتباط الفكري والعقائدي بالقائد من خلال معرفة ماهيته، والمسؤولية الملقاة على عاتقه، والاعتقاد اليقينيّ بنزاهة فكره، ومن ثم العمل على تجسيد ذلك سلوكاً وطاعة. لقد أمر الله بإطاعة أولياء الأمر وقرنها بطاعته وطاعة رسوله:

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (٣١٤)

فطاعة أولي الأمر واجبة بعد أن تقدّم عليها طاعة الرسول ومن قبلها طاعة البارئ عزّ وجلّ. وعليه فإنّ المبدأ المحدّد في الآية يؤطر صلاحية القيادة في حدودها الكلية شأناً من شؤون الله عزّ وجلّ، ففي آيات عديدة في القرآن الكريم يتضح أنّ الولاء محصور بالله على الصعيدين الفردي والجماعي:

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (٣١٥).

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (٣١٦).

ولا يأتي الولاء كاملاً لله إلا إذا اقترن بالولاء على الصعيد الاجتماعي، إذ أنّ الباري هو الذي يحدّد للمجتمع الإسلاميّ حركته وأهدافه العامّة.

٢- موقع الإمام الحسين (عليه السلام) من صيانة مكتسبات الأنبياء الإلهيين

إنّ للقيادة في الإسلام جذوراً تاريخية بلورت الأيديولوجية الإسلامية ومفهوم الاستخلاف.

والخلافة الإلهية كأمانة، وعهد لا بدّ لها من أن تقوم على دعامتين:

الأولى: القانون الذي يحدّد به الله معالم شريعته ونظامه الكامل.

الثانية: وليّ يقوم بمهام الإشراف على تنفيذ وتطبيق هذه الأحكام.

فالخلافة بحاجة إلى رسالة وولاية.

فإذا ترك الإنسان دون قانون وهدى، ووليّ يقوم بتنفيذ دستور السماء فإنّه سينحرف عن الطريق الصحيح. والوليّ يعتبر حجر الأساس داخل المجتمع، فهو القائد والرئيس القادر على تحمّل المسؤولية، وحفظ الرسالة، وهو النموذج المقتدى به، والمحور الذي تجتمع حوله كلّ الطاقات والقوى الداخليّة لتنتقل، بعد أن يوزّع الأدوار مستفيداً منها جميعاً، فكانت البداية مع الأنبياء.

(٣١٤) النساء: ٥٩.

(٣١٥) المجادلة: ٢٢.

(٣١٦) المائدة: ٥٥.

ويذكر القرآن الكريم السبب الذي من أجله أرسل الله تعالى الأنبياء كقادة:
(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين
الناس فيما اختلفوا فيه)^(٣١٧).

جاء ظهور الأنبياء كقادة لحلّ الخلافات بين الناس، وإقامة العدالة، ومحاربة
الظلم.

وهكذا ربطت النظرية الإسلامية بين ظاهرة القيادة وظاهرة الأنبياء ربطاً زمنياً
وسببياً؛ وذلك يعود إلى أنّ الأنبياء هم أول من بادر إلى حلّ الخلافات البشرية.
واعتبر القرآن أنّ بداية العهد التاريخي للجماعة البشرية في سيرها الحضاري
الارتقائي تزامن مع ظهور الأنبياء، وما قبل التاريخ هو ما قبل النبوات، حيث كان
الناس يعيشون حياة بدائية، وبظهورهم بدأ العصر التاريخي، حيث لم يظهر في
القرآن أيّ إشارة إلى ما قبل عهد الأنبياء.

كانت ثورة الحسين من أجل الحق والعدالة، والتي عمل لأجلها الأنبياء فأصبح
رمز العدالة والحق، «ألا إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً». قدّم نفسه الزكية
قرباناً على مذبح الحرية، ليكون النموذج المحتذى للإنسانية، لتتحرر من قيود الذل
والعبودية والقهر.

السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله،
السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث
عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث علي ولي الله.
فكان وارث آدم في خلافته، إنه الإمام الحجة في زمانه، ومثل أهل البيت
كسفينة نوح من ركبها نجي، وابتلي إبراهيم بذبح ابنه ليقدّمه لله قرباناً ففداه الله
بكبش عظيم إلا أن الحسين كان القربان، وموسى حارب الفرعون، وما يزيد إلا
فرعون عصره، وكان وارث عيسى الذي كان من ذرية إبراهيم عبر مريم والحسين
من ذرية محمد وأمه فاطمة، وكان حاله كعيسى الذي كان سيفدي أمته بدمائه لولا أن
رفعه الله إليه أما الحسين ففدى رسالات السماء ليحفظ مكاسب الأنبياء، فكانت ثورته
امتداداً لها.

٣ - موقعه من حركة الأئمة من أهل البيت

بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ظهر على مسرح الأحداث خلاف حادّ وهو
أعظم خلاف في الأمة. إذ ما سلّ سيف على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الإمامة

والخلافة في كلّ زمان ومكان. (٣١٨) وعرّفت الخلافة بأنّها «موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا» (٣١٩).

والخلافة والإمامة تتفقان من حيث المعنى؛ إذ الخليفة هو الأمير والسلطان الأعظم ومن يستخلف من قبله. وسمّيت الخلافة إمامة لأنها نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا والقائم به خليفة وإماماً (٣٢٠).

جاء في القرآن الكريم (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (٣٢١).

بيّن الله تعالى في هذه الآية من له الولاية على الخلق، فالوليّ المطلق والأول هو الله ثم رسوله والذين آمنوا. ولكن ليس كل مؤمن هو وليّ، بل حدّدت صفات هذا الوليّ المقيم للصلاة والمؤتي للزكاة وهو راكع.

وهذه الآية نزلت بحقّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين تصدق بالخاتم وهو يصلي (٣٢٢).

واستعمال صيغة الجمع في المفرد ليست بجديدة في القرآن فقد جاءت في آية المباهلة وأطلقت على الأفراد:

(فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) (٣٢٣).

«أبناءنا» هم الحسن والحسين و«نساءنا» هي فاطمة و«أنفسنا» هو الإمام علي (عليه السلام).

ولعل ورودها بصيغة الجمع جاء من باب الحفاظ على علي (عليه السلام) من أعدائه وحاسديه من بني هاشم وسائر المنافقين، الذين لا يطيقون سماعها بصيغة الفرد إذ لم يبق لهم حينئذ مطمع في تمويه ولا ملتمس في تضليل يخشى عواقبه على الإسلام، فجاءت بهذه الصيغة اتقاء، ومن ثم توالت النصوص بالتدرّج حتى أكمل الله الدين وأتمّ النعمة (٣٢٤).

وحدّدت الآية شروطاً للوليّ المفروضة ولايته وطاعته من خلال:

(الذين يقيمون الصلاة)، إقامة الصلاة هي غير أدائها، وإنما إحيائها، والصلاة هي أكبر ركن من أركان الإسلام.

(٣١٨) الشهرستاني، الملل والنحل: ٢٤/١.

(٣١٩) الماوردي، الأحكام السلطانية: ٣.

(٣٢٠) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: ١٩١.

(٣٢١) المائدة: ٥٥.

(٣٢٢) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٢٨٨/٦، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٦٤٩/١، الطبري، ذخائر

العقبى في مناقب ذوي القربى: ١٠٢، الرازي، التفسير الكبير: ٢٥/١٢، الزمخشري، الكشاف: ٦٤٩/١.

(٣٢٣) آل عمران: ٦١.

(٣٢٤) شرف الدين، عبد الحسين، المراجعات: ١٦٦.

(ويؤتون الزكاة) أي يقسمونها بصورة عادلة لمن لهم الحقّ فيها ومساعدة المحتاجين من الضعفاء والمساكين^(٣٢٥).

وتتجلى شروط تعيين الوليّ في الأمور التالية:

الشرط الأول: الإيمان بصدق وشهادة العمل والسلوك.

الشرط الثاني: إقامة الصلاة من خلال تطبيقها وإنعاشها بحيث يكون لها دور في تربية الفرد والجماعة.

الشرط الثالث: إيتاء الزكاة وتوزيع الثروة بشكل عادل ومنظم.

الشرط الرابع: تعيين الوالي الذي قام بالتصدق وهو في حالة الركوع وهذا الأمر لم يحصل إلا لعلي (عليه السلام)^(٣٢٦).

إذن، فالإمامة عهد وتعيين من الله ، والرسول مبلغ إياها ، ويلزمها العصمة. وأخبر الله تعالى بأنّ أهل البيت وهم: محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم معصومون من الذنوب بقوله:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)^(٣٢٧).

وأهل البيت أزيلت منهم كلّ هيئة خبيثة سواء باطنية تخطئ حقّ الاعتقاد والعمل، فتنتطبق على العصمة الإلهية التي هي صورة علمية نفسانية تحفظ الإنسان من باطل الاعتقاد وسىّ العمل^(٣٢٨).

وقد روي عن الرسول بألفاظ متعددة أحاديث بشأن الأئمة الخلفاء القادة من بعده، أبرزها: حديث الثقلين «يا أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(٣٢٩).

وأئمة أهل البيت سيمتهم البارزة أنّهم ورثة الرسالة وشجرة النبوة، شأنهم النسب الرفيع والمعدن الأصيل، والمنبت الكريم ترعرعوا في ربوع الوحي. هم أهل بيت، حياتهم مدرسة تفيض بالعطاء وتشعّ بالعلم، شخصياتهم قدوة في الأخلاق والفضيلة، هم النخبة والصفوة المختارة، اتّصفوا بتربية فائقة تعدّ أشرف ما يتحلّى به المرء، وخاصة إذا اقترنت بالأخلاق الفاضلة مع تهذيب التربية وأصالة النفس المؤمنة، فأخلاقهم وتربيتهم وتقواهم قبس من نور النبوة، هم الامتداد الروحي والعقائدي لخطّ الأنبياء، فمنزلتهم منزلة الأنبياء وإرثهم إرث الأوصياء، طاعتهم مفروضة، ومودّتهم

(٣٢٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١/ ٧٣.

(٣٢٦) الخامنّي، علي، الإمامة والولاية في الإسلام: ٨٧، ٨٦.

(٣٢٧) الأحزاب: ٣٣.

(٣٢٨) الطباطبائي، محمد، الميزان في تفسير القرآن: ١٨/ ٤٤، ٤٣.

(٣٢٩) صحيح الترمذي: ٥/ ٣٢٨ الحديث ٣٨٧٤.

واجبة، تسلّموا الإمامة بعد أن افترضت فيهم العصمة، والالتزام الكامل بشريعة الله، والإحاطة التامة برسائلته. «ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

والأئمة لا ينهاون عن شيء قبل أن ينتهوا عنه ، ولا يأمرّون بشيء قبل أن يأتمروا به، فلو حصل عكس ذلك فلن يتقيّد الناس بإمامتهم ، ولن يلتزموا بطاعتهم، لأنّه من المفترض أن يكونوا القدوة والنموذج ليكونوا مصدر ثقة، وفي ذلك قال الإمام علي(عليه السلام):

«أيّها الناس، إني والله ، ما أحثكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن معصية إلاّ وأتناهى قبلكم عنها»(٣٣٠).

وهم المرجع الأوّل بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وهم لا يفعلون شيئاً إلاّ بأمر الله، وهم معصومون وأنّه لا يقاس بهم أحد ، إنهم(عليهم السلام) أفضل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يصل إلى درجتهم أحد .

وجاء في زيارة الإمام الحسين(عليه السلام): أشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى ، وأشهد الله وملائكته ورسله إني بكم مؤمن بخواتيم عملي وشرائع ديني، فسلام الله على أجسامكم وعلى أجسادكم وعلى أرواحكم وعلى شاهديكم وعلى غائبكم .

ليس أبلغ من هذا القول دلالة على أن الحسين حفظ خط الأئمة ، حين يجدد كل زائر للحسين الولاء والعهد لهم(عليهم السلام) ،الذي هو من شرائع الدين. والأئمة سلسلة غير قابلة للتجزئة والانفصال، حدّدها الرسول ، ثم أخذ كلّ إمام في عهده بإثبات إمامته ، وكان يذكر إلى جانب اسمه أسماء الأئمة من أسلافه ، وحين تدنو ساعة رحيله إلى الرفيق الأعلى كان يسلم الإمامة إلى الإمام الذي سيليه مع ما استلم من إرث الرسول ، حتى كان إمامة المهدي(عج). الإمام الحاضر الغائب عن الأنظار والذي ينتظر أمر ربه بظهوره ليعم السلام في العالم، ويؤسس دولة العدالة الإلهية ، ويتحقق اليوم الموعود. ولا يمكننا تفضيل إمام على آخر ،فكل إمام كان يقوم بتكليفه وفق الظروف المكانية والزمانية لعهد. وكان هدفهم الأساسي صيانة الرسالة الإسلامية من الانحراف ، وإيجاد نخبة من المجتمع واعية تحمل معهم هموم الرسالة، وتورثها لأجيالها؛ لتتمكن من إيجاد الأرضية الصالحة لفئة ممهدة للدولة العالمية العادلة والتي عمل من أجلها الأنبياء والأوصياء ، وتطلعت الإنسانية إليها في مختلف العصور. وما زيارة محبي الحسين وسلامهم على الأئمة(عليهم السلام) وإقرارهم بهم وبشاهدهم الغائب الحاضر ، إلا تجديد بيعة وولاء، وعهد لصاحب اليوم الموعود

٤ - صراعه مع البدع و التيارات المنحرفة

ظهر الفساد بشكل واضح في عهد الأمويين، الذين عملوا على القضاء على النزعة الإنسانية ، وكل القيم التي تشكل خطراً على حكمهم، فمعاوية كانت أهدافه واضحة، ومنها:

- أ - الإرهاب والتجويع للمسلمين المعارضين لخنق نزعة الحرية.
- ب - إحياء النزعة القبلية واستغلالها ،لتحويل الإنسان المسلم عن أهدافه العظيمة وإشغاله بالأمور القبلية
- ت - تبني الأمويين لمذهب الجبر واستخدامه في امتصاص النقمة عليهم، وتخدير النفوس باسم الدين .

يبين الإمام الحسين أهداف ثورته في خطبته للجيش الذي كان مع الحر : «أيها الناس إن رسول الله قال : من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير ما عليه ، بفعل أو قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله . ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله»^(٣٣١)

ومن هذه الخطبة تظهر بوضوح أهداف الثورة الحسينية لمواجهة:

- الظلم
- الاضطهاد والتجويع
- تحريف الدين
- اختلاس أموال الأمة

وأما خطبته في الساعات الأخيرة التي سبقت المعركة يُظهر الإمام الحسين مدى الانحراف الذي أصاب الأمة ومدى الهزيمة النفسية التي ابتليت بها:

« تَبَّأَ لَكُمْ أَيَّتَهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ، حِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَالْهَيْنَ ، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُوجِفِينَ ، سَلَّمْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارًا أَقْتَدَحْنَاهَا عَلَى عِدُونَا وَعِدْوِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ إِبَاءً عَلَى أَوْلِيَانِكُمْ ، وَلَا أَمَلٌ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ ، إِلَّا الْحَرَامُ مِنَ الدُّنْيَا أَنَالُوكُمْ ، وَخَسِيسَ عَيْشٍ طَمَعْتُمْ فِيهِ ، مِنْ غَيْرِ حَدِّثٍ كَانَ مِنَّا ، وَلَا رَأْيٍ تَفِيَّلَ عَلَيْنَا فَسَحَقًا لَكُمْ يَا عِبِيدَ الْأُمَّةِ ، وَشَذَاذَ الْأَحْزَابِ ، وَنَبْذَةَ الْكِتَابِ ، وَنَفْثَةَ الشَّيْطَانِ ، وَعَصْبَةَ الْأَثَامِ ، وَمَحْرَفِي الْكِتَابِ ، وَمُطْفِئِي السَّنَنِ ، وَقَتْلَةَ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَبِيدِي عَتْرَةِ الْأَوْصِيَاءِ ، وَمَلْحَقِي الْعَهَارِ بِالنَّسَبِ ، وَمَوْذِي الْمُؤْمِنِينَ ، وَصَرَاحِ أُمَّةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عَضِينَ ، وَلَبَسَ مَا قَدِمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ»^(٣٣٢).

(٣٣١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ، ص ٣٠٥، ابن الأثير الكامل في التاريخ: ٢٨٠/٣.

(٣٣٢) أعيان الشيعة ، القسم الأول: ١٥٥-١٦٠.

حدّثهم الإمام الحسين بأسلوب رجل الثورة ، وفي كلامه الكثير من التقرّيع ، لأنهم خذلوه ، بعد أن استنصروه بكتبهم لتغيير الواقع الذي يعيشون، وبعد ما ملّوا ظلم واضطهاد الأمويين ، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) هو الوحيد القادر على تغيير هذا الواقع .

وهكذا يتبين لنا أنه في عهد الحسين انحرف الناس عن الإسلام ، وعادت الروابط القبلية ، وأصبح الولاء للقبيلة والعشيرة مقابل الولاء للحق ، وكان المقياس للفرد بمقدار ما له من عشيرة ومن مال وليس على أساس التقوى .

وكانت الطاعة المطلقة للحاكم ، خاصة بعد ظهور مبدأ الجبرية ، حتى لو كان ظالماً فاسقاً فاسداً ، فكانت قلوبهم مع الحسين وسيوفهم مع يزيد . وكان على الإمام الحسين تصحيح الانحراف على مستوى السلطة، فيزيد الذي يحاول أن يملك رقاب المسلمين ويزيد معن بالفسق والفجور ، إذ كان زانياً شارباً للخمر تاركاً للصلاة مستحلاً الحرمات لاهياً عن أمور المسلمين لاعباً بالفهود والقروء محارباً لكتاب الله وسنة رسول الله^(٣٣٣)، فلو بايع الحسين (عليه السلام) يزيد المستهتر لكان أباح للحكام المسلمين أن تكون فيهم مثل صفات يزيد.

فكانت من أول أهداف الثورة إصلاح الفساد والانحراف على مستوى السلطة غير الشرعية ، لكي لا تكون سنة لمن بعدهم ، فكان قوله عندما طلب منه البيعة ليزيد ... «ويزيد رجل فاسق ، شارب الخمر ، قاتل النفس المحترمة ، ومعن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله»^(٣٣٤) . فكان على الحسين (عليه السلام) تصحيح الانحراف الذي دخل على الأمة ، وإعادة المجتمع الإسلامي إلى المنبع الأصيل . وكانت ثورته على يزيد واجباً وتكليفاً إسلامياً للحفاظ على الإسلام والمسلمين ، وتمليه عليه ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء دين جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله)، فأميّنت السنة ، وأحييت البدعة وعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يعد يلتزم الحاكم بشرعة الله .

ولم يكن الانحراف سائداً على مستوى السلطة ، إنما أيضاً على مستوى الشعب ، فنفس الناس أصبحت ضعيفة ، ولم تعد تستطيع إتخاذ قرار جماعي لما فيه مصلحة المسلمين ، فأهل الكوفة بعد أن استنصروا الحسين (عليه السلام) ودعوه وكتبوه خذلوه . إلا أن الإمام الحسين تابع ثورته وتوجه نحو كربلاء ، ولم يكن تراجع أهل الكوفة تراجعاً له في مسيرته ، إن مسيرته لم تكن بهدف السلطة ، وإن كانت رسائل أهل

(٣٣٣) تاريخ الطبري: ٤/٣٦٨ و ٦/٢٠٠ ، و ٧/٤٣ ، المسعودي ، مروج الذهب: ٢/٧٤ ، ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة:

١٦٧/١ .

(٣٣٤) الفتوح المكية: ٥/١٨ .

الكوفة من العوامل المساعدة للنهوض ، لأنه لو لم يستجب لهم لقليل لماذا لم ينهض الحسين ليغيّر نظام الحكم؟

ضحىّ الحسين بن علي (عليه السلام) من أجل الله ، فارتبط اسمه باسم الله ، حتى صار ثار الله وابن ثاره ، استشهد ليحفظ مكاسب الأنبياء بالحفاظ على استمرارية الرسالة الخاتمة من الضياع والانحراف ، استشهد لتبقى رسالات الله مناراً ، والإسلام مشعلاً هادياً تستنير بها البشرية. فالحسين ثار الله وليس ثاراً لأحد من الناس أو فئة من الفئات ، لأن العدالة التي سعى لإقرارها هي عدالة الله، فالسلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور.

لذا يتوجه محبّو الحسين (عليه السلام) إلى زيارته من قرب أو بعد لما تحمل هذه الزيارة من قيم ومثل ، فالحسين (عليه السلام) هو الثورة من أجل العدالة، هو الإيثار، هو قمة الشهادة والتضحية. ومن هنا نطلق النداء إلى الشعوب لتقتدي بسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) لتتحرر من قيود الاستعمار والتبعية ، لتعيد إلى الأمة الإسلامية هويتها الأصيلة، لتحيا بعزّ وكرامة.

المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

وقفه مع

مدرسة الحسين (عليه السلام) التربوية الخلقية

إعداد: د. محمد منير سعد الدين

أستاذ جامعي وباحث تربوي

وقفة مع مدرسة الحسين (عليه السلام) التربوية الخلقية

مدخل

لقد وضع الإسلام مجتمع الإنسان المتماسك المتعاون، تسوده روح المساواة، وفي أجواء هذا الدين تختفي وتفنى جرائم الحقد والصراع القومي والقبلي، والطبقي، والطائفي، والمذهبي، فالجميع متساوون، والفرص تتكافأ للجميع، ويقيم الإنسان من خلال كفاءته وعمله، يقول تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)^(٣٣٥).

ولكن هذا المجتمع الإسلامي، وهذه الأمة مرت بتجارب قاسية، أدت الى انقسامات وصراعات لازلنا نعاني نتائجها حتى أيامنا هذه، ومنها تلك الثورة التي قام بها الإمام الحسين (عليه السلام).

والإمام الحسين من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ذلك البيت المحفوظ بعناية ربانية، والذي قال فيه سبحانه وتعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(٣٣٦).

وهؤلاء الأبطال افترض الله سبحانه وتعالى على المؤمنين محبتهم وجعل هذه المحبة والمودة من دعائم الإيمان القوية، فقال تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور)^(٣٣٧).

وكذلك السنة الشريفة حضت «في الأحاديث الصحيحة، على مودة آل البيت، وبينت في صريح ألفاظها أنهم سفن النجاة وأمان الأمة، كما بينت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم، جعلنا الله من أهل السلم والسلامة»^(٣٣٨).

وإني لأشكر الله تعالى وأحمده إذ جعلني ممن يحبون أهل البيت، ولعل هذا ما تلقّيته من تربيتي الأسرية من والد شيخ معمم، ومن منطلق هذا الحب أدعو لأن ندرس هذه التجربة بوعي وموضوعية، وأن نسعى جميعاً الى ما يجمع لا ما يفرق،

(٣٣٥) الحجرات: ٤٩ .

(٣٣٦) الأحزاب: ٣٣ .

(٣٣٧) الشورى: ٤٢ .

(٣٣٨) توفيق أبو علم: أبو الشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد ١٦٤،

وأن نجعل من سيرة الحسين(عليه السلام)، مثلاً ونموذجاً لأن نتوحد ضد أعداء المسلمين على اختلاف ألوانهم وأنواعهم ومشاربهم.

إن الاختلاف سنة الكون وهو مورد من موارد الابتلاء، يقول سبحانه وتعالى: (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)(٣٣٩).

فالاختلاف بين الناس هو من موارد البلاء والاختبار والامتحان، والاختلاف واقع، لكن المشكلة التي تطرح كيف نتعامل مع هذا الاختلاف.

هل نحكم القبلية والعشائرية، والقومية، والعرقية، والطائفية، والمذهبية، والأهواء الشخصية، أم يكون «الميزان أن أكون طالب حق، وأن أبحث عن الحق، وأن أفتش عن الحق والحق لا يضيع، والحق لا يختبئ؟ فكل ما في هذا الوجود يدل على الحق، وكل ما جاء به الرسل يدل على الحق. وإذا خفي الحق على كل واحد منا فعليه إذا كان في قلبه صادقاً ومخلصاً أن يتوسل الى الله، وأن يستعين بالله»(٣٤٠). فمن خلال الله سبحانه وتعالى تظهر الحقائق، ويكون حكم الله على المذنب.

ثم إنه في امتحان الاختلاف، ينبغي أن لا يصبح من نختلف معهم أعداء كفاراً، وأن نشهر السلاح في وجه بعضنا ونقتل بعضنا، إن الذي يجب أن يحكم طريقة التعاطي بين المختلفين هي الموازين الشرعية، والأحكام الشرعية، والأخلاق الإسلامية(٣٤١).

من هنا أقول علينا أن نعتصم بالله جميعاً ولا نتفرق، وأن نكون حزمة واحدة مترابطة متكاتفة، وأن نكون جسداً واحداً، إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

المولد والوفاة

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، يكنى أبا عبدالله سبط رسول الله وريحانته.

أمه فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ولد بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة واستشهد يوم عاشوراء في المحرم سنة إحدى وستين للهجرة، وله أربع وخمسون سنة، وستة أشهر ونصف.

(٣٣٩) المائدة: ٤٨.

(٣٤٠) السيد حسن نصر الله: خطاب عاشوراء، بيروت، دار الصفوة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٣٤١) المصدر السابق: ص ٢٦٥.

وعند ولادته وفي يوم سابعه عق عنه رسول الله(صلى الله عليه وآله) (أي ذبح شاة) وعكه بريقه، وأذن في أذنه وتفل في فمه، ودعا له وسماه حسيناً. ولقب بألقاب أشهرها: الذكي، والرشيدي، والطيب، والوفي، والسيد، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، والسبط^(٣٤٢).

الرعاية التربوية النبوية

الحسين(عليه السلام) ولد والنبي تتسامى به منازلها وتتعالى به أبراجه، وفي هذا التسامي وهذا السطوع تولى النبي محمد(صلى الله عليه وآله) حسيناً، وكان في فطرته الغضة كالعذسة اللاقطة، تحيل ما تقع عليه إلى حقيقته الأخرى في وجوده الآخر. وفي دخلته ارتسم النبي في طبيعته، والنبي في معناه، حتى ملأت هذه الصورة شعاب نفسه فكانت له معنى، وكانت له ذاتية، وذلك استحياءه في وجدانه وضميره وسائر جوانب روحه، وإنما يكون الإيمان على مقدار ما يثبت في النفس من حياة القدوة، فالقدوة لا يموت وإنما يستحيل روحانية ندية في ذات المؤمن الذي يكون مظهراً آخر من حياته^(٣٤٣).

عند ولادة الحسين(عليه السلام) أذن الرسول محمد(صلى الله عليه وآله) في أذنه، وكان هذا «همسة ناعمة خافتة وهو نداء للروح، وليس نداء الأشباح لأشباح لتجتمع على عمل الطقوس، إنه نداء يحمل إلى القلب سر وجوده، وإلى الضمير سر العبادة، وعلى موجاته الأثيرية يتلاقح الروحان... أرسل النبي(صلى الله عليه وآله) في ضمير الفتى هذا النداء ليظل أنشودة نفسه اللاشعورية، ولذلك أقام في قلبه معبداً ينبض بأحاسيس الفضيلة ثم لا يختلف عليه. كما أقام في نفسه إذ أرسل هذه الكلمة الهادئة شعاعاً يضيئ عليه، فلا تخالطه ظلامية أو دجنة في سبيل حياته المطمئن»^(٣٤٤).

وهكذا بقي هذا الأذان النبوي في أذن هذا الفتى وفي قلبه، ولتكون آخر خلجات هذا القلب المفعم كأولها: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

ومما يروى عن الحسين(عليه السلام) وعلاقته الحميمة بالرسول محمد(صلى الله عليه وآله) أن الحسين كان كثير الشبه برسول الله(صلى الله عليه وآله)؛ حيث كان الحسن أشبه

(٣٤٢) محمد رضا: الحسن والحسين، سبط رسول الله(صلى الله عليه وآله)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٧هـ/

١٩٨٧م، ص ٦٧.

(٣٤٣) عبدالله العلايلي، الإمام الحسين، بيروت، دار مكتبة التربية، لا. ت ص ٦٥.

(٣٤٤) المصدر السابق: ٢٧٤ - ٢٧٦.

بالرسول ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله) أسفل من ذلك^(٣٤٥).

وقال الزبير بن بكار: كان جسد الحسين يشبه جسد الرسول (صلى الله عليه وآله)^(٣٤٦). ولقد أحب الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) الحسين وغمره بهذا الحب، وقد خلقه تخليقاً مثالياً مدهشاً، ولناخذ بعض الأمثلة.

خرج النبي مدعواً إلى الطعام فإذا الحسين يلعب في الطريق مع غلمان فأسرع النبي (صلى الله عليه وآله) أمام القوم، ثم بسط يديه، فطفق الصبي يفرها هنا مرة وها هنا مرة، فجعل رسول الله يضحكه. ثم وضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه، ووضع فاه على فمه فقبله، وقال: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط^(٣٤٧).

وكان يقول (صلى الله عليه وآله): «الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا، من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى حسين»^(٣٤٨).

ويروي أبو هريرة شيئاً من تخليق النبي للحسين (عليه السلام) ومحبه له في حديث نبوي: «أبصرت عيناى وسمعت أذناى رسول الله، وهو يقول ترق ترق عين بقة، فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله، ثم قال رسول الله افتح فاك ثم قبله، ثم قال: «اللهم أحبه فإني أحبه»^(٣٤٩).

إن من يستقرئ هذه المرويات يرى روعة ذلك الحب الذي يصدر عن الرسول (صلى الله عليه وآله) للحسين، لأنه فيه اصطفاء واستخلاص، فيه تنبيه للحفاظ على هذه المحبة في زمانها ومكانها، وفي المستقبل، هذا الحب من النبي ليس كأى حب، إنه أشبه ما يكون بالمغناطيس، يترك في الشخص الآخر أسمى المعاني وأبرز الظواهر.

ونضيف، أن أبا هريرة روى أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يدلغ لسانه للحسين، فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش إليه، وكان عيينة بن بدر شهده في بعض هذه

(٣٤٥) ابن عساکر، علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ١٢٤.

(٣٤٦) الإمام الحافظ ابن كثير: استشهاد الحسين رضي الله عنه، جدة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، ص ٢٥.

(٣٤٧) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤٩.

(٣٤٨) محمد رضا: الحسن والحسين، سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مصدر سابق، ص ٦٨.

(٣٤٩) عبد الله العلابي: الإمام الحسين، مصدر سابق: ٦٦-٦٧.

المجالس فقال متعجباً: يصنع هذا بهذا؟ فوالله لي الولد ما قبلته قط!، قال(صلى الله عليه وآله): «من لا يرحم لا يُرحم»^(٣٥٠).

لقد ذهب إلى الحسين وأخيه «ما في فؤاد النبي(صلى الله عليه وآله) من محبة النبيين، وهو شوق الفؤاد إلى الذرية من نسله، فكان(صلى الله عليه وآله) لا يطيق أذاهما، ولا يحب أن يستمع إلى بكاء منهما في طفولتهما، على كثرة ما يبكي الأطفال الصغار، وخرج من بيت عائشة يوماً فمرَّ على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي، فقال: ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني. وكان يقول لها: ادعي إلي ابني، فيشتمها ويضمهما إليه، ولا يبرح حتى يضحكهما ويتركهما ضاحكين.

وخرج الرسول ليلاً في إحدى صلاة العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً فوضعه، ثم كبر فأطال سجدة الصلاة، فقال راوي الحديث، فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله وهو ساجد فرجعت إلى سجودي فلما قضى الصلاة، قيل يا رسول الله: إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننت أنه قد حدث أمر وأنه يوحى إليك. قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحني فكرهت أن أعجله^(٣٥١).

والحديث عن الحسين في هذا المجال كثير، وروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) الأحاديث، وكانت له كراماته، وكثرة صومه وصلاته، وصدقاته، وأفعال الخير.

الرعاية التربوية الأبوية

الأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي تتعهد تربية الطفل، إنها المرعى الأول لتربيته جسماً وعقلياً، ونفسياً ودينيّاً وخلقياً، فتكسبه مهارات واتجاهات وقيماً وعادات وتقاليد مرغوبة.

ولا شك أن القدوة الحسنة من شأنها أن تطور في حياة الفرد والجماعة، فالطفل يلجأ إلى الاقتداء بأساليب أفراد أسرته خصوصاً الأب والأم؛ ومن هنا ينبغي أن يكون السلوك في الأسرة مرغوباً اجتماعياً وضمن الضوابط الشرعية، فالطفل «يمتص في هذه المرحلة العمرية القيم والمثل والعبر التي من شأنها أن تبني وتؤسس الشخصية الاجتماعية البناة، علماً بأن تشرب هؤلاء وغيرهم لتلك القيم لا يكون عن طريق الوعظ والإرشاد بقدر ما يتوافر عن طريق المثل الصالح، لذلك كان من الضروري

(٣٥٠) عباس محمود العقاد: أبو الشهداء الحسين بن علي، كتاب الهلال، العدد ٤، دار الهلال بمصر، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م،

ص ٤٨.

(٣٥١) المصدر السابق: ٤٨ - ٤٩.

أن يوضع الولد تحت رعاية الأخيار شريطة أن يكونوا موضع محبته واحترامه فلا يلبث أن يقتدي بهم ويأخذ عنهم الشيء الكثير من طباعهم ومناهجهم في الحياة»^(٣٥٢).

هذه التنشئة الاجتماعية الدينية الخلقية عاشها الإمام الحسين (عليه السلام) على يد جده النبي (صلى الله عليه وآله)، وعلى يد والده الإمام علي، وأمه فاطمة الزهراء.

والآن نقف عند محضن الوالد علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لولده الحسين كيف لا وهو القائل: «يا دنيا غري غري... غري غري»، إنها الأكثر من كلمة، وأكثر من دعاء، إنها لسان قدر، وعنوان حياة، فقد خلق الإمام علي وفي كل خليفة من خلانقه الكبار اجترأ على الدنيا، على ضرب من ضروب الاجترأ، وخلق شجاعاً بالغاً في الشجاعة، وزاهداً بين الزهد، ودارساً محباً للحقيقة الدينية يتحراها حيث اهتدى إليها. والشجاع جريء على الدنيا لأنه لا يبالي الحياة، والزاهد جريء على الدنيا لأنه لا يبالي النعيم، وطالب الحقيقة جريء على الدنيا لأنها طريق عنده إلى غاية من ورائها، فأبي مصير لهذا الرجل غير الشهادة في زمن لم يعرف بطارئ من الطوارئ كما عرف بالإقبال على الدنيا؟»^(٣٥٣). تلك هي صورة للوالد ترك بصماتها في ولده الحسين (عليهما السلام).

لقد تربي الحسين (عليه السلام) تربية خلقية إسلامية، وفي هذه التربية إصرار على ربط القول بالعمل، أي أن يتحول هذا القول إلى سلوكيات تمارس، هذا الغرض كان يسعى إليه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في تربية الحسين الغلام. وتابع ذلك سيدنا علي رضي الله عنه حيث أمده «بالمعنوية المتدفقة لطفاً ورعاية، تلك المعنوية التي لم يكن يدركها انحسار، بل هي في مد على الدوام، وذلك لأن إيمانه غرس الطفولة والشباب والكهولة والهرم، فأدبيات الإسلام ومثالياته عادت في نفس الأب من الصنف اللإرادي»^(٣٥٤).

إن الفترة التي عاشها الحسين في حضن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فترة قصيرة، ثم في حضن والده الإمام علي بن أبي طالب خصوصاً بعد وفاة الرسول، وكان ذلك لفترة من الزمن بلورت تصورات وأوضحت نهجه على النمط الذي يجمع بين نهج جده ووالده.

لقد كان «عمر الحسين (عليه السلام) عند استشهاده والده ستة وثلاثين عاماً قضاها كلها قربه ولم يبتعد عنه حتى خلال الحروب التي خاضها، وقد شهد كل حوادث تلك

(٣٥٢) عبدالله النعمي: التنشئة الاجتماعية، مفهومها ووسائلها، مجلة الدعوة الإسلامية، طرابلس، الجماهيرية الليبية، العدد الخامس، ١٣٩٧ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٣٥٣) عباس محمود العقاد: عبقريّة الإمام علي، كتاب الهلال، مصر، العدد ٦٧، ١٣٦٧ هـ - ١٩٥٦ م، ص ٢٠٥.

(٣٥٤) عبدالله العلابي: الإمام الحسين: ٢٨٤.

الفترة المزدهمة بالأحداث الجليلة، بل وشارك في بعضها مشاركة فعلية، ونظر إليها نفس النظرة التي نظر إليها والده وأخوه الحسن من قبل... ولم يكن مجرد مشارك عادي بتلك الأحداث والحروب بحكم تحيزه إلى والده(عليه السلام) لأنه والده، بل كان مشاركاً فعلاً بحكم انتمائه الحقيقي للإسلام ورؤيته الواضحة للحق، وهو يراه إلى جانب أبيه(عليه السلام)، وهو أمر لم يكن ليغيب عن الناس العاديين، فكيف به وهو الذي عرف الإسلام حق المعرفة، ويعرف والده(عليه السلام) حق المعرفة أيضاً وكانت له مواقف مشهورة في موقعة الجمل وصفين»^(٣٥٥).

فالحسين نتاج خبرة استثنائية توفرت عواملها ومكوناتها في حياة أبيه، حيث تعاهده ورعاه منذ البداية، ووجهه وأخاه الحسن على نهجه وطريقته بشكل متأن، وكان نضج الحسين المبكر يجعله يتحمل مسؤوليات قيادية مع أخيه، خصوصاً في ذلك الجو العاصف بعد وفاة أبيه.

ولنستمع إلى الإمام علي رضي الله عنه وهو يكتب إلى أحد عماله فيقول: «والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة، حتى أخذ الحق منهما، وأزيح الباطل عن مظلمتهما»^(٣٥٦).

فسيدنا علي(رضي الله عنه) نراه يبدأ بنفسه، وبولديه ليكونا الأنموذج، وينبه عامله بأنه لو أساء أحدهما في حقوق الآخرين لعامله بلا هوادة ولا رحمة.

ومن المعروف أن البيئة التي عاش فيها الحسين لم تكن حياة الترف، وإنما حياة التقشف التي عاشها الوالد والوالدة، وعاش مع أب كان أزهّد الناس بالدنيا.

وكان الحسين(عليه السلام) يسعى في استثمار الوقت الثمين في أن ينهل العلم من أبيه ويتخلق بأخلاقه، إضافة إلى الخميرة الأولى التي أخذها عن جدّه النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله)، فهو قد صحب أباه وروى عنه، وحفظ عن النبي وروى عنه؛ ولذلك عرف بأنه من أفضل أهل زمانه في العلم والمعرفة بالكتاب والسنة كما شهد بذلك معاصروه وحتى مناوئوه، والمعروف عنه أنه حفظ القرآن واستوعبه في سنوات عمره الأولى.

ولعل حياة التقشف التي عاشها الحسين أعدته وأخاه منذ البداية لي شعرا بشعور الآخرين. من محرومين، ومستضعفين ومضطهدين ليأخذانهم بأيديهما إلى الخط الصحي السليم.

(٣٥٥) محمد نعمة السماوي: وتنفس صبح الحسين(عليه السلام)، بيروت، دار المرتضى، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م، ص٢٠٨.

(٣٥٦) لبيب بيضون: تصنيف نهج البلاغة، لا. م، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨هـ، ص٣٤٨ - ٣٤٦.

رعاية الأم التربوية

إن الأم فاطمة الزهراء خريجة بيت محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، والدتها خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، هي المرعى الأول في الأسرة بما قدمته لولديها الحسن والحسين من محبة، وثقة، وطاعة، وإشباعها لعواطف طفلها، وأغنته بالمثل الإسلامية حيث أشبعت في نفسه «فكرة الفضيلة على أتم معانيها وأصح أوضاعها، ولا بدع فإن النبي (صلى الله عليه وآله) أشرف على توجيهه أيضاً في هذا الدور الذي يشعر فيه الطفل بالاستقلال.

فالسيدة فاطمة أنمت في نفسه فكرة الخير والحب المطلق والواجب، وزرعت في جوانحه وخوالجه أفكار الفضائل العليا، بأن وجهت المبادئ الأدبية في طبيعة الوليد، من أن تكون هي نقطة دائرتها إلى الله الذي هو فكرة يشترك فيها الجميع»^(٣٥٧).

وقد ورث الحسين إرثاً تأثيرياً من والدته حيث وضعت له من العمر عشرون سنة تقريباً - وكانت كما جاء في مناقبها - عملاً برأ ومعنى صالحاً، فهي لا تفتأ جاهدة على أعمال التقوى، وفي سنة ثلاث للهجرة التي كان فيها الحسين جنيناً وقعت غزوة أحد، وهذه أحدثت أبلغ الأسي وأعماقه في النفوس عامة، ونشرت على الوجوه نوعاً من الكآبة، ومسحتها بسهامه قاتمة، بسبب ما أصاب المسلمين، حتى لقد دخلت الوتيرة والدحل كل بيت والنبي (صلى الله عليه وآله) أصيب بعمه حمزة رضي الله عنه.

وهذا يشعرنا بأن السيدة فاطمة جزعت من نتائج هذه الغزوة التي لم تكن في جانب جيش أبيها، وأدركها الأسي العميق والحزن المرير لفقد حمزة. ومعنى هذا أن الانفعالات التي تأثرت بها ورتتها لجنينها، وهي:

١ - أخذ النفس بأعمال البرّ والتعلق بحبائل التقوى.

٢ - غلبة الشعور بنوع من الأسي، فقد كانت هذه الظاهرة واضحة عند الحسين في حياته. ولذا نراه قليل المرح قليل العبث كثير التفكير بمستقبل الأمور وسط هذه الزعازع الناشبة والعالقة بأطراف المجتمع، وكان يميل في تفكيره إلى نوع من اليأس.

٣ - نضج السخيمة عند الحسين على الناكبين عن طريق الهدى، فإن السيدة فاطمة لا شك أنها قد ملك مشاعرهما تحرق شديداً للانتقام من أعداء جده الذين وتروه في أحد، هم من سلالة أعدائه يوم استقبل الأمويين بالكفاح وقد وتروه أيضاً^(٣٥٨).

إرث آل هاشم

(٣٥٧) عبدالله العلابي: الإمام الحسين: ٢٨٩.

(٣٥٨) عبدالله العلابي: الإمام الحسين: ٢٧٩.

لقد اشتهر آل هاشم في التاريخ بالتدين حيث مالوا إلى التخصص بالشؤون الدينية، فكانوا يشرفون على المناسك في الجاهلية ويتولون أعمالها بين أيد الناس، وكان لهم بحكم هذا التخصص تربية خاصة تتصل اتصالاً وثيقاً بإبداع الضمير الديني، وإذكاء الشعور ذي اللون التأليهي. وبالفعل نرى أكثر رجالاتهم في الجاهلية يصفون عليهم شعوراً من هذا القبيل، فهاشم وعبد المطلب وأبو طالب، ثلاثتهم على لون واحد من الأخذ الديني والانتزاع الاجتماعي. وقد كملت الوراثة الدينية بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) إذ كان مظهراً للضمير الديني على اتم أشكاله وأكمل أوضاعه. والحسين كان إذاً غنياً - ما في ذلك شك - مما تراكب في دمه من الوراثة الدينية المتصلة على طول حبل النسل الممدود في أعماق الماضي البعيد.

ولقد كان لهذه الوراثة بواجر ظاهرة في كل تصرفاته الخاصة والعامة، وعليه فإن من الواجب أن ندرس مآتيه على ضوء هذه الوراثة الدينية النبيلة، وعلى ضوء ما تضي من أحاسيس تنزع بصاحبها إلى المحافظة والتمسك بأهداب المثل وإيقاع الجهود بسبل صيانتها^(٣٥٩).

لقد أثقل الحسين بوراثة تاريخية من آل هاشم، وتأثرية من أمه، مما أعطى لتربيته نوعاً خاصاً أعدت منه رجلاً كبيراً يسعى من خلال ما يحمل من أفكار لتطبيق إصلاح شامل ورثه عن أبيه الإمام علي بن أبي طالب.

من أخلاقه

إن التربية الخلقية التي نتحدث عنها عند الحسين (عليه السلام)، هي تلك التربية المحكومة بالقيم التي أقرها الإسلام وهي التي تمكن المسلم من إحسان التعامل في مجالات ثلاثة:

التعامل مع الله بسلامة العقيدة وصحة العبادة واستقامة الخلق.
والتعامل مع النفس بموضوعية وصدق في إلزامها بمنهج الله تعالى.
والتعامل مع الناس تعاملًا يقوم على إعطاء كل ذي حق حقه، وأداء كل واجب أوجبه الشرع أو العقل الصحيح المهتدي بالشرع، فيحقق في هذه المجالات رضا الله ورضا النفس ورضا الناس، وما يصل الإنسان إلى هذا الرضا إلا بالتمسك بالأخلاق التي جاء بها الإسلام^(٣٦٠).

والآن لنقف عند بعض من أخلاقه :

(٣٥٩) عبدالله العلايلي: الإمام الحسين: ٢٧٨ .

(٣٦٠) علي عبد الحلیم محمود: التربية الخلقية، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، لا.ت، ص ١٠.

علاقة الحسين بالله

يتجلى عمق علاقة الحسين (عليه السلام) بربه سبحانه وتعالى، إذا عدنا إلى تلك الدعائم التي قامت عليها تربيته الروحية والفكرية في رعاية وتعاهد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وتربية والده ووالدته رضي الله عنهما، مما حدد إطار شخصيته ومسارها في الحياة.

والحسين يبدو مدى تمسكه بالإسلام والحرص على تطبيق فرائضه وأحكامه، من خلال ما كان يدعو إليه قولاً ويمارسه عملاً.

كان الحسين (عليه السلام) إذا توضع لون وجهه، وارتعدت مفاصله، فقليل له في ذلك فقال: حق لمن وقف بين يدي الملك الجبار أن يصفر لونه وترتعد فرائضه. وقيل له يوماً: ما أعظم خوفك من ربك؟! فقال: «لا يأمن من يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا»^(٣٦١).

وها هو يوصي ولده بقوله: أوصيك أي بني بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور^(٣٦٢).

وها هو الحسين وهو في غمار المعركة يطرح مسألة تربوية هامة وهي ممارسة العبادات وفي مقدمتها الصلاة والدعاء.

لقد جعل الحسين «أصحابه يفكرون بأداء الصلاة وإقامتها خلفه جماعة، أمام أنظار الجيش المناوئ، رغم مخاطر الموت والحراجه التي كانوا يتعرضون لها، وقد أراد بذلك لفت الأنظار إلى حقيقة كبيرة: وهي أن الصلاة تعتبر هوية المسلم الأولى، وهي المدخل الأول للإسلام، وإلى أداء بقية شعائره وتعاليمه؛ إذ لم يجعل الله سبحانه وتعالى سبيلاً إلى قبول عمل الفرد المسلم ما لم تكن الصلاة قد سبقته، وما لم يكن قد أداها والتزم بشروطها، وواظب عليها، ولقد اعتبرها الله جل وعلا مقدمة لكل أعمال الإنسان الطيبة المتقبلة، وجعلها شرطاً لقبول هذه الأعمال والإثابة عليها»^(٣٦٣).

ولنستمع إلى مقولته المشهورة أثناء المعركة: «نريد أن نصلي لربنا الليلة ونستغفره، فهو يعلم أي أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار»^(٣٦٤).

وكان يدعو ربه تعالى بهذا الدعاء: «اللهم ارزقني الرغبة في الآخرة حتى أعرف صدق ذلك في قلبي بالزهادة مني في دنياي، اللهم ارزقني بصراً في أمر الله حتى أطلب الحسنات شوقاً، وأفر من السيئات خوفاً يا رب»^(٣٦٥).

(٣٦١) لجنة التأليف: الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، لا. م، مؤسسة البلاغ، ط ٣، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ص ١٩.

(٣٦٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٧٢ م، ص ٢٥٨.

(٣٦٣) محمد نعمة السماوي: وتنفس صبح الحسين (عليه السلام)، مصدر سابق، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣٦٤) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، بيروت، دار القاموس الحديث للطباعة النشر، لا. ت، ص

وقيل إنه: «كان حج خمساً وعشرين حجة»^(٣٦٦).

علاقة الحسين بالناس

يصلح الناس إذا صلح العلماء والحكام، ويفسدون إذا فسد علماءهم وحكامهم، وهذا ما ثبت في كل عصر وفي كل مصر، ومن هذا المنطلق رأينا فئة من الناس تتبع العلماء وتقتفي أثرهم في طاعة الله ورسوله، تسير على نهجهم بالتقيد بأحكام الإسلام، وتقاوم كل مالا يمت إلى الإسلام بصلة، وتؤيدهم في كل ما يعود على الإسلام من خير ونفع^(٣٦٧).

ومن المعروف أن علاقات المودة والثقة قد توطدت بين العلماء وعامة الناس، وكان لها أثرها في إعلاء معالم العالم وتعزيز نفوذه السياسي؛ مما جعل الخلفاء، وكبار رجال الدولة ينظرون إليه بعين التقدير من جهة، والخوف منه من جهة ثانية، لما يتمتع به من مكانة عالية في نفوس جماهير الناس، وربما انطبق هذا على الحسين (عليه السلام).

إننا حين نتطلع إلى الجانب الخلقي من شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) نلمس مدى تفاعله مع الأمة بمختلف قطاعاتها باعتباره القدوة المثلى^(٣٦٨)، فالحسين قائد في أمته، وموضع تقدير من علماء الأمة وصحابة رسول الله فيها هو عبد الله بن عباس «يأخذ بركاب الحسن والحسين فيقال له: أتأخذ بركابهما وأنت أسنّ منهما؟ فقال: إن هذين أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأوليس من سعادتني أن آخذ بركابهما»^(٣٦٩).

لعلّ هذه المكانة التي تمتع بها الحسين (عليه السلام) «ولعظم منزلته كان الناس إذا التقوا به أثناء مسيره إلى الحج ماشياً ينزلون عن ركائبهم إجلالاً طالما هو يسير»^(٣٧٠).

ومما يدل على مدى تفاعله ما يروى إنه «وجد على ظهر الحسين بن علي يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عن ذلك، فقال: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين»^(٣٧١).

(٣٦٥) لجنة التأليف: الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، مصدر سابق، ص ٢٠.

(٣٦٦) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، مصدر سابق، ص ١٨٠.

(٣٦٧) محمد منير سعد الدين: العلماء عند المسلمين، مكاتبتهم ودورهم في المجتمع، بيروت، دار المناهل، ط ١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٢٣.

(٣٦٨) لجنة التأليف: الإمام الحسين (عليه السلام)، مصدر سابق، ص ٢٠.

(٣٦٩) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، مصدر سابق، ص ١٧٩.

(٣٧٠) لجنة التأليف: الإمام الحسين (عليه السلام)، مصدر سابق، ص ٢١ - ٢٢.

(٣٧١) المصدر السابق: ٢٢.

ويروى أن الحسين كان مع جنازة امرأة، كان معه أبو هريرة، «فجئى بجنازة رجل فجعله بينه وبين المرأة فصلى عليهما، ولما أقبل اعياء الحسين فقعده في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفذ التراب عن قدميه بطرف الثوب، فقال الحسين: يا أبا هريرة وأنت تفعل هذا، قال أبو هريرة: دعني فوالله لو يعلم الناس منك ما اعلم لحملوك على رقابهم» (٣٧٢).

ولما وصل الحسين وابن الزبير إلى مكة منطلقين من المدينة وأقاما بها «عكف الناس على الحسين يغدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حوله ويستمعون كلامه» (٣٧٣).

وكان وهو يعطي درسه في المدينة ودخل «أحد الناس مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرى حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد الله الحسين مؤتزرأ على أنصاف ساقيه» (٣٧٤).

وهذا مؤشر إلى أن الحسين كان يتمتع بجاذبية قوية وعلم واسع جعلت منه إنساناً محبباً من الناس ومحترماً منهم، وله التأثير الكبير على مستمعيه وكان على رؤوسهم الطير في هدوئهم وحسن الإصغاء إليه.

علاقة الحسين (عليه السلام) مع أسرته وآدابه معها

لقد سنّ الحسين لمن بعده سنة في آداب الأسرة تليق بالبيت الذي نشأ فيه ووكّل إليه أن يرعى له حقه ويوجب على الناس مهابته وتوقيره، فهو على فضله وذكائه وشجاعته يستمع إلى أخيه الحسن، ويحترمه ويحفظ ودّ والده.

آدابه مع والده والوفاء له

كان الحسين يكن الحب الكبير لأسرته وعلى رأسها والده علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويروى أن الحسين (عليه السلام) كان يسير خلفه رجل يقول: اللهم اغفر له ولأمه، فأطال ذلك، فأقبل عليه الحسين وقال له: قد آذيتنا منذ اليوم تستغفر لي ولأمي وتترك أبي؟ وأبي خير مني ومن أمي (٣٧٥).

(٣٧٢) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٣٧٣) ابن كثير: استشهاد الحسين، جدة، دار المدني، لا. ت، ٢٦.

(٣٧٤) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ص ١٧٩.

(٣٧٥) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ١٨١.

ويقول الحسين: «كل شي هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده، أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة»^(٣٧٦).

ومن رعايته لسنن الأسرة ووصايا الأبوة أنه «ركبه دين فساومه معاوية بمائتي ألف دينار أو بمبلغ جسيم من المال على عين أبي نيزر، فأبى أن يبيعهما مع حاجته إلى بعض ما عرض عليه، لأن أباه تصدق بمائها لفقراء المدينة»^(٣٧٧).

آدابه مع أخيه الحسن (عليه السلام)

كان يحترم أخاه الحسن ويستمع إلى آرائه، ولا يسوؤه بالمراجعة أو المخالفة، «ولما هم الحسن بالتسليم لمعاوية كان ذلك على غير رضا من الحسين، فلم يوافقه وأشار عليه بالقتال، فغضب الحسن وقال له: والله لقد هممت أن أسجنك في بيت وأطين عليك بابه، حتى أقضي بشأني هذا وأفرغ منه ثم أخرجك، فلم يراجع الحسين بعدها وأثر طاعته»^(٣٧٨).

وكان الحسن يقول للحسين: أي أخ والله لوددت أن لي شدة قلبك، فيقول له الحسين: وأنا والله وددت أن لي بعض ما بسط لك من لسانك^(٣٧٩).

واعتز الحسين بنفسه، وبأسرته وكان يقول: «إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم»^(٣٨٠).

حقّ للحسين أن يعتز بأسرته ويحفظ لها كل ود، لا يكون ذلك في موضع العصبية القبلية، بل في موضع الداعي إلى الحق والرافض للظلم والطغيان، وكيف لا يقول ذلك وهو «الحسين بن علي خير الناس جدّاً، وخير الناس جدّة، جدّه محمد رسول الله سيد النبيين، وجدّته خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، هذا الحسين بن علي خير الناس أباً وخير الناس أمّاً، أبوه علي بن أبي طالب أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووزيره، وابن عمه وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وأمه فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين، هذا الحسين بن علي خير الناس عمّاً وخير الناس عمّة، عمّه جعفر بن أبي طالب المزين بالجناحين حيث يطير بهما في الجنة حيث يشاء، وعمته أم هانئ بنت أبي طالب، هذا الحسين

(٣٧٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٦، مصدر سابق، ص ٢٤٠.

(٣٧٧) عباس محمود العقاد: أبو الشهداء الحسين بن علي، مصدر سابق، ص ٥٢.

(٣٧٨) عباس محمود العقاد، أبو الشهداء الحسين بن علي، ص ٥١.

(٣٧٩) محمد مهدي شمس الدين: ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، بيروت، دار التعارف للمطبوعات،

ط٦، ١٤١٠هـ-١٩٨١م، ص ١٧٢.

(٣٨٠) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ص ١٧٨.

بن علي خير الناس خالاً وخير الناس خالة، خاله القاسم بن محمد رسول الله وخالته زينب بنت محمد رسول الله»^(٣٨١).

العزة والكرامة والإباء

إن أثنى ما يملك الإنسان في هذه الحياة هي كرامته وحرّيته، وعزّته، والحسين يرفض طريق الذل الرخيص والإستسلام، وهو يحفظ ويطبّق قول والده الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً. لذلك خاطب السلطة الحاكمة بقوله: لا أقر لكم إقرار العبيد وهل هو إلا الموت والقدم على رب العالمين.

ويقول: ليس شأني شأن من يخاف الموت، ما أهون الموت على سبيل نيل العز وإحياء الحق، ليس الموت في سبيل العز إلا حياة خالدة، وليست الحياة مع الذل إلا الموت الذي لا حياة معه. أقبال الموت تخوفني هيهات! طاش سهمك وخاب ظنك لست أخاف الموت، إن نفسي لأكبر من ذلك وهمتي لأعلى من أن أحمل الضيم خوفاً من الموت، وهل تقدرّون على هدم مجدي ومحو عزّي وشرفي، فأنا لا أبالي بالقتل، وهو القائل: موت في عزّ خير من حياة في ذل^(٣٨٢).

لقد أبى الحسين(عليه السلام) إلا الإباء، ونطق بها كلمة تخاف منها نفس العاني وتضوّل معها كبرياء الظالم «والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد، عباد الله إني عدت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»^(٣٨٣). ويقول عمر بن سعد عدو الحسين «لا يستسلم والله حسين: إن نفساً أبيّة لبين جنبه»^(٣٨٤).

وهذا مؤشّر على حزمه وثباته وإصراره المؤطر بأدب الإسلام، حيث التزم بحدوده وقواعده حتى مع أشد الناس عداوة وإيذاءً له.

الشجاعة

إن الشجاعة التي يتصف بها الحسين(عليه السلام) "صفة لا تستغرب منه لأنها الشيء من معدنه كما قيل. وهي فضيلة ورثها عن الآباء وأورثها الأبناء بعده، وقد شهد الحروب في أفريقيا الشمالية وطبرستان والقسطنطينية. وحضر مع أبيه وقائعه

(٣٨١) المصدر السابق ص ١٧٣.

(٣٨٢) توفيق أبو علم: أبو الشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد ١٦٤، لا. ت، ص ٥١.

(٣٨٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ص ٢٤٣.

(٣٨٤) المصدر السابق ص ٢٣٧.

جميعاً من الجمل إلى صفيين. وليس في بني الإنسان من هو أشجع قلباً مما أقدم عليه الحسين في يوم كربلاء.

وقد تربي للشجاعة كما تلقاها في الدم بالوراثة. فتعلم فنون الفروسية كركوب الخيل ومصارعة العدو من صباه، ولم تفته ألعاب الرياضة التي تتم بها مرانة الجسم على الحركة والنشاط، ومنها لعبة تشبه (الجولف) عند الأوروبيين كانوا يسمونها المداحي (جمع مدحاة). وهي أحجار أمثال القرصة يحفرون في الأرض حفيرة ويرسلون تلك الأحجار فمن وقع حجره في الحفيرة فهو الغالب^(٣٨٥).

لقد أبى أن يبايع يزيد بن معاوية وقال لمروان: وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد.

وقال لأخيه محمد بن الحنفية: والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية. في حين أنه لو بايعه لنال من الدنيا الحظ الأوفر والنصيب الأوفر، ولكان معظماً محترماً عنده مرعي الجانب محظوظ المقام لا يرد له طلب ولا تخالف له إرادة لما كان يعلمه يزيد من مكانته بين المسلمين وما كان يتخوفه مخالفته له^(٣٨٦).

وكان معاوية بن أبي سفيان أوصى يزيد بالحسين خيراً بقوله: «أنظر حسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنه أحب الناس إلى الناس فصل رحمته، وأرفق به يصبح لك أمره، فإن بك منه شيئاً فإني أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه»^(٣٨٧).

وشجاعة الحسين تظهر في ضبطه لنفسه، ومحاولة مواجهة الصعاب والعمل للتغلب عليها، وكذلك صراحته في الإجابة على ما يطرح عليه.

وها هو يدعو أصحابه إلى الموت وكأنه يدعوهم إلى مأدبة، «قوموا إلى الموت رحمكم الله! أما والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي»^(٣٨٨).

وسمع يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع ينفي الرمية، ويفترص العورة، ويشد على الخيل وهو يقول: أعلى قتلي تحاجون أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتله مني، وأيم الله إنني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله لو قد قتلتُموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم ثم لا يرضى بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم»^(٣٨٩).

(٣٨٥) عباس محمود العقاد: أبو الشهداء الحسين بن علي، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٣٨٦) توفيق أبو علم: أبو الشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٣٨٧) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ص ٢٠٦.

(٣٨٨) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، مصدر سابق، ص ٢٦٠.

(٣٨٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، المصدر السابق ص ٢٦٠.

وها هو لا يخاف الموت، وتبدو فيه شجاعته، عندما ذكره الحر بين يزيد بأنه سيقتل في رحلته التي يقوم بها إلى العراق، «قال له الحسين (عليه السلام): أقبال الموت تخوفني؟ وهل يدعو بكم الخطب أن تقتلوني؟ ما أدري ما أقول لكم! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ولقيه وهو يريد نصره رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له: أين تذهب؟ فإنك مقتول!»، فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى *** إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

وواسى الرجال الصالحين بنفسه *** وفارق مثبوراً يعيش ويرغماً

ونقلها ابن الأثير في الكامل:

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم *** كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً^(٣٩٠)

ومن شجاعته وثباته في المعركة أن عناصر الجيش الأموي، «شدت عليه رجالاته ممن عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى ذعروا، وعلى من عن شماله حتى ذعروا! فوالله ما رأيت مكسوراً قط - وقد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه - أربط جأشاً ولا أمطى جناحاً ولا أجراً مقدماً منه! والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله! إن كانت الرجالة لتتكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب»^(٣٩١).

التواضع والزهد

التواضع خلق من أخلاق الإسلام، وإذا كان التواضع في ذاته فضيلة، يجمل بكل الناس أن يجملوا بها نفوسهم، إلا أنها تكون أجمل وأزين عند العلماء والحكام، لأنها تعقد قلوب الناس على محبتهم والعمل بتوجيهاتهم، «من هنا كان لا بد من مجانية الكبر والإعجاب لأنهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل»^(٣٩٢).

ومما يروى عن تواضع الحسين مع الناس أنه «مرّ بمساكين يأكلون في الصفة، فقالوا: الغذاء، فنزل، وقال: إن الله لا يحب المتكبرين فتغذى معهم، ثم قال لهم: قد أحببتكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله فقال للرباب: أخرجني ما كنت تدخرين»^(٣٩٣).

(٣٩٠) أبي مخنف: وقعة الطف، تحقيق الشيخ مهدي هادي اليوسفي الغروي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٣، ١٤١٧ هـ، ص ١٧٢-١٧٣.

(٣٩١) وقعة الطف، أبي مخنف ص ٢٥٢.

(٣٩٢) عبد الباري محمد داود: التواضع في الإسلام، القاهرة، دار نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٣٩.

(٣٩٣) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ص ١٨١.

فالحسين (عليه السلام) كان متواضعاً في مشيه وفي كلامه وفي علمه، وفي كرمه، وفي حبه للفقير، لأن كل هذا من علامات الذوق السليم وطهارة القلب، ونقاء السريرة وصحة الإيمان وحلاوة العمل في طريق الله.

وكان الحسين سيداً زاهداً ورعاً صالحاً حسن الخلق، ذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستانه وكان في ذلك البستان غلام له، اسمه صافي، فلما قرب من البستان رأى الغلام قاعداً يأكل خبزاً، فنظر الحسين إليه وجلس عند نخلة مستتراً لا يراه، فكان يرفع الرغيف فيرمي بنصفه إلى الكلب ويأكل نصفه الآخر، فتعجب الحسين من فعل الغلام، فلما فرغ من أكله قال: الحمد لله رب العالمين، اللهم اغفر لي واغفر لسيدي وبارك له كما باركت على أبيه برحمتك يا أرحم الراحمين.

فقام الحسين، وقال: يا صافي!!

فقام الغلام فزعاً، وقال: ياسيدي وسيد المؤمنين، إني ما رأيتك فاعف عني.

فقال الحسين: اجعلني في حل يا صافي فإني دخلت بستانك بغير إذنك.

فقال صافي: بفضلك يا سيدي وكرمك وسؤددك تقول هذا.

فقال الحسين: رأيتك ترمي بنصف الرغيف للكلب وتأكل النصف الآخر فما

معنى ذلك؟

فقال الغلام: إن هذا الكلب ينظر إلي حين أكل فأستحي منه يا سيدي لنظره إلي، وهذا كلبك يحرس بستانك من الأعداء فأنا عبدك وهذا كلبك فأكلنا رزقك معاً فبكى الحسين وقال: أنت عتيق الله وقد وهبت لك ألفي دينار بطيبة من قلبي^(٣٩٤).

ومرّ الحسين (رضي الله عنه) بمساكين وهم يأكلون كسراً على كساء فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فجلس معهم، وقال: لولا أنه صدقة لأكلت معكم، ثم قال: قوموا إلى منزلي فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدرهم^(٣٩٥).

العفو عن المسيء

اهتم الإسلام بفضيلة العفو، حيث "العفو في الإسلام يبرز إلى حد كبير سمات المنهج الإسلامي في قيادة البشرية وتوجيههم، وضبط سلوكهم، وربطهم بالمثل العليا، والصفات الرفيعة، والخلق الرشيد.

إن تاريخ الرعيل الأول من المسلمين ومن تبعهم، تاريخ زاهر مليئ بأمثلة الهدى ومن أفضل ما حباهم به الإسلام أنه منحهم الحزم والحكمة، وحباهم بالالتزان

(٣٩٤) توفيق أبو علم: أبو الشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي، مصدر سابق، ص ٤٨ - ٤٩.

(٣٩٥) المصدر السابق ص ٤٩.

والانضباط واعتدال النفس، واتساق العواطف، والقدرة على تقديم الحلم على الغضب، والعفو على الانتقام، والإحسان إلى من أساء على العقوبة له^(٣٩٦).

قال تعالى: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)^(٣٩٧).

والحسين(عليه السلام) ابن مدرسة الإسلام وربّه وعلمه من بعث ليتمّ مكارم الأخلاق محمد بن عبد الله(صلى الله عليه وآله)، لذلك يتجلى العفو عند المقدرة في سلوكياته.

يروى أن غلاماً له ارتكب ما يستوجب التأديب، فأراد تأديبه، فقال الغلام: يا مولاي «والكاظمين الغيظ».

قال الإمام الحسين: خلوا عنه.

قال الغلام: «والعافين عن الناس».

قال الإمام: قد عفوت عنك.

قال الغلام: يا مولاي «والله يحب المحسنين»

قال(عليه السلام): وأنت حر لوجه الله تعالى، لك ضعف ما كنت أعطيك^(٣٩٨).

ولا شك أن هذه القصة تدل أيضاً على ما اتصف به الحسين من ضبط للنفس.

الكرم وإغاثة الملهوف

الكرم سمة تميّز النفوس النبيلة، وهي تشهد على طيب المحتد، والإنسان الكريم هو الذي لا يشح ببذل دمه، وفكرة العطاء فكرة أساسية في الكرم، فالحسين(عليه السلام) لم يبخل بدمه وماله، وعمل أيضاً على إغاثة الملهوف. كيف لا وجدّه الرسول محمد(صلى الله عليه وآله) يقول: إن الله عزّ وجلّ يحبّ إغاثة الملهوف^(٣٩٩).

ويقول: من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين حسنة، واحدة منها يصلح الله بها آخرته ودنياه، والباقي في الدرجات^(٤٠٠).

ومما يروى عن الحسين أنه خرج سائل يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين بن علي، فقرع الباب وأنشأ يقول:

لم يخب اليوم من رجاك ومن *** حرّك من خلف بابك الحلقة

(٣٩٦) عبد الرحيم السايح: الفضيلة والفضائل في الإسلام، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣٩٧) آل عمران: ١٣٤.

(٣٩٨) لجنة التأليف: الإمام الحسين(عليه السلام)، مصدر سابق، ص ٣٣.

(٣٩٩) الطبراني: مكارم الأخلاق، تحقيق أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٤٥.

(٤٠٠) مكارم الأخلاق للطبراني، ص ٣٤٦.

وأنت جود وأنت معدنه *** أبوك ما كان قاتل الفسقة
قال الأعرابي فرأى عليه أثر ضررٍ وفاقة، فرجع ونادى بقتبر فأجابه لبيك يا ابن
رسول الله(صلى الله عليه وآله)! قال: ما تبقى معك من نفقتنا؟
قال: مائتا درهم أمرتني بتفريقها في أهل بيتك.
قال: فهاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم، فأخذها وخرج يدفعها للأعرابي وأنشأ
يقول:

خذها وإني إليك معذر *** واعلم بأني عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا عصا تمداداً *** كانت سمانا عليك مندفة
قال: فأخذها الأعرابي وولى وهو يقول:
مطهرون نقيات جيوبهم *** تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
وأنتم أنتم الأعلون عندكم *** علم الكتاب وما جاءت به السور
من لم يكن علويًا حين تنسبه *** فما له في جميع الناس مفتخر^(٤٠١)
وكان الحسين كريمًا على الشعراء، حتى كتب له أخوه الحسن يعيب عليه إعطاء
الشعراء، قال الحسين مجيباً الحسن: إن خير المال
ما وفي الغرض^(٤٠٢).

إن مسلك الحسين هذا في الكرم وإغاثة الملهوف هو نتاج تربية الإسلام للحسين،
حيث جاء هذا بمقتضى الفطرة وتعاليم الدين ومنها الشعور بالغيرية.
وقد يكون معاوية بن أبي سفيان صادقاً فيما صور به الحسين عندما أرسل إليه
هدايا من كسي وطيب وصلات من المال، فقال عن الحسين(عليه السلام) أنه يبدأ بأيتام
من قتل مع أبيه بصفين، فإن بقي شيء نحر به الجُزُر، وسقى به اللبن.
فهذه المقولة تظهر أن الحسين كان مغلوباً إلى حد كبير بتأثير هذه العاطفة، فهو
يشعر بشعور الآخرين، ويشاركهم ما يقع في وجدانهم، ويحس بنوع الإحساس الذي
يمر في سماوة نفوسهم، فيتألم إذا تألموا، ويسر إذا سرّوا.
وكان له اتصالات تربطه بكل الناس، وله في كل قلب جهاز يشعره بشعوره.
وكان الحسين(عليه السلام) لا يزال إلى تاريخ القصة تمر في خياله صور تلك الملاحم
الرهيبية التي خاضها مع أبيه(عليه السلام) بما فيها من آلام وآمال: فينبعث لمشاطرة أولاد
أولئك الشهداء، حتى يشعرهم بأنهم إذا فقدوا آباءهم عطفاً وحناناً فإنهم لم يفقدوا كل

(٤٠١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، مصدر سابق، ص ١٨٥.

(٤٠٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ص ١٨١.

عطف وكل حنان. وهذا أصدق ما تكون به المشاركة الوجدانية، فهو لا يرجع إلى طبيعة الجود بل إلى الأسي والمواساة أيضاً^(٤٠٣).

الوفاء بالعهد

الوفاء من أخلاق الإسلام وهي «أخلاق الحنيفية، والشريعة الإسلامية، أخلاق محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، إذ يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، وهو منحة ربانية للمخلصين، ورحمة إلهية للمحسنين، وإذا كان الوفاء مما يحض عليه تعالى المؤمنين، فإنه يعد قاعدة أساسية للقواعد الأخلاقية في السلوك والتربية الإسلامية التي تميز المسلم عن غيره»^(٤٠٤).

والحسين مدرسة في الوفاء، فمن وفائه أنه أبى الخروج على معاوية بعد وفاة أخيه الحسن لأنه عاهد معاوية على المسالمة وقال لأنصاره الذين حرّضوه على خلع معاوية: أن بينه وبين الرجل عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة، وكان معاوية يعلم وفاءه وجوده معاً، فقال لصحبه يوماً وقد أرسل الهدايا إلى وجوه المدينة من كسي وطيب وصلات.

«إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم، أما الحسن فلعله ينيل نساءه شيئاً من الطيب، ويهب ما بقي من حضره، ولا ينتظر غائباً وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفين، فإن بقي شيء نحر به الجزر وسقى به اللبن»^(٤٠٥).

ولقد تحدثت عن جزء من أخلاق الحسين (عليه السلام) علماً أنه، أمر بالمعروف وناه عن المنكر، وصادق، وثابت على المبدأ، وقنوع، وصبور، وتقي إلى غيرها من الفضائل التي يتحلى بها الإنسان المسلم، إنه في صفاته الخلقية يبدو أمة بين العظماء، فقد عرفنا العظيم في ثوب الشجاع، وعرفنا العظيم في ثوب الضحية الشهيد، وعرفنا العظيم في ثوب الزاهد، وعرفنا العظيم في ثوب العالم، وأما العظمة في كل ثوب، والعظمة في كل مظهر، حتى أنها تأزحت من افتطارها فكانت شخصاً ماثلاً للناس يقرأونه ويعتبرون به. فهذا ما تجده في الحسين (عليه السلام) وحده، وهذا ما نلمسه فقط، حيث هو نفسه وحيث هو نسبه، فلقد يكون أبوه مثله، ولكن لا يجد له أباً كمثل نفسه.

فرجل كيفما سموت به من أي جهاته انتهى بك إلى عظيم، فهو ملتقى عظمت ومجمع أقدان، فإن من ينبثق من عظمة النبوة (محمد صلى الله عليه وآله) وعظمة الرجولة

(٤٠٣) عبدالله العلايلي: الإمام الحسين، مصدر سابق، ص ١٣٢.

(٤٠٤) حسن الشرقاوي: الأخلاق الإسلامية، القاهرة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، لا. ت، ص ٢٣١.

(٤٠٥) عباس محمود العقاد: الحسين أبو الشهداء، مصدر سابق، ص ٥٥.

(علي رضي الله عنه)، وعظمة الفضيلة (فاطمة رضي الله عنها)، يكون أمثلة عظمة الإنسان، وآية الآيات البينات» (٤٠٦).

بعد هذه الرحلة الخاطفة مع مدرسة الحسين التربوية الخلقية أقول: إن الحسين ليس ملكاً لطائفة دون أخرى ولا لمذهب دون آخر، ولا لجماعة دون أخرى، ولكن أركز أنه بالدرجة الأولى ملك للمسلمين جميعهم، فتورته ثورة من أجل الفقير، والمحروم، والمظلوم، والمقهور، ثورة من أجل الحرية، والعدل والمساواة، والفداء والتضحية، وهو ملتقى عظام، وفي الوقت نفسه سيرته درس وعظة وعبرة تتطلب أن نجعل منها سداً موحداً منيعاً يقف في وجه الأخطار المعاصرة التي تهددنا جميعاً، ولا تستثني منا أحداً، فالغازي يريد لنا التفرقة وفق قاعدته المعروفة المشهورة «فرق تسد»، فلنكن على درجة من الوعي لتتكاتف أيدينا لإفساد خططه ونجعل كيده في نحره.

فسلام الله على الحسين يوم حياته ومماته، وسلام عليكم آل البيت، ولنردّد مع الإمام الشافعي رحمه الله:

يا آل بيت رسول الله حبكم *** فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم *** من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الحسين (عليه السلام)

والعشق الإلهي

آمال محمد

الحسين (عليه السلام) والعشق الإلهي

والصلاة والسلام على نبينا ومولانا النور الهادي الأمين محمد خاتم النبيين وعلى آله سفن النجاة والنجوم الهداة وحبل الله الممدود الطيبين الطاهرين. العشق الإلهي مصطلح عرفاني تبلور في مرحلة متأخرة من صدر الإسلام ولكنه في حقيقة الأمر هناك ترجمة عملية منذ ظهور الإسلام، إذ كانت لا تزال الفطرة السليمة تنعكس عليها مرآة الإسلام الأول إسلام النبع الصافي الذي نهل منه المسلمون الأوائل فكانوا قادة عمليين يأتزمون بأمر النبي محمد(صلى الله عليه وآله) وبمنحونه الطاعة التي أمرهم الله بها في كتابه الحكيم: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحبكم الله).

ويقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). فطاعة الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام واتباع تعاليمه والسير على نهجه تستوجب محبة الله وهذا وعدٌ وعدٌ الله به المؤمنين (إنه لا يخلف الميعاد). ولم ترد في القرآن كلمة العشق بل وردت في صيغة اسم التفضيل في قوله تعالى: (والذين آمنوا أشد حبا لله) فهناك صلة وثيقة بين أتباع الرسول(صلى الله عليه وآله) وطاعته وهي مقدمة لنتيجة حتمية هي حب الله لأولئك الذين يتبعون الرسول(صلى الله عليه وآله) ويطيعونه ذلك أنهم آمنوا بما أنزل الله تعالى وبما أرسل به النبي محمد(صلى الله عليه وآله); فكانت النتيجة أنهم أصبحوا أشد حبا لله لأنهم آمنوا إيمانا عميقا وصادقا ومخلصا. وليس لحديث العشق فائدة إذا لم نبين أن آل النبي عليهم الصلاة والسلام هم المعنيون بشدة الحب لله لأنهم أول المصدقين بالرسالة المحمدية والمخلصين لها الإخلاص الكامل. وإذا كان الحديث هنا - يخص سبط النبي المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام وابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) وابن سيدة نساء العالمين ریحانة النبي وأم أبيها وقررة عينه فاطمة الزهراء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين إنه الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة وثالث أئمة أهل البيت عليهم صلوات الله وسلامه وعندما نقول «الإمام» فهذا يعني أولا وقبل كل شيء سليل سيد المرسلين والعترة الطاهرة(عليهم السلام)، ثم هو ربيب محمد(صلى الله عليه وآله) ووريث علوم إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) وهو الناهل من ينابيع المعرفة

القرآنية وهو السالك في طريق الحق مخلصاً صادقاً مهتدياً بنور جده وأبيه وأمه عليهم الصلاة والسلام.

فكل ما في الدنيا هيّن في عينه صغير في همته وهو الناظر إلى الحق أنى اتجه وكيفما واجهته الدنيا برزاياها ومصائبها إنه الإمام القائد قدوة المسلمين وأسوتهم الحسنة، إنه النهر المتدفق من نبع النبوة الصافي، إنه حامل الرسالة الهادية المهدية والمؤتمن على تنفيذها وتطبيقها وإرشاد الناس إليها وإلى حقيقتها.

والحق أقول مهما أطلت وأفضت في الوصف تبقى الحقيقة أكبر وأعمق من كلمات تقال؛ لأن سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) هي التي تكشف لنا الحقائق التي نجهلها ولعل أهم حقيقة تكشفها سيرته الشريفة (عليه السلام) هي عشقه لله سبحانه وتعالى، فالعشق الإلهي يصطبغ بالدمع والدم عند أصحابه لذلك فقد اصطبغت سيرة الحسين (عليه السلام) بالدمع والدم معاً. لقد استجاب الله ولسوله، لأن في دعوته حياة، عملاً بقوله تعالى: (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم). وحتى نتمكن من فهم العشق الإلهي عند الحسين (عليه السلام) يجب أن نستعرض أقواله وأفعاله (عليه السلام).

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الكون عبثاً بل فيه غاية ترجع إلى العالم نفسه، ذلك أن غاية الخلق الإحسان إليهم والمنّ عليهم لينتفعوا بالله وبخيراته ونعمه، ولم يخلق الله الخلق لينتفع بهم ويقضي بهم حاجة لنفسه إنما خلق الله الخلق إفاضة للوجود وإظهاراً للسخاء والجود.

من هنا ورحمة بالبشر أرسل الله سبحانه وتعالى رسله ليكونوا للناس قدوة وهدى ونوراً، وختم رسائله السماوية برسالة الإسلام وبخاتم الرسل والأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله) ليكون قد أتم على الناس نعمه الظاهرة والباطنة وجعل في عقب النبي (صلى الله عليه وآله) كلمة وهي الإمامة لتبقى محافظة على روح الإسلام وتظل مشعلاً وقادراً لا تخمد جذوته تهدي الناس إلى سواء السبيل.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله طهارة أهل البيت، والطهارة هنا خلوصهم من كل نقص وعيب، إنها في الحقيقة العصمة. يقول تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

من هنا يمكننا أن نقول إن سيرة الحسين (عليه السلام) هي مسيرة الإمام المعصوم في طريق العشق الإلهي محققاً للإنسانية بهذا السلوك عزتها وكرامتها، ذلك أن الإسلام دين الإنسانية والإنسان، ومن ذا يحفظ للإنسانية كرامتها ووجودها سوى أصحاب العصمة من الأئمة (عليهم السلام)؟

إن تجربة العشق الإلهي الذي تحدّث عنها العرفاء ونظّروا لها ليست إلا تجارب جزئية من التجربة الأمتل تجربة النبي محمد(صلى الله عليه وآله) وتجربة الأئمة الأطهار المعصومين: والحقيقة أن كلمة تجربة هنا لا مكان لها؛ لأن النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، أما الأئمة المعصومون : فقد تربّوا في حجر الوحي ونهلوا من معينه فجاء العشق الإلهي عندهم كاملاً متكاملًا لا علاقة له بالتجربة.

إن حقيقة العشق عند مولانا الإمام الحسين(عليه السلام) كامنة في معرفته بكتاب الله عزّ وجلّ وبسنة النبي المصطفى محمد(صلى الله عليه وآله) معرفة نظرية وعملية في آن واحداً إذ أنه المعنى بشؤون المسلمين كونه الإمام الثالث(عليه السلام) في ذلك الوقت. وهو الوسيط آنذاك بين الله سبحانه وتعالى وبين خلّاقه، ومهمته إيصال المسلمين إلى السعادة في الدارين الدنيا والآخرة.

وبهذا المعنى أيضاً يكون الإمام الحسين(عليه السلام) هو الإنسان الكامل الذي اتصل بالله تعالى وفني فيه فلا يرى سواه ولا يريد غيره ولا يعمل إلا بطاعته وفي سبيله. ولا غرابة أن يكون الإمام (عليه السلام) هو القدوة والمثل، كيف لا وهو من أهل الولاية ومن بيت النبوة وهم أولو أكمل تجليات الجمال والجلال الإلهي في علم الخلق.

ولكي نفهم تجليات العشق الإلهي عند الإمام الحسين(عليه السلام) لا بد لنا من العودة إلى كلامه الشريف وخطبه البليغة. يقول(عليه السلام) في دعاء عرفة:

«كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مفقّر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً».

هذه الكلمات النورانية خطاب عشق فيه تأدب شديد مع الله يبيّنه قوله، أن الله سبحانه وتعالى لا يستدل عليه بخلقه بل هو سبحانه دليل وجود خلقه، وهذا الكلام أعلى درجات التوحيد والإخلاص لله، ثم يأتي بعد ذلك دعاؤه بالعمى والخسران لمن لا يخشى الله في السرّ والعلن ولا يعبده عبادة المحسنين.

ولما كان للناس على إمامهم حق النصيحة لله، وللإمام (عليه السلام) على الناس حق الطاعة، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد في سبيل الله وعشق لكامله. يقول الإمام الحسين(عليه السلام):

يروى عن أمير المؤمنين(عليه السلام): اعتبروا أيها الناس بما وعظ به أوليائه من سوء ثنائه على الأحرار إذ يقول:

(لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم) وقال (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل - إلى قوله - لبئس ما كانوا يفعلون)، وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا يهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة مما يحذرون والله يقول: (فلا تخشوا الناس واخشوني)، وقال: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هيئتها وصعبها. وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها، ثم أنتم أيتها العصابة عصابة العلم المشهورة، وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وباللغة في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا بد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر، أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون فاستخففتكم بحق الأنمة؟ فأما حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم. فلا مالا بذلتموه ولا نفساً خاطرتكم بها للذي خلقها ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله. أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأماناً من عذابه. لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نعماته لأنكم بلغتكم من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون وأنتم بالله في عبادته تكرمون وقد ترون عهود الله منقوصة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذمم آباتكم تفزعون وذمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) محقورة والعمى والبكم والزمن في المدائن مهملة لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعنون وبالادهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تعون ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمانة على جلاله وحرامه وأنتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك إلا بتفرقتكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ولو صبرتم على الأذى وتحملتكم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليك ترجع ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم واسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيروا في الشهوات سلطهم عن ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشتهم مغلوب يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوانهم اقتداء بالأشرار وجرأة على الجبار. في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها ميسوطة والناس لهم خول لا يدفعون يد لأمس، فمن بين جبار عنيد وذئب سوط على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد، فيا عجباً وما لي (لا) أعجب والأرض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعا والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا.

اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فصول الخصام، ولكن نرى المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك فانكم تنصروننا وتنصفوننا قوي الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير».

هذه الخطبة المطولة موجهة من الإمام الحسين(عليه السلام) إلى العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لإقامة الحجة عليهم بأنهم تعدوا حدود الله وضيعوا حقه والتفتوا إلى الدعة والراحة.

وربّ سائل يسأل ما علاقة هذا الكلام بالعشق الإلهي عند الإمام الحسين(عليه السلام)؟

أقول هو ذا العشق الحقيقي الأول وهو نصره الحق وقول كلمة الحق في سبيل الله ولوجه الله الكريم. إنه ترجمة عملية للعشق الحسيني.

وفي خطبة أخرى له(عليه السلام) يدعو المسلمين إلى تقوى الله والعمل قبل حلول الأجل وفوات الأمل. يقول(عليه السلام): «أوصيكم بتقوى الله وأحذركم أيامه وأرفع لكم أعلامه قد أفد بمهول وروده ونكير حلولة وبشع مذاقه فاعتلق مهجكم وحال بين العمل وبينكم، فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمار كأنكم بيغيات طوارقه فتنقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها ومن علوها إلى أسفلها ومن أنسها إلى وحشتها ومن روحها وضونها إلى ظلمتها ومن سعتها إلى ضيقتها، حيث لا يزار حميم ولا يعاد سقيم ولا يجاب صريح. أعاتنا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم ونجانا وإياكم من عقابه وأوجب لنا ولكم جزياً من ثوابه. عباد الله، فلو كان قصر مرامكم ومدى مظعنكم كان حسب العامل شغلا يستفرغ عليه أحزانه ويذهله عن دنياه ويكثر نصبه لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مرتين باكتسابه مستوقف على حسابيه، لا وزير له يمنعه، ولا ظهير عنه يدفعه، ويومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون. أوصيكم بتقوى الله فإن الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عمّا يكره إلى ما يحب ويرزقه من حيث لا يحتسب، فإياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبيه، فإن الله تبارك وتعالى لا يخدع عن جنته ولا ينال ما عنده إلا بطاعته إن شاء الله».

ومن الجلي الواضح أن هذه الموعدة الشريفة، تدعو إلى طريق الحق والعمل في ابتغاء مرضاة الله، ذلك أن التقوى أول طريق العشق، فهل ترى واعظاً يعظ ويدل على الطريق من غير أن يكون هو صاحب هذا الطريق والدليل إلى الوصول إلى مرضاة الله. والإمام(عليه السلام) في حكمه ومواعظه يبين الطرق والأساليب الدقيقة والواضحة للوصول إلى العشق الإلهي، فهذه خطبته له عن الجهاد حين سئل(عليه السلام) سنة أو فريضة فقال(عليه السلام):

«الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض و جهاد سنّة لا يقام إلا مع فرض و جهاد سنّة، فأما أحد الفرضين: فجهاد الرجل نفسه عن معاصي الله وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض، وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقام إلا مع فرض فإن مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الأمة وهو سنة على الإمام وحده أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم. وأما الجهاد الذي هو سنة فكلّ سنة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال، لأنها إحياء سنّة، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً». هذا التقسيم والتفصيل في جوابه (عليه السلام) عن الجهاد إنّما يدل على عمق معرفته بما افترضه الله على عباده وبما سنّ نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) من نهج واضح وهو عليه الصلاة والسلام وعلى آله لا ينطق عن الهوى. فالإمام (عليه السلام) قائد يرشد الناس إلى السبيل الصحيح في طريق العشق الإلهي، ذلك أنه (عليه السلام) تقترن أقواله بأفعاله ويقدم للناس بذلك الأسوة الحسنة في سلوك السبيل الموصل إلى الله جلّ وعلا. وله كلام (عليه السلام) في التوحيد إنّما يدل على عمق معرفته بالله وحبّه وعشقه له سبحانه. يقول (عليه السلام):

«أيها الناس، اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم، يضاھون قول الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

استخلص الوجدانية والجبروت وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائن. لا منازع له في شيء من أمره ولا كفو له يعادله ولا ضد له ينازعه ولا سمي له يشابهه ولا مثل له يشاكله. لا تتداوله الأمور ولا تجري عليه الأحوال ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواصفون كنه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته لأنه ليس له في الأشياء عديل ولا تدركه العلماء بألبابها ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق إيقاناً بالغيب لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين وهو الواحد الصمد، ما تُصوّر في الأوهام فهو خلافه، ليس برب من طرح تحت البلاغ، ومعبود من وجد في هواء أو غير هواء. هو في الأشياء كائن لا كينونة محظور بها عليه ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها، ليس بقادر من قارنه ضدّ أو ساواه ند.

ليس عن الدهر قدمه ولا بالناحية أممه، احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار. وعمن في السماء احتجابه كمن في الأرض، قربه كرامته وبعده إهانتته، لا يحله في ولا توقّته إذ ولا توأمه إن. علو من غير توقل، ومجنيه من غير تنقل، يوجد المفقود ويفقد الموجود ولا تجتمع لغيره الصفتان في وقت. يصيب الفكر منه الإيمان به موجوداً ووجود الإيمان لا وجود صفة. به توصف الصفات لا بها

يُوصف، وبه تُعرف المعارف لا بها يُعرف، فذلك الله لا سمي له سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

بهذه الكلمات النورانية يعبر(عليه السلام) عن نظرة العاشق المحبّ إلى معشوقه بكمال توحيده والإخلاص له سبحانه في ذلك. فالإمام (عليه السلام) وهو سبط الهدى وابن المرتضى نهل من دررهم الشريفة ويفتح للناس طريق العلم بالله إنه طريق العشق الذي سلكه (عليه السلام) وسلكه قبله جده وأبوه عليهم الصلاة والسلام أجمعين فمن ذا الذي يعرف دقائق التوحيد ومن ذا الذي يسلك سبله الدقيقة لو لم يكن أهلاً لهذا السلوك؟

وله (عليه السلام) كلام في مسيره إلى كربلاء، ذلك أنه اختار عليه المكانة الأسمى والأشرف ورفض ذل الدنيا ودناياها يقول (عليه السلام):

«إن هذه الدنيا قد تغيرت وتكرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صُباة كصباية الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا ينتهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً. إن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على أسنتهم يحوطونه ما درت معانثهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون».

نعم إن الإمام الحسين(عليه السلام) يميّز الحقّ من الباطل ويعلم ميل الناس إلى الباطل تحقيقاً لأهوائهم والدين بالنسبة اليهم مجرد كلام. يقال لقد رغب(عليه السلام) عن الدنيا ولجأ إلى خالقها، والموت بالنسبة إليه أحبّ من العيش في دنيا لا كرامة فيها للمؤمن ذلك أنه لا يرضى الذل لنفسه، ولا لمن يحب وهو عند الله أرفع مكاناً وأجل شأنًا، وهذا كلام الواثق بالله المستيقن من حقيقته، وهو على نور وثقة من ربّه فلا يحزنه فراق الدنيا ولا يخشى لقاء الحبيب لأنّ في لقائه راحة من كل شر في هذه الدنيا.

وفي كلام له (عليه السلام) لرجل اغتاب عنده رجلاً: «يا هذا كفّ عن الغيبة فإنها أدام كلاب النار». وكلامه هذا بغض لهذه الصفة السيئة المكروهة في الناس والتي تؤدي بصاحبها إلى مهاوي النار فعشقه لله يجعله حريصاً على نشر الأخلاق الكريمة ودم الأخلاق الفاسدة.

وله كلام (عليه السلام) عن المعروف يؤمل به صاحبه ولا يفقد الأمل في ضياعه، يقول (عليه السلام) لرجل قال عنده: إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع، فقال الحسين(عليه السلام): ليس كذلك، ولكن تكون الضيعة مثل وابل المطر يصيب بالبر والفاجر».

ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يمسك رحمته عن أحد فرحمته تصيب البر والفاجر وكلامه(عليه السلام) هنا ترغيب للناس حتى لا يبيأسوا من فعل الخير.

وله (عليه السلام) حكم ومواعظ وخطب كثيرة، وكلها تؤذن بحب الله وعشقه وسبيل إلى مرضاته.

وإذا كانت أقواله (عليه السلام) تشير إلى عمق عشقه للباري عزّ وجلّ فإن لأفعاله الدليل الدامغ على اقتران أقواله بأفعاله كيف لا؟ أليس هو القدوة والهادي؟ أليس بهذه الروح الصافية والأنفة العالية يقبل على مواجهة الخطر وهو راض بقضاء الله ساخط على الدنيا التي لا عيش له فيها بلا عزة وكرامة؟ لقد كانت الفتنة العمياء سبباً واضحاً في انتفاضة الحسين (عليه السلام) وثورته على الظلم والاضطهاد وليس هذا فحسب، بل رفض قاطعاً لكل مغريات الدنيا مقابل الفوز برضى الله الواحد الأحد.

لذلك كان لا بد للحسين (عليه السلام) من وسيلة صارخة يستنهض بها الهمم ويحرك فيها الضمير والوجدان الإنساني على مرّ التاريخ، وينبه الغافلين من غفلتهم لعلمهم يرعون عن غيهم وضلالهم وذلك عملاً بالآية الكريمة:

(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال).

لقد اختار مولانا الإمام الحسين (عليه السلام) الحق ليبقى للناس نبزاً ووقدوة وموعظة ما دامت تشرق الشمس كل صباح. لقد كانت وسيلة الإمام الحسين (عليه السلام) الوحيدة هي تبليغ رسالته للبشرية جمعاء بلون الدم وعملاً منه (عليه السلام) بقوله تعالى: (الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله).

لقد كان الفداء بالدم وبذل الروح في سبيل الله من أعظم سمات العشق عند الإمام الحسين (عليه السلام) فهو لم يرض بمجرد الكلام تعبيراً عن الرفض ولم يكتف بالمقاومة العادية بل أرادها معركة حياة أو موت في سبيل نصرة الحق فأما حياة آمنة مطمئنة في ظل الإسلام الحنيف، إسلام جده وأبيه عليهما أفضل الصلاة والسلام وإما موت مشرف في ظل العزة والكرامة وفي سبيل الله.

ولكن الحسين (عليه السلام) كونه إماماً لم يعدم الوسائل التبليغية الممكنة التي يستنهض بها الهمم. إذ ترك المدينة مع آل بيته (عليهم السلام) متوجهاً إلى الحرم لا رغبة في الاحتماء بحرم الله الآمن ولكن كان آنذاك موسم الحج ثم غادر الحرم قبل حلول العيد متوجهاً إلى كربلاء وهذا نوع من التبليغ يريد به أن يلفت نظر الناس الذين تجمعوا لأداء فريضة الحج من كل حدب وصوب إلى أنه (عليه السلام) تآثر على الظلم ناهض في وجه الطغيان. إنه بموقفه هذا يبين احتجاجه ونقده وعدم رضاه بهذه

الوسيلة وبهذا الشكل، فهو (عليه السلام) يريد القول بأن الكعبة التي صارت مسخرة لبني أمية وأن الحج الذي يديره ويشرف عليه يزيد لم يعد فيه فائدة للمسلمين. إن هذا الإعراض عن الكعبة وعن أعمال الحج في مثل تلك المناسبة والقول فيما بعد بأنه أعرض عن الحج لأنه ذاهب إلى الجهاد وفي سبيل رضى الله وإنه أعرض عن الحج لأنه أراد التوجه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهو عمل بالغ الأهمية.

وبالرغم من تحذير الناس له بعدم قيامه بهذه الرحلة إلى كربلاء وبأن هذه الرحلة ليست من مصلحة الإمام (عليه السلام) ولا من مصلحة آل بيته (عليهم السلام) لكنه (عليه السلام) كان يعلم النتيجة مسبقاً ويدرك أن رحلته هذه هي رحلة الدم الزكي الذي سيراق في سبيل الله وسيبقى على مر التاريخ فخراً مضيئاً لكل من يرفض الذل والهوان ويرجو الله في كل مساعيه.

لقد كان (عليه السلام) في رحلته إلى الشهادة ينثر الأخلاق الإسلامية الكريمة من التواضع والمحبة والرفق واللين والحنو على كل من حوله، وبلغ به الرفق سقاية جيش عدوه الماء وسقاية خيله.

وكان موقفه مع أصحابه ليلة عاشوراء أن دعاهم إلى مفارقتهم لأن القوم يطلبونه وحده لكن أصحابه الميامين رفضوا التخلي عنه ورغبوا في الدفاع عنه والموت بين يديه لعلمهم الأكيد بمقامه الشريف ومكانته السامية.

ولم يكن نداؤه (عليه السلام) مستنصراً للناس رغبة في إخراجهم مما هو فيه بل لتزويد نسبة الدم المراق على أرض كربلاء لتبقى دائماً وأبداً رسالة عشق لله وفي سبيل الله. وبعد أن استشهد أصحابه وشباب آل بيته (عليهم السلام) حمل طفله الرضيع بين يديه وإذ ذاك أصاب الطفل سهم في نحره فوضع يديه تحت نحره ورمى بالدم المراق إلى السماء وقال (عليه السلام): «هون عليّ أنه بعين الله» حتى الطفولة البريئة شاركت في معركة الدم والشهادة.

ولما لم يبق سواه (عليه السلام) وقد نال منه الغوغاء منالاً فأصابوه في مقتل - عظم الله لكم الأجر - وضع يده على الدم وصبغ به وجهه ورأسه وقال (عليه السلام): «هكذا ألقى وجه ربي مخضباً».

لقد أراد الحسين (عليه السلام) أن يكتب ملحمته بلون الدم ذلك أنه أكثر ثباتاً وأشد أثراً في النفوس وأعمق تأثيراً في القلوب. إن الدموع والأحزان التي ذرفت وتذرف على الإمام الحسين (عليه السلام) وعلى آله السلام وعلى أصحابه الأطهار رضى الله عنهم إنما تدل على هذا الحب الكامن في قلوب الناس الذين يتطلعون دائماً إلى عاشق مثل

الحسين(عليه السلام) يحول انفعالهم فيه إلى فعل من أفعال العشق الحقيقي ويترجم هذا
العشق عملياً لأننا اليوم أحوج مانكون إلى التبليغ بالدم في سبيل الله.
سببى الحسين(عليه السلام) مدى الدهر العاشق الذي صبغ عشقه بلون الدم ليبقى
للبشرية جمعاء منارة حب للإسلام والمسلمين.
والحمد لله رب العالمين.

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

وقفة العزّ

م. كوثر شاهين

وقفه العزّ

يقول ابن أبي الحديد: هو سيد الإبياء الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال
السيوف اختياراً له على الدنيا.

يقول الإمام الخميني (طيب الله ثراه): ان كل ما لدينا من عاشوراء.
ويقول الإمام الحسين (عليه السلام): «والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار
العبيد».

يقول الحسين (عليه السلام): «ليس شأني شأن من يخاف الموت، ما أهون الموت عليّ في سبيل
نيل العزّ وإحقاق الحق»!

قف كالحسين مُخلداً تتوقد *** كالشمس تعطي للأنام وتسجدُ
لله، قلبك واجفٌ متذلل *** خوفاً وفي وجه البسيطة ترعدُ
فقف كالحسين الطهر يوم مُحرم *** والنارُ تأكل بالهشيم وتقعُدُ
من كل ناحية عدوّ قادمٌ *** مستكلب للنهش ناباً يرصدُ
والسبط يدعو بالصلاة كأنما *** (يا نارُ برداً) قال ربُّ يُعبدُ
هو مثلُ إبراهيم لم يرهبه منْ *** أعداء دين الله حقداً يحشدُ
(يا نارُ كوني) والحراب كأنها *** ودقّ السحائب والردى يتصيدُ
في قلب موت، واقف كالطود ما *** نفس تهاب الموت فهو السيّد
والحق في كف، وكف صامد *** والعزّ في صدر العلا يتصعدُ
فهو الخلود هو الحياة كريمة *** وهو البقاء هو الوجود الأوحُدُ
ما الموت إلاّ الذلّ قال مؤكداً *** سبط النبي ومرشداً من يخلدُ
هيهات ما بالموت خوفٌ للفتى *** خابت ظنون والحقيقة ترشدُ
طاشت سهام البغي عند مهند *** والليل أفس بالظلامه يعقدُ
ماذا أبعد الموت موت قاتل *** فلتنصفر الريح الخواء وتزبدُ
فلتقتلوا جسداً فأهلاً مرحباً *** من أجل دين الله قلباً واليدُ
لن تبلغوا قتل الفضيلة والتقى *** أو هدم مجد فالبناء مخلدُ
أو محو عزّ شاء ربي عزّة *** أو خدش ما بين الضيا يتوقد
شرف النبوة ويحكم فينا ومن *** رب البرية فانظروا وترصدوا
كأس المنية زمزم في شربه *** عند الدنيا لو بجاه يعقد

والموت بالعز، الإباء هو الحياة *** والموت، ثوب الذل يأبى السيدُ
هيهات منّا ذلة بل سلة *** حين الوغى تدعو ونار توقدُ
ذاك الحسين ابن النبي محمد *** والخامس الطهر الذي يتعمدُ
أهل الكساء أهل المباهلة التي *** في أحرف القرآن كان الموعدُ
هم أهل بيت المصطفى هم عزّة *** هم أثقل الثقلين منهم تُرشدُ
فأقر الصلاة عليهم يا مؤمناً *** بالله واسجد سائلاً بك يصعدُ
حرف التوسل للإله بفضلهم *** عفو الإله ورحمة هي تزددُ
يا سيدي لله أرجو ضارِعاً *** فيكم لربي استجير واسعدُ
بالحرف منكم بالشهادة خلفكم *** بالدرب بالنهج الذي يتخذُ
يا ابن البتول بك الكرامة أوجدت *** والعزّ منك وللدنا يتوقدُ
علمتنا كيف الحياة بعزة *** علمتنا درب الشهادة نصعدُ
فاشهد لنا خير الموالاتة التي *** بالروح نسلك بالعقيدة نوجد

يا ابن النبي أيا حسين (عليه السلام)

القوة الخرقاء إذ تتكلم *** والبغي والبهتان حين يترجمُ
فالحق يزهب في أتون منافق *** صيل وباطله الفسوق يرثمُ
أوليس في هذا انحسارٌ للرؤى *** وتراجع الأخلاق وهي الأقومُ
أوليس دحرٌ للمبادئ كلها *** ولما بها كتب السماء تعلمُ
يا أيها التاريخ فانظر حقبة *** دالت وأقواماً كفرعون همُ
داسوا العدالة وانتحوا في رقعة *** غص البلاء بها فصارت تزحمُ
وكأنما جاءت لقارة الرؤى *** أنهار نار دققها وجهنم
إذ للعراق أتى الغزاة وقبلهم *** للطف جاءوا بالجيوش تقحموا
آلاف آلاف تقاطر جمعهم *** والطف صارت بالدماء تتحممُ
قتلت جيوش الفاسقين طهارة *** قتلوا الضيا والنور، فاز الأظلمُ
قتلوا ابن بنت محمد بمحرم *** ومن الشهور هو المحرم يحرمُ
وتقاطر الباغون جاءوا همهم *** نطف العراق بقاصفات ترجمُ
ولكربلاء جاءت فسوق جيوشهم *** مثل الذي قبلاً لها هم أقدموا
قدم الحسين مخارز بعيونهم *** وتراب قبره ويحهم يتكلمُ

أمراً بمعروف ونهياً مطلقاً *** عن منكر هو ذا الشاعر الأعظم
 ويل الغزاة المعتدين يلفهم *** رعب من النار التي تتضرمُ
 فإذا هي البركان يغلي ثورة *** وإذا بها نبض الحسين يترجمُ
 كم دولة والت وكم من ظالم *** ظن التراب لخوفه يتضرمُ
 كم حاولت أسيافهم وخيولهم *** هدم المقام وويلهم لم يغنموا
 فالحق رمزه بالحسين ومن قضاوا *** بحراب ظلام وكلّ أرقمُ
 شاءوا بنهش للثرى وعيونهم *** سكرى ورعب حذاقها يتأثمُ
 المجرمون القاتلون صنوفهم *** في كل أزمان تخط وترسمُ
 وطريقها أبداً لطف علها *** تظفي سراج الحق، ضل بها الفمُ
 فالنور باق، من حسين شعاعه *** لن ينظفي أبداً وذاك المغنمُ
 قال الخميني: انتصرنا.. نصرنا *** من ثورة الطف التي تتضرم
 ويقولها الهندي علمني أنا *** ذاك (الحسين) وكيف لي أنظلمُ^(٤٠٧)
 لأفوز في ظلمي وليس بجعبتي *** سيف يقط ولا حراب تلجمُ
 سيف الأباة كما السبايا ركبهم *** ورؤوس آل البيت، وهي الأنجمُ
 فوق الحراب دم يسيل وثورة *** في كل قلب كالعواصف ترزمُ
 ظن البغاة النصر يقطف كفهم *** ظنوا وفي غمه وفيه أقدموا
 والله يرقب ما تجيش نفوسهم *** وبما بليل للبغاة يجمجمُ
 كادوا وكيد الله يظفي نارهم *** وبمكرهم يرمي لهم كي يالموا
 فانه يمهلمهم ويجمع كيدهم *** ليكون عبرة كل باغ يظلمُ
 جاءوا وعاشوراء ترقب جمعهم *** والله فوقهم يكيل ويرجمُ
 وبقصفهم نحو الأوابد قد رجوا *** مسحاً لتاريخ وحرقاً يعدمُ
 صبراً فكيد الظالمين بنحرهم *** لو مهما يطول الليل صبح يقدمُ
 وتدول دولة الظالمين وكم مضت *** أمم وفرعون بها يتخرمُ
 كم صيغ نيرون وكم روما بها *** حرق الطغاة أديمها، تنبرعمُ
 ومحرم فيه الشواهد كلها *** عما يسوق به البغي الأجرمُ
 نيرون روما، بوش، سوّد وجهه *** بغداد ويحه للغزاة جهنمُ
 أرض العراق بها السلام بمن بها *** طهرَ التراب وصار شعراً يلهمُ
 فاسحب جيوشك قبل نار جهنم *** نُصلي وقبل النار فيهم تضرمُ
 فانه يحمي للعراق ترابه *** ولجحفل الغازين موتاً يبرم
 والله يسقط فوقهم كِسْفَ اللظى *** طيراً أبابيل عليهم تلطمُ

يا سيدي يامن بطف الكربلا *** أنت الضمير بكل قلب يفعمُ
يا بن النبي أيا حسين أمدها *** روعي إليكم تستجير وتقسمُ
تفدي ترابكم الطهور وترتجي *** بالحشر في ظل لكم تتوسم
وتمد كفاً بالدعاء مخضباً *** يا سيدي فعراق نور يرجمُ
بقنابل أطنانها هدمٌ بها *** وقنابل هي بانشطار ينجمُ
يا سيدي في كل طفل، نازلٌ *** سهم لموت أو لبيتر يغنمُ
قدم الطفولة صار أنهاراً بها *** تسقى الرمال وللعواسل يقدمُ
في كل شبر من عراق نارهم *** تصلي الثرى، وذرى النخيل بها الدم
القاصفات كأنهنّ صواعق *** جمعت بها النيران جمعاً ترسمُ
وبكوفة يستصرخ الأطفال من *** في تربها مسجىً بسيفه يقحمُ
طرداً لشرار الغزاة ورجسهم *** ولنصرة المستضعفين ومن همُ
الله يشكون الظلام بحيفهم *** والغاصب المحتل فيهم يجرمُ
يا سيّد العدل استعاذوا باسمكم *** واستنصروا رباً كريماً يرحمُ
نادوا حسيناً والطفوف يجوسها *** قوم غزاة والحراب جهنمُ
فاقوا المغول وكل جبت قاتل *** بجرائم، الوحش فيها الأرحمُ
نادوا حسيناً، يا حسين ويا علي *** وتقحموا، صدّ البغاة وأقسموا
يسقون للطف الدماء نجيعهم *** يروي الثرى ودم الشهيد يترجمُ
وتوسلوا الله القدير باسمكم *** يحمي العراق ثرىً وطفلاً أيتموا
وتوسلت تلك البواسق ربها *** طلعاً نضيداً من أسىً يسترحمُ
يا سيدي بالبن النبي المصطفى *** قم أيها الفادي فخصمك يغنمُ
جاءوا لقتل الأبرياء بكربلا *** بالطف بالنجف الشريف وأضرموا
يا صاحب الزمن المخلص أمة *** جننا بحق الله خلفك نُعصمُ
مستشهدين وراء خطوك نرتجي *** نصرأ لدين الله بالدم نبرم

خرج الحسين (عليه السلام) لأجل دين محمد (صلى الله عليه وآله)

هات اسقها غيث المدامع ديمة *** أرض الطفوف ففي الطفوف ظمأ
هم قد قضاوا نحباً بشط فرائها *** وفرائها هو للأنام سقاء
تلج البهائم شاطئيه وصفة *** والطير والأنعام والأحياء
وعلى ابن بنت محمد وبنيه *** حُرْمٌ عليهم قيل ذاك الماء
والهفتاه لفتية زغبٌ بهم *** من حر رمضاء يجيش بكاء
والسيد العباس يحمل قربة *** خويت ومن حلق يضج نداء
* * *

آه.. وإذ تبكي الرباب رضيعها *** والى السماء من الصغير دماء
نزف الوريد من الفؤاد بحفنة *** بيد الحسين أبيه وهو فداء
سهم بقلب الطفل راشه فاسق *** والأرض مادت والعيون سماء
ومن القماط يديه صار مرفرفاً *** والرأس أحنى والوجود خواء
والحرف صار على الزمان كراية *** للظلم مشرعة بها الأرزاء
في قتل آل محمد... ومحمد *** يبكي الحسين لما به الأعداء
لم يكتفوا بالقتل بل حزوا له *** رأساً، فسالت من دماه دماء
* * *

كانت شرايين الحسين بأحمد *** نبض بها والروح والإحياء
فدم الحسين دمي يقول محمد *** ويقول لحمي لحمه وكساء
ذبحوه والهفي كشاة في الفلا *** في غربة قُلت بها الأحياء
إلا من الوحش الذي في رهبة *** تبكي بكاء الثاكلات عواء
وعواسلٌ ضجت بمعترك الحشا *** هابت وجوع صارخ ونداء
والقوم ويلهم سبوا في عترة *** آل النبي وهم بها غرباء
يا كربلاء ويا تراب الطف قم *** فاعصف بنائبة هي البلواء
هل بعد قتل ابن النبي مصيبة *** هل بعد سبي الطاهرات بلاء
هل بعد عاشوراء يُغفر ذنب من *** هي قد أقلت فوقها الغبراء
راشوه سوء حرابهم ونبالهم *** والخيل تحتهم كما الأرزاء
ساقوا بها الآلاف تبغي فتية *** طهراً كراماً والدماء سخاء

من عترة المختار طه المصطفى *** من هُم بنورهم اهتدت بطحاء
أبناء خير الخلق خلف إمامهم *** فحسين سيدهم به العلياء
وصحابه الخُلصاء كل قد بدا *** والروح في كف بها الأنبياء
ساقط رياح البيد ريح دمائهم *** فاستقبلتها من عل جوزاء
حملت لأقطاب الوجود نداءها *** حرف الحسين به استقى الشرفاء
حرفاً كما المستضعفون ملاذهم *** ذاك الإباء ووقفه شماء
* * *

نَصَرَ الحسين محمداً... بدمائه *** فغدت هي القربان وهي فداء
يا دين أحمد يا رسالة ربه *** يا كوكبة أفلت به الظلماء
شع الحسين بكل قلب دافقاً *** فاذا الحرارة في الدماء دماء
وإذ الحسين بكل وقفة عزة *** متمثلاً نوراً به الأرجاء
قتلوا الحسين وساق فيهم ظنهم *** قتلُ الشريعة إذ بدت عمياء
تلك العيون الفاغرات كأنها *** أفواه حيتان، وجف الماء
ساقوا لأشأم من عليها ركبهم *** بتجارة يا بخسه المشاء
بحرائر للمصطفى.. يبيغونها *** غيث المطامع سلبيهم ورداء
ظنوا.. وعين الله ترقب فعلهم *** بُشراهم بالسوء ذاك جزاء
فإنه ليس بغافل إن مدّهم *** قد شاء أمراً والأمر خفاء
* * *

تلك المشيئة والحسين قد ارتقى *** ودم الحسين على السماء سماء
ونداء زينب (يا أختي) قد مشى *** في العالمين كما يسيل الماء
والقربة الملقى وإن هي حُطمت *** مازال فيها صارخٌ ونداء
إيه أباالفضل الذي في محنة *** للكرب تكشف إن همت أنواء
قطعوايديك لكي تصير كجعفر الط *** يار في رحب الجنان، وباعوا
يا سيدي، خزيُّ بهم بألوفهم *** تلك التي ملئت بها البطحاء
* * *

أي يا حسين وما أقول وأدعي *** قطرُ السحائب شهقة ونداء
تبكيك روعي والفؤاد ومقلة *** تبكي السبايا، إذ بدت حوراء
تلك العقيلة زينب وهي التي *** من خيرة الآباء كان نقاء
نادت أخي والرأس حزه (شمر) *** ودم الحسين على الهلال ضياء

إذ جاءها فرس الحسين مُعفراً *** وجهاً دماً يحكي به الإيماءُ
وكأثماً حزن البرية حافها *** والدمع جف، وحشرج البلغاءُ
والحرفُ زلزل من فداحة ماجرى *** والعين سكرى والضلوع خواءُ
قتلوا حسيناً رضضوا أضلاعه *** بحوافر للخيل جاس بلاء
سلبوه أثماناً سراويلاً وإذ *** بالريح تسفو والرمال رداءُ
ضجت من الظلم العواصف والنرى *** ومضارب والأنجم الزهراءُ
* * *

خرج الحسين لأجل دين محمد *** يسقيه من دمه الطهور فداءُ
ما كان لا أشر ولا بطراً ولا *** يبغي لمُلك سامه الأعداءُ
خرج الحسين مدافعاً عن عزة *** وكرامة الإسلام، فهو نداءُ
قد شاء ربك يا حسين مرملاً *** يلقاك مقتولاً لك الرمضاء
داراً، وشاء لعنرة يلقاهم *** مثل السبايا، فوقها الغبراءُ
ذاك النداء من النبي لسبطه *** يا للغريب، وفي العراء سباءُ
* * *

إيه أزين العابدين ومقلتي *** سفحوا بها دمعي، ما باعوا
إلا من الله العلي بلعنة *** ترميهم الأجيال والبطحاءُ
فالنصر للدين الحنيف مؤزر *** الله أكبر إن فيه بقاءُ
مادام يرفع بالأذان نداءه *** والى الصلاة تقاطر وأداءُ
ذاك انتصار دم الحسين ورهطه *** نصراً على السيف الذي هم شاءوا
فحسين صار الرمز صارت كربلا *** ومحرم في خطبه الشعراءُ
تبكي الرزية أحرف وتحيطها *** وهجاً بنور للحسين يُضاءُ
في كل أقطاب الدنا هو مشعل *** للحق، وللمستضعفين نداءُ
للتائرين على الظلامه يؤقهم *** عزماً صموداً والثبات رداءُ
ويشد أزرهم، الهتافُ مجلجلاً *** يا كل يوم أنت عاشوراءُ
يا كل أرض كربلاء، فيا سما *** أنت اشهدي للحق نحن فداءُ
* * *

يا سيدي يا ابن النبي صلاتنا *** وسلامنا ودعاؤنا استهداءُ
وطريقنا للطف قلباً قالباً *** فهوأك في دمننا به استسقاءُ
يا سيد الشهداء يا ابن المرتضى *** إنا لنرجو الله حيث يشاءُ

في حشرنا معكم إلكم سىدى *** فى يوم حشر والعىون خواء
فلك السلام علىك ياابن المصطفى *** عداً يضىق بعده العلماء
وعلى الذىن قضاوا وأنت إمامهم *** مستشهىدىن ومن هم الأحاىء

يا حسين... يا أبار الأحرار

عوجا فإن بنا تفيضُ الأدمعُ *** والقلب يبكي والسحائب تهلعُ
فالأربعون غدت بها أيامها *** كالثاكلات وحيدهن تفجعُ
يا مرقلاً للطف تسفو آهة *** منك الحشاشة باللظى تتلوعُ
سُق مهجةً واسق اليراع أنينها *** وادفع بوامقة الصدور تجرعُ
فأنا وربك ألتجي في أضلع *** ضجت سحائبها بريح تسفعُ
ترمي بشهقات كشهب لواعج *** وتغيم أعينها كودق تفرعُ
تتكسر الأحداق بين شعابها *** ويتيه ليل والثواقب تنزعُ
والطيف لم تبرح دماه بدفئها *** في كل شريان تثور وتقلعُ
أمرأ بمعروف تموج بحارها *** لتقلّ في سفن النجاة وتشرعُ
في كل آونة بها مجذافها *** ولها من الرُّبان وهجاً يطلعُ
وتضجّ أقلام تخط دماؤها *** نصر الحقيقة، لا بسيف يقطعُ

* * *

أقدم أبا الأحرار سبط المصطفى *** يا سيد الشهداء فينا تزرعُ
أقدم فدنك الروح، نوراً هادياً *** فالحق منك شعاع نوره يطلعُ
من كربلاء المدُّ يُذكي ثورة *** لتطيح ظلماً والظلامه تدفعُ
حيث الأسنة والحراب يفلها *** صوّان صخر الحق فيها يصفعُ
جنت امتثال القلب يخفق فعله *** في قفر بادية بها أتطلعُ
والطف شدّت بي مراقد من هم *** خير البرية حين شمس تطلعُ
أستاف من ريح القبور ملاحماً *** وأصوغ من عقب الشهادة أترعُ
يا ثاويأ طي الترائب جسمه *** والروح في الأعلى إليك المفزعُ
يا ابن النبي، ابن الوصي وسبط من *** هو خير خلق الله جنتك اسرعُ
ودم عبط في السماء وأفقها *** وعلى البحار وتحت صخر يودعُ
لم تبك قبلاً لا السماء ولا الثرى *** إلا عليكم سيدي هي تصدعُ
والأنبياء، والأوصيا، وملائك *** وكذاك جن بعد أنس تدمعُ
والوحش والطير التي تحت السما *** وعواسل ناحت وليل يهجعُ
فاق المصاب بكم لكل مصيبة *** حتى الشمس لهولها تتصدعُ
حتى السماء قد أمطرت حزناً دماً *** لثلاث أيام عبيطاً يوجعُ

* * *

غضب الإله، وما لقابيل نحدق *** بالأفق حمرة وهجها تتجرعُ
غضب الإله لقتل سبط نبيه *** لدم الوريد على الثرى يتضوعُ
ولندب ثاكلة ينوح فؤادها *** من حزّ سكين البغيّ فتهرعُ
* * *

وحسين، نادت زينب أي يا أبة *** هذا الحسين مرضض ومُبضّعُ
يا ربّ قرباناً لدينك نرتجي *** فاقبل لنا القربان وحدك تسمعُ
وإذ البرية بالدماء تخضبت *** والشمس ناحت والكواكب تدمعُ
أي يا حسين أيا غريب الدار يا *** مظلوم، يا مذبح إنني أضرعُ
أسقي ثراكم سيدي من خافقي *** قطراً يُبلّ به الفؤاد الموجعُ
يا جذوة في كل قلب خافق *** للظالمين النار فيهم تفرعُ
إن عاجلاً أو آجلاً أبشرْ بهم *** سوءاً بمنقلب بسوء قد سعوا
يا طغمة البغي التي أقطابها الـ *** دنيا بكم ساءت وساء المرجعُ
ناداكم ابن المصطفى رفقا بكم *** وإذا الجواب بكل حقد يطلعُ
بسهامكم وسيوفكم وحوافرُ *** للخيل، ثم بحزّ رأس، يضرعُ
كي لا تبوءوا بالجحيم بصنعمكم *** غضباً وسُحباً، ويحكم لم تسمعوا
وظننتم نصرأ جنيتم، لا ولا *** ألا هو الخسران فيكم يقبعُ
ناداكم ابن المصطفى إنني أنا *** من مهجة لنبيكم فلترجعوا
ما فوق سطح الأرض غيري شافعا *** أو ذا جزاء نبيكم بي تودّعوا
أوليس فيكم قارئ القرآن أم *** أن المودة قتلنا تتبضعوا
صمّ وعمي والقلوب تغلفت *** سوء الطوية واحتوتها الأضلعُ
لم يبق إلا الشر قائد ظعنها *** قتلاً وسفكاً وانتهاكاً تتبعُ
* * *

يا ابن النبي، الحق أنت شراعهُ *** يا طاهراً ومطهراً بك أضرعُ
يا خامساً تحت الكسا لو أظلمت *** تلك الدياجي فالضيا بك يطلعُ
أنت انبثاق لللقى، ردء الهدى *** أنت المنارة والمنار الأرفعُ
لولاك دين محمد يا سيدي *** أكلوا عليه وبالضلالة أترعوا
يا من نهضت لأجل عزة أحمد *** وكتاب رب منزل له تخشعُ
تحميه من فسق تزود حياضه *** عمن به استهزا ترد وتمنعُ
يا ابن النبي ومن دماه دماك في *** نسغ الوريد وأنت منه تبضعُ
يا ثورة الثورات ضدّ مظالم *** أنت الإبا وبك المشاعرُ ترضعُ
وبوقفة عزّت بحرف لغاتها *** منك النفوس كرامة لا تخضعُ

لك بالسلام مؤذن صلى الذي *** خمس بها والليل فيه الرُّكْعُ
بك كربلاء طهّرت ومنك تعظمت *** صلى الإله عليك، إني أضرعُ
وتلونكم نفسي وقلبي وامقُ *** أقري السلام عليكم، بي فاشفعوا

المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

ملحمة الحسين

جورج شكور / بيروت

ملحمة الحسين

على الضمير ذم كالتار موار *** إن يُذبح الحق، فالذباح كقار
دم «الحسين» سخي في شهادته *** ما ضاع هدرأ، به للهدى أنوار
وللشهادة طعم لم يذقه سوى *** الشم الألى أقسموا، إن يُظلموا ثاروا
قال الأئمة، وائتمت بهم أمم *** قال الخصوم، وصدق القول إصرار:
أما «لحسين» ربيب للنبي، أما *** نما له في فواد الجد إثيار؟
سماه ريحانة الشبان، حالية *** على الجنان، شذا الریحان معطار
وقبل الثغر يخبو روحه نسما *** كما تفوح في الأسحار أزهار
* * *

أما «الحسين» وريث «للعلي» فتى *** الفتیان، من نهجه في السر أسرار
وسيفه «ذو الفقار» الفدّ ذوشطب *** شهم التطلع فيما الغير غدار
خليفة المصطفى «يوم الغدير»، وقد *** أتاه م الغيب: بلغ أنت تختار
فقال: من كنت مولاه، علي له *** مولى، وبائع بالآلاف حصار
* * *

أكبرت عن أدمعي يوم الحسين، *** وللشهادة البكر أعراس وإكبار
في ثوبه احتشدت دنيا، وقد نهضت *** أحلام أمته إذ ضج إنذار
هذا «يزيد» دعي الحكم ينذره *** وهل يُبائع بالأحكام فجار
رد «الحسين» بـ«لا» كالسيف صارمة *** وسيّد الحق بـ«اللاءات» زأر
سمعت جدّي رسول الله حرّمها *** فلا خلافة في «سفيان» نُشّار
المبدأ الحرُّ سرُّ لا أدنسه *** مقدس، وحمأه السرُّ أحرار
* * *

حار «الوليد» فما غدر الحسين سوى *** غدر برأس، به يستكبر الغار
خسرت ديني وجنات النعيم إذا *** خسرت، ما أنا، والله، جزار
إن لم يُبائع، فلا إثم، ولا جرّم *** ولا جناح عليه، الحرُّ جبار
* * *

سار «الحسين» الى ثرب النبي ثقي *** مُستلهما سرّة للقبر إسرار

صلى ملياً، فأغفى، راودته رؤى *** أن جدّه قال، ما في القول إضمارُ
إني أراك ذبيح «الطفّ» مُنطحاً *** في «كربلاء»، ومنك الدّم فوارُ
ضمان، ويملك، لا تُسقى، وهم بهم *** الى شفاعتي السّمحاء أوطار
يرجونها لا، وربّي لن أجود بها *** يوم القيامة، لا، لم ينج أشرارُ
أقدم «حسين» حبيبي، أهلك اشتعلوا *** شوقاً إليك، غدا للشوق أبصارُ
مدارج الجنّة العُليا توزّعها *** روح الشهيد، وأبرارُ وأطهارُ
قال «الحسين»: «مشيناهاخطى كُتبت» *** الى الجهاد، وإلا هدّنا العارُ
نحن النّسور، سماء الله مسرحنا *** أرواحنا فوق، إن ضاقت بنا الدّارُ
* * *

مضى الى مكة البطحاء معتزماً *** لم يثنه ناصح، لم تُجدِ أعدارُ
«لا خارجاً أشرأ، ولا مُفسداً بطراً» *** بل هم أمّته في البال دوّار
* * *

من العراق أتته الكُتب، قائلة: *** إنا فداك، فأقدم نحن أنصار
سرى «الحسين» بركب لا يُمائله *** ركب، فكيف التقت شمسو أقمارُ
وظلّ يستطلع الأخبار مُبتهجاً *** حتى أتته بما لم يهو أخبار:
قلوبهم معه في السرّ خافقة *** عليه أسيافهم في الجهر جُهارُ
* * *

دَرى «يزيد» بما دار الزّمان به *** فدار منه على الثّوار سمسارُ
هذا يعلّله بالمُغريات، وذا *** بالمُرهبات، وجيش الجور جرّارُ
نُشرى شعوبٌ إذاجاعت، وإن جزعت *** فالظلم مرتهبٌ، والمالُ غرّارُ
لكنّما شهداء الحقّ من كبر *** والشامخُ الحرُّ لا يُغريه دينارُ
يا «كربلاء»، أنت الكرب مُبتلياً *** وأنت جرحٌ على الأيام نَعّارُ
لا، لا، وثيقة حق أنت شاهدة *** أن في الخليقة أشرارُ وأخيارُ
وجولة البُطل، إن طالت، لها أجلٌ *** والحق، جولته في الدهر أدهارُ
كل الزّعامات، إن شيدت على ظلم *** كالبُطل وُلّت، وصرح الظلم ينهارُ
ووحدها نسّمات الرّوح باقية *** على الزّمان، كأن العمر أعمارُ
يا «كربلاء»، لديك الخسرُ منتصرٌ *** والنصر مُنكسر، والعدلُ معيارُ
وفيك قبرٌ غدت تحلو محجته *** يهفو إليه من الأقطار زوّارُ
فأين قبرُ «يزيد» من يلمّ به *** غير الثّراب، وفوق الثّرب أحجارُ

* * *

يوم «الحسين» بك الأيام شامخة *** وقد تشابه في التاريخ أدوارُ
ذكرتني كأس سمّ راح يجرعها *** «سقراط» حرّاً، ولم تأسره أفكارُ
ذكرتني رأس «يوحنا» به حلمت *** إحدى العواهر، والظلام عُهارُ
ذكرتني «يسوع» الحقّ، مرتفعاً *** على الصليب، وفي كفيه مسمارُ
ظمان قبلك لا يُسقى، وإن كرموا *** أنا عليه، فكم في الخلّ إمرارُ
إنّ العقائد ما هانت، وما وهنت *** وإن أحاط بها خطب وأخطارُ

* * *

زَيْن الشّباب، لكم تهواك أشعارُ *** وفيك تحلو أحاديث وأسمارُ
في «كربلاء» سكبت العُمر ملحمة *** بالدم خُطت، وخُطت عنك أسفارُ
رامحتهم، وصهيل الخيل حممة *** سايفتهم، وصليل السيف بئارُ
ضجّت لهيبتك الصحراء مجفلة *** كأنما هبّ في الصحراء إعمارُ
لكن هويت، وما في الأفق كوكبة *** إلا عليك بكت، والدمعُ مدارُ
لم تكمل الشّوط لكن ظلّ ملتفتاً *** الى مثالك في الفُرسان مضمارُ
قد جدّ رأسك بالأسياف، واقتطعت *** رؤوس قومك، قلب الحقد قهارُ
يا ويجهنّ على الأرماع، دامية *** تخالها النخل، لاحت منه أثمارُ
والنّائحات بهن آلاه لاهبة *** خدودهنّ، عليها الدمع حقارُ
رقت لهنّ دروب البيد، باكية *** ونكست رأسها في الدوّ أديارُ
حتى بلغن بلاط البغي، وانكشفت *** عن غي غاصبه الجزار أستارُ
رأس «الحسين» به تلهو بمخصرة *** كفا «يزيد» كأن لم يشفه ثارُ

* * *

غبن البطولة، آه، زينب هتفت *** ترمي الكلام كما تصطك أشفارُ
أو كالرّماح، وقد حرّت بها حُمم *** أو كالسهام إذا ما شدّ أوتارُ
ترنو لرأس أخيها، الطرف منكسر *** الى «يزيد»، بها للطرف أظفارُ
ولهي، وتهتف: ما للبطل مجترئاً *** قوتلت، بطلّ، وما أقساك، أقدارُ
مهلاً، «يزيد» ولا تغررك منزلة *** كل الطغاة، إذا عدّوا لأصفارُ
الى خطابك قد ألجئت مرغمة *** صغار قدرك لم يكبره إنكارُ
استعظم الأمر أن آتي مُقرعة: *** قد رُمّتهم مغنماً، من مغرم صاروا
تكيد كيدك تسعى السّعي مُزدهياً *** وحول عنقك كالحيات أوزارُ

تشرى الضمائر، لكن ظلّ مُدَكِّراً *** لا تنسها، ما لأهل البيت أسعارُ
لا لن تميت لنا وحيّاً ولا نسباً *** باق لنا في قلوب الحب تذكّارُ
نهزّ عرشك في الجلى نُزلزله *** لنا النعيم، لك الويلات والنارُ

* * *

يوم «الحسين» هم الأحفاد أنهارُ *** في العالمين، لهم دفق وتيّارُ
مذ ضيم لبنان، واغترّ الغزاة به *** كانوا الفداء، وردّ الأرض ثوارُ
وردّوا قوله، والدهر ردّها: *** ما ضاع حقّ به صكّ وإقرارُ
«القدس» عاصمة في الأرض قائمة *** وفي السماء لها بالروح إعمارُ

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

اسماء ليقظة الدم

عبدالفتاح قلعة جي

اسماء ليقظة الدم

هي أسماء
توقظ في الظلمات
هي أسماء ربانية
وقناديل ضياء
تمطر نعمى
في أفئدة
ظمأى للأنوار الرحمانية
هي أسماء
من نور وهداية
تحمل في درب الدعوة والتوحيد الأسمى
شعلة فكرة
ويقيناً متقدماً
جمرة
لا تنطفئ الفكرة
لا ينطفئ الصوت الآتي
من ملكوت الروح الأعلى
الساري في جسد الأرض
الماء يسافر في الذرات
يغيب.. يغيب طويلاً
ثم يعود إلينا خصباً
شوقاً للزمن الأخضر
هي أسماء
تبني صرح الإسلام الأنور
وتزغرد في أحرفها
أعراس الدم

يتنفس فجر
في أفق الزمن الجهم
غافية الأرض الحبلى بالوعد
يوقظها النور الأسمى
ترعش بالخصب
يتعنقد في دمها الدرب
تتقياً سدره مرضاة الرب
إني أبصرها
رغم الدمع
ورغم الظلم
ورغم الدم
رغم خوارج هذا الوقت
الخارج من غمده
ينبهها الصدع
ويقلقها القرع
أبصرها تتعنقد
في دالية الهول الأسود
وتطيب عصارته
للناهل من دنّ الحق
هي أسماء
وحسين سيدها
ودماء
تستيقظ في غلس الصباح
تسأل عن ذنب سفحت من أجله
«ألا إن مثل آل محمد كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم طلع نجم».
هم النجوم سماء الحق مطلعهم *** هم الحياة لمن يحيا بلا أمل
فإن خوت أنجم منهم فقد طلعت *** من جرحهم ثورة الإسلام بالحلل
تبكي السماء عليهم إذ ترى دمهم *** على الشهادة بين النطع والأسل
في بغداد دماء

ودموع في كابل
والشام على فلك المحنة
في بحر من كبريت ودخان
تبحر
ورياح الزمن الأمريكي الأسود
تعصف بالشيطان وبالربان
والدجال الوالغ في الدم
يزحف بالغسق الواقب والموت
والصوت النبوي الآتي من ملكوت الحق
يصلصل:

«ويل للعرب من شر قد اقترب»!
بمن أعوذ وهاهم شر ما خلقا استعمروا الأرض، سدوا النور والطرقا
ويجلجل صوت أبي عبدالله
منداحاً في عتم الموج اللجي
وليل المحنة

(قل أعوذ برب الفلق* من شر ما خلق)

نحن تراث التقوى
في أزمان البلوى
نحن الأسماء
نلقي في حمأ الظلمات النور
ونعوذ برب الضعفاء
من شر الفكر الغسقي الواقب
بدعاوى الإرهاب
ودعاوى العولمة الظلمانية
مما تنفته في عقد الموت
حبال الصورة / والصوت / الكلمة
في أجواز فضاء
هذا زمن الشدة
زمن ملعون

تمطرنا فيه قرون الشيطان
وخفافيش الإرهاب الدولي
حمضاً ونحاساً ودخان
أيها المسافر في الزمن الزنيم
الى أربعين الشهادة والشهيد
حافياً إلا من سعيك الفينان
عاريّاً إلا من حبة الأشجان
صادياً إلا من منهل القرآن
جائعاً إلا من أرغفة الإيمان
أيها المسافر
أرغف النظر
على شاطئ دجلة

حجر دام، وأشلاء جثة مزرجة، وطفلة تترف، امتدت ضفائرها من تطوان الى
بغداد، ودموعها تنداح في مياه النهر والآبار، حتى ليحس سيّافوها بطعم الملوحة وهم
يحتسون قهوة الصباح على شرفات المنازل في واشنطن.

ويل لمن لا يحس بطعم الملوحة الدمعية
ويل لمن ألهاهم التكاثر والتفاخر
بالزمن الأمريكي الأسود
مسحت الطفلة وجه أبيها المزرج وراحت تبحث بعينيها عن بقية أشلائه وقالت:
هذا أبي

لا.. لن تجف
ستظل للشعراء قافية
وللمستضعفين اليوم زهرة عاشق
في صدر تائر
هذا أبي

سأظل أجمع فجاج الأرض
من غضب الدما أشلاءه
وأظل أرقاً بالدموع جراحه
حتى يعود من الشهادة للحياة

يسير في ركب انتصار الحق
يزرع زنبقاً للعدل
في ترب النفوس
يهز جذع البغي
حتى يسقط العرش الزنيم
بكل طاغوت وجائر

* * *

أيها المسافر في الزمن الزنيم
الى أربعين الشهادة والشهيد
أرغف النظر
على شاطئ فرات
طفل مخرج بالدم والحزن
يحمل في كيس أسود
ما جمع من أشلاء أمّ عصف بها القصف
ليدفنها على الشاطئ الآخر قرب جدّها أبي عبدالله
حتى إذا لاحت مركبة أمير الكلام والبيان مقبلة قال:
يا أمير الكلام، أما لهذا الكرب من نهاية؟
قال أمير البيان:

يا بني: «أين العمالقة وأبناء العمالقة؟ أين الفراعنة وأبناء
الفراعنة؟»

يا بني: أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين، وأخفوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن
الجبارين؟»

يا بني: «لو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل منهما مخرجاً؟».

يا بني: «من يتقى الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم».

يا بني: «لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل».

فحص أمير الكلام الزمن الغارق في ظلمات الآتي، أبصر، ماذا أبصر؟ قال:

«فتن كقطع الليل، لا تقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية، تأتيكم مزمولة مرحولة يحفزها قائدها،

ويجهدا ركبها، أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم.

يجاهدكم في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون.
فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نعم الله لا رهج له ولا حس، وسيبتلى أهلك بالموت
الأحمر، والجوع الأعبى.

ويل لك يا بصرة الإسلام
ويل للعرب من شر قد اقترب
لكن
يا بني، لا تيأسنّ...
مهما اغتسق الليل
مهما ولغ الوطواط الأكبر في الدم والنفط
فالمؤمن لا يعرف درب اليأس
فوالله لا تقوم الساعة
حتى ينحسر النهر المفجوع فرات
في شطيه
عن جبل من ذهب أسود
عن معبود أمرد
يقتتل الناس عليه
والله لا تقوم الساعة
حتى يقاتل المسلمون اليهود
فيقتلوهم
حتى تنزل خبير من صياصياها
فتبصرّ دربك
في عصر تنهاوى فيه نفوس بدعاوى التطبيع
تحسس خطواتك
في أزمان سقوط القيم الكبرى
يا بني
حاذر أن تذلل أو تخضع
وتذكر
(كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

فبأي آلاء ربكما تكذبان).

مضى هولاءكو وبقيت بغداد

مضى تيمورلنك وبقيت شيراز

وبقيت دمشق

فهل من يسأل الطاعمين من لحم الأطفال والدماء

أين المفر

إذا استيقظت في غلس الصبح الدماء

وجمعت كربلاء القرن الحادي والعشرين

في ذاكرتها المدممة

أشلاء الشهداء؟

يا بني

لما طغت الديناصورات في الأرض قبل ملايين السنين ولم تترك لغيرها من
كائنات الأرض ما تأكله أرسل الله عليها حاصباً من السماء فأهلكها.

ولما طغا أبرهة الحبشي واندفع بأفياله يريد هدم الكعبة أرسل الله عليه حجارة من
سجيل فجعله كعصف مأكول.

ولما طغا أبو جهل في مكة سقط في بدر واحتز رأسه ابن مسعود بقامته القصيرة
وسيفه الصغير.

ولما طغا هولاءكو وتجرى لقي الهزيمة في الشام ورُفع رأس كتبغا على رمح
الإسلام، ثم باء بالخسران، على يد ابن عمه السلطان، بركة الإسلام، فمات كمدأ
وقهراً.

ولما أحرق نبيرون روما لينظم قصيدة الشر، مضى نبيرون وبقيت روما.
ولما أوحى الوسواس الخناس لنمرود العصر المؤلل بالحديد والنار، المجوقل
على قرون الشيطان، أن يعيد ترتيب العالم أحرق المسجد الأقصى ودمر كابل
واستباح بغداد.

يا بني غداً يمضي النمرود ويبقى الذكر والذاكرون ويعم العالم برد وسلام وآية
من الذكر الحكيم تقول:

(يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم).

من يحطم أصنام العصر الأمريكي

إلا فأس الله

والعصر

إن الطاغين لفي خسر

هل يدرك نمرود الجهل

ميقات الفصل؟

هل يدرك في غلس الجرح المورق

مطلع فجر؟

عشيت عيناه

تراقص في الحدق الجنون

المال / السلطان / الذهب الأسود

أشرسه السكر

استعلى دمد

(أنا ربكم الأعلى)

كلا.. يا نمرود

(كلا)

إن الإنسان ليطنغي* أن رآه استغنى)

كلا

قد سقط الأرباب

لم يبلغ فرعون الأسباب

وتهاوى الصرح

أطل الجبار

من مشكاة في طيبة

أعرس فيها النور الدرّي

وتردد صوت منبعث

من نرف الأطفال

في أرض عراق

(لمن الملك اليوم

لله الواحد القهار)

يا مدّرعاً بالنار الشيطانية

تقصف في عاشوراء الدنيا

نجف الإسلام
وكر بلاء
ستلاحقك اللعنة
أنى أبصر في الأمداء
الزمن الإسلامي
ينداح ويجرف
أوثان الزمن الشيطاني
وأبو عبدالله حسين
الطالع من دمه المسفوح على شط فرات
النابت من نرف الجرحى والآهات
يزحف بالنور الأخضر
يهدم بنيان الشر
يرمي من فوق الأبراج الفرعونية
شاهات العصر
(والفجر)

(وليال عشر)

لا توقف سيل النور الهادر
كل قوى القهر الظلمانية
ماذا أغنيك يا جدّاه، هذا دمي؟ *** ينداح مصطرخاً في كل منشعب
ماذا أغنيك والأوطان مستلب *** لكل طاغية يأتي بمغتصب
في كل يوم مع الأسحار مجزرة *** ووالغ في دم الإسلام والعرب
من كربلاء الى الأقصى الى يمن *** دم يصيح بأن البغي لم يغيب
ذكراك يا مضرجاً عند الفرات لنا *** مشكاة نور تضيء الدرب في الحرب
يا سيد الشهداء، الذكر في خلدي *** وكربلاء طريق العز والغضب
دم الحسين ينادي اليوم في دمنا *** لا تأمنوا لدواعي الحقد والكذب
إن ينطق الدم عاشوراء قال لنا *** إن الشهادة فينا غاية الطلب
سلام عليك أبا عبدالله
سلام على آل محمد وصحبه
سلام على الإسلام والمسلمين

(والفجر
وليل عشر)
ولا تنطفئ الفكرة
لا ترتدم الجمره
مادام محمد حادي ركبان الثورة
والعصر
حان صلاة العصر
عصر الزمن الإسلامي
فسلام على من صلى على النبي وسلم
(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)

حوار في الفوضى والنظام
قال العارف بالشیطان: العالم فوضى وظلام
قال العارف بالرحمان: كذبت
العالم ناموس علوي ونظام
موت وحياة وقصاص
والرحمن
(يدبر الأمر يفصل الآيات)
قال ريب الشيطان:
أنا العالم
وأنا الفوضى
وأنا القوة
وأنا أحبي وأميت شعوباً وقبال حيث أشاء
قال العارف:
(إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب)
قال وزير دفاع الشيطان:
إذن
ستحل نظام الفوضى
كي يختلط المشرق بالمغرب

نحكم هذي القرية
بالنار
ونجعل من هذا الخلق عبيداً
قال العارف:
«الخلق عيال الله»
قبلك عاد بادت
وطواغيت سادت
جاءوا بالفوضى
فأناهم أمر الله
ديمقراطيتكم
موت ودمار وفناء
وحداتكم.. دنسها
ديونيزية
فوضى تحكمها الأهواء
قال العارف، أردف:
هذا العالم لا تحكمه الفوضى
نور الله نظام العالم
أليس (الله نور السموات والأرض)؟
(يريدون ليظفنون نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

رثاء عبيدالله بن الحرّ الجعفي

للإمام الحسين (عليه السلام)

د. أحمد دهمان أستاذ النقد الأدبي

عميد كلية الآداب بجامعة البعث (حمص)

رثاء عبيدالله بن الحرّ الجعفي للإمام الحسين (عليه السلام)

شخصية ابن الحر وعلاقاته في عصره

هو عبيد الله بن الحرّ بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن عوف ابن حريم بن جُعفي بن سعد العشيرة. الشاعر الفاتك، كما وصفه ابن حزم^(٤٠٨)، والشجاع الفاتك كما وصفه البلاذري^(٤٠٩). وهو ممن اشتهروا بالفتك في الإسلام، كما ذهب أسامة بن منقذ^(٤١٠)، يقتضينا هذا أن نحدد معنى الفتك، حتى نوفق بين آراء القدماء، فيما ذكروه من صلاحه وفضله وشجاعته، وما أكده شعره كذلك، فنذهب إلى أن الفتك هو الثورة أو التمرد، أو الخروج على العرف السياسي القائم، رفضاً له، ومقاومة لظلمه.

وذكر ابن خلدون^(٤١١) أن عبيد الله بن الحر الجعفي كان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً، وبذلك أكد ما أخبرنا به الطبري، حين ذكر في خبر مقتله سنة ثمان وستين للهجرة أن ابن الحر كان رجلاً من خيار قومه صلاحاً وفضلاً وصلاً واجتهاداً. فلما قُتل عثمان وهاج الهيج بين علي ومعاوية، قال: أما إن الله ليعلم أني أحب عثمان، ولأنصرنه ميتاً. فخرج إلى الشام، فكان مع معاوية، فأقام عبيد الله عند معاوية وشهد معه صفين، ولم يزل معه حتى قُتل علي(عليه السلام)، فلما قُتل علي قدم الكوفة، فأتى وإخوانه ومن خفّ في الفتنة، فقال لهم: يا هؤلاء، ما أرى أحداً ينفعه اعتزاله، كنا بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت، فقال له القوم: وكان من أمر علي كيت وكيت، فقال يا هؤلاء، إن ثمكننا الأشياء فاخلعوا عذركم، واملكوا أمركم. قالوا: سنلتقي، فكانوا يلتقون على ذلك^(٤١٢).

يفيد هذا النص في تحديد الملامح العامة لشخصية هذا الشاعر، ويذكر جانباً من سيرة حياته في مرحلة بدء ظهوره على ساحة الأحداث. فقد كان عثمانى الهوى، ثم رأى أن يستقل بموقف فدعا إلى رفض كل من طرفي الخصومة والصراع إبان صفين وبعدها، متخلياً عن عليّ ومعاوية معاً، طالباً من مريديه أن يرفضوا كل سلطة وأن يسوسوا أنفسهم. وقد التقوا على ذلك.

(٤٠٨) جمهرة أنساب العرب: ٤١٠.

(٤٠٩) أنساب الأشراف: ٢٩٠/٥.

(٤١٠) لباب الآداب: ١٧١.

(٤١١) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ١٤٨.

(٤١٢) تاريخ الطبري: ١٢٨/٦.

ويتابع الطبري قائلاً: إنه بعد موت معاوية هاج الهيج في فتنة ابن الزبير، فقال ابن الحرّ: ما أرى قريشاً تنصف، أين أبناء الحرائر؟ فأتاه خليع كل قبيلة، فكان معه سبعمائة فارس، فقالوا: مُرنا بأمرك. فلما هرب عبيد الله بن زياد، ومات يزيد بن معاوية، قال عبيد الله بن الحر لفتيانه: قد بيّن الصبح لذي عينين، فاذا شئتم! فخرج إلى المدائن فلم يدع مالا فُدم من الجبل للسلطان إلا أخذه، فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه، ثم قال: إن لكم شركاء بالكوفة في هذا المال قد استوجبوه، ولكن تعجلوا عطاء قابل سلفاً. ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال. ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك»^(٤١٣).

ويؤكد هذا الخبر أن ابن الحر وجماعته فقدوا كل أمل ورجاء بعد موت يزيد، وبذلك بدأوا حركة تمردهم وفعلهم في أخذ مال السلطان وتوزيعه عليهم جميعاً، ولو كانوا في الكوفة، بعيداً عن أرض الموقعة. وثمة ملمح آخر لشخصية هذا الشاعر، وهو أنه لا يعمل في الخفاء كاللصوص؛ لأنه صاحب قضية، سُدّت في وجهه السبل الشرعية، فلم يجد ورفاقه بدأ من قطع الطريق سبيلاً للحق، وللتعبير عن أنفسهم بكل شجاعة وعلانية؛ لأنه كان يكتب لصاحب المال «براءة» بما قبض.

ويتساءل الطبري: هل كان ابن الحر يتناول أموال الناس والتجار؟ فيذهب إلى أنه ما كان في الأرض عربيّاً غيرَ على حرّة، ولا أكفّ عن قبيح وعن شراب منه^(٤١٤). ويذكر أن شعره وضعه عند الناس، وهو من أشعر الفتيان، وإن كنا نرى أن شعره أهم مظاهر شخصية الفارس، الحامي حقائق قومه، الباسل في المعارك، لأن شعره جزء من شخصيته، وهو وسيلته الفنية للتعبير عن رفضه للواقع السياسي والاجتماعي في عصره، فمن خلال أناشيد البطولة تتحدد رؤيتنا الفنية والأدبية لمرحلة عصيبة من تاريخ مجتمعنا العربي الإسلامي، شهدت أحداثاً جساماً، منها قيام هؤلاء «العصاة» أو «الفتاك» أو الخارجين، كما أطلقت عليهم السلطة ومن استظل بعطائها من المؤرخين. لقد وقف هؤلاء في وجه النظام الحاكم، وأسهموا في القلاقل السياسية والصراعات المذهبية، والأزمات الاقتصادية، والفتن الداخلية، وهي الظواهر الكبرى التي رافقت وجود ابن الحر إبان الحقبة الأموية من الخلافة الإسلامية.

وأكد الطبري ذلك عندما تحدث عن علاقاته بأقطاب السياسة في عصره، إذ أبى أن يبايع المختار الثقفي في البدء، ولكن مقتل الحسين (رضي الله عنه) وموقفه المعادي للأمويين دفعاه إلى أن يبايعه على حذر، ولكنه أغار على أراضيه في

(٤١٣) تاريخ الطبري (٦ / ١٢٨).

(٤١٤) المصدر السابق: ٦ / ١٢٩.

ثلاثمائة من أصحابه في (الأنبار) و (كسكر)، فأرسل المختار جيشاً هدم دار ابن الحر وحبس امرأته أم سلمة الجعفية. وأقسم المختار الثقفي أنه سيقتله وأصحابه، فلما بلغ ذلك عبيد الله أقبل في فتيانته حتى دخل الكوفة ليلاً، فكسر باب السجن وأخرج امرأته، وكل رجل كان فيه، فبعث إليه المختار من يقاتله، فقاتلهم ابن الحر حتى خرج من المصر، فقال حين حرّر زوجته من السجن قصيدة طويلة، مطلعها^(٤١٥):

ألم تعلمي يا أم توبة *** أنا الفارسُ الحامي حقائقَ مدحج

وكان ابن الحر يعيب بعمال المختار وأصحابه ويهاجم ضياعهم وينهبها، وكان يخاطب المختار بصفة الكذاب:

وما ترك الكذاب من جُل مالنا *** ولا الزرق من همدان غير شريد

وتؤكد أشعاره التي تناول فيها علاقته بالمختار الثقفي، فضلاً عن أعماله التي قام بها المختار انتقاماً منه، وكذلك المعارك التي دارت بينهما، عمق احتقاره للثقفي واستهانته به، وحقده عليه.

وقبل المختار كان لابن الحر صلات برجال عصره الآخرين ك معاوية ابن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وابنه الحسين رضي الله عنه، وابن زياد وغيره، فممرٌ بذلك مروراً سريعاً رغبة في بيان جوانب صورة هذا الرجل. فقد جاء في أخباره^(٤١٦): أنه صار مع معاوية، وكان يكرمه ثم خرج من عنده مغضباً يريد الكوفة في خمسين فارساً، ومضى لا يمر على قرية من قرى الشام إلا أغار عليها، حتى قدم الكوفة وكان له في الكوفة امرأة يقال لها الدرداء، وهي كبشة بنت مالك، فلما طالت غيبته ففده أهلها، فزوجوها من رجل يدعى عكرمة بن الحنبل، فقاضاهم الإمام علي كرم الله وجهه، فكانت نتيجة ذلك أن قضى له بامرأته. وقد ذكر البغدادي^(٤١٧) أن اتصاله بالامام علي رضي الله عنه كان بعد أن اختلف ابن الحر مع معاوية، وقتل نقرأ من أصحابه، وغنم ما بقي من عتادهم، وعندما قدم إلى الكوفة سأله علي رضي الله عنه قائلاً: يابن الحر أنت الممالي علينا عدونا؟ فقال ابن الحر: أما إن ذلك لو كان لكان أثري معه بيننا، وكان ذلك مما يخاف من عدلك، وبعد أن قضى له بالمرأة، أقام عبيد الله معها منقبضاً عن كل أمر في يدي علي، حتى قُتل علي رضي الله عنه، وحتى ولي عبيد الله بن زياد العراق، وهلك معاوية، وولي يزيد بن معاوية.

(٤١٥) القصيدة في تاريخ الطبري (٦ / ١٢٩ - ١٣٠). وشعراء أمويون (١٩).

(٤١٦) انظر أنساب الأشراف: ٦ / ٢٩٠، والطبري: ٦ / ١٢٨.

(٤١٧) خزنة الأدب: ١ / ٢٩٧، وانظر الكامل في التاريخ: ٤ / ٢٨٧.

ويرجح البغدادي أن ابن الحرّ كان يميل إلى علي رضي الله عنه حباً بآل البيت. فقد ذكر أنه كان شجاعاً لا يعطي الأمراء طاعة، ثم صار مع معاوية فكان يكرمه، وكان ينتاب عبيد الله أصحاب له، فبلغ ذلك معاوية، فبعث إليه فدعاه، فلما دخل عليه قال: يا ابن الحر ما هذه الجماعة التي بلغني أنها ببابك؟ قال: أولئك بطانتي أقيهم وأتقي بهم إن ناب جور أمير، فقال معاوية: لعلك يا بن الحر قد تطلعت نفسك نحو بلادك، ونحو علي بن أبي طالب، قال عبيد الله: إن زعمت أن نفسي تطلع إلى بلادي وإلى علي، إني لجدير بذاك، وإنه لقبيح بي الإقامة معك، وتركي بلادي، فأما ما ذكرت من علي، فإنك تعلم أنك على الباطل، فقال له عمرو بن العاص: كذبت يا ابن الحرّ وأثمت، فقال له عبيد الله: بل أنت أكذب مني... ثم خرج عبيد الله مغضباً وارتحل إلى الكوفة^(٤١٨).

وعلى الرغم من أنه كان مع معاوية، أو يميل إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، أو أنه شهيد صفيين وهو في جيش معاوية، كما يذكر ابن الأثير^(٤١٩) وابن حزم^(٤٢٠)، أو أنه كان أموي الأصل كما يزعم المبرد^(٤٢١)، فقد كان الرجل ملتزماً بالقضية التي اجتمع وأصحابه عليها، عندها هاج الهيج بعد موت معاوية وفتنة ابن الزبير ثم موت يزيد بن معاوية، وشكّلوا الجماعة المحاربة، وأخذوا يمارسون الفعل المضاد للسلطة. ومن جانب آخر يمكن أن يكون هذا الموقف أساساً أولياً لنوبات الحسرة والندم التي عبّر عنها ابن الحرّ بعد فاجعة كربلاء، على أن حبّ آل البيت والتعاطف معهم لما أصابهم من حيف وظلم وتشريد، ليس دليلاً على التشيع، لأنه شرعة كل مسلم، وثمة أمر آخر نستنبطه من النص السابق إن كان صحيحاً، وهو مبلغ جرأته وصراحته، عندما أجاب معاوية بأن علياً لعلّ الحق، وأن معاوية بذلك عالم، وكذلك رده على ابن العاص وعبيد الله بن زياد بعد ذلك. هذا الأمر يوضح الشيء الكثير من جوانب شخصية هذا الفارس الشجاع، كالجرأة والشجاعة والصراحة في التعبير عن الرأي أليس القائل في معرض رفضه للسلطة القائمة، ودعوته إلى خلع كل أمير بعد الخلفاء الأربعة: قاتلوا عن حريمكم، فإني قُلبت ظهر المجن، وأظهرت لهم العداوة، ولا قوة إلا بالله^(٤٢٢)؟

(٤١٨) خزانة الأدب: ١ / ٢٩٧.

(٤١٩) الكامل في التاريخ: ٤ / ٢٨٧.

(٤٢٠) جمهرة أنساب العرب: ٤١٠.

(٤٢١) الكامل: ٤ / ٤٦٣.

(٤٢٢) الكامل: ٤ / ٢٩٩ والمجن: الترس.

أما عن علاقته بوالي الأمويين على العراق، عبيد الله بن زياد، فقد ذكر العلامة المؤرخ ابن خلدون^(٤٢٣) أنه بعد مقتل الحسين وتغيب ابن الحر عن ملحمة، سأل عنه ابن زياد فلم يره، ثم لقيه فأساء عدله، وعرض له بالكون مع عدوه، فأنكر ابن الحر ذلك وخرج مغضباً، وراجع ابن زياد رأييه فيه فطلبه، فلم يجده، فبعث إليه فامتنع قائلاً: «أبلغوه أنني لا آتية طائعاً أبداً». ويبدو أن ابن الحر كان غاضباً من ابن زياد لقتله الحسين رضي الله عنه، بمقدار ندمه على عدم نصرته الإمام الشهيد. فبعد قوله السابق أتى منزل أحمد بن زياد الطائي، فاجتمع إليه في منزله أصحابه ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم من أصحاب الحسين رضي الله عنه، فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثم مضى حتى نزل المدائن، وقال في ذلك قصيدة مؤثرة^(٤٢٤)، أرخ فيها لهذه المأساة الدامية، وفيها يصف ابن زياد بالغدر، ويذكر الشهيد ابن فاطمة ومطلعها:

يقول أمير غادر حق غادر *** ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فيا ندمي ألا أكون نصرته *** ألا كل نفس لا تشدد نادمة

علاقته بالإمام الحسين (عليه السلام)

ربما لا نكون مغالين إذا ما قلنا: إن شعره الحماسي الحافل بالصراحة، والجرأة والكفاح من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية، والثورة على العنف والظلم، وقسوة الحياة كان صدى أو مرآة لحياته الشجاعة، ومواقفه الجريئة التي تموج بالنخوة والمروءة والإقدام والمثل الرفيعة التي حضّ عليها الإسلام العظيم، وبصورة خاصة عندما نتبين دور شعر ابن الحر في حركة التوابين التي ظهرت بعدئذ، فأغلب الظن أن ندم ابن الحر وحسرتة على خذلانه الحسين (عليه السلام) وتخليه عنه، وحديثه في شعره عن ذلك، ودعوته إلى الثأر له، وتحريضه على الوقوف في وجه الأمويين من أجله، كانت الإرهاصات الأولى لظهور التوابين، كما يقول الدكتور يوسف خليف^(٤٢٥)، فمن الواضح أن هذه المعاني التي أكثر من ترديدها في شعره هي نفسها الأسس التي قامت عليها حركتهم، وهي نفسها الأهداف التي كانوا يعملون من أجلها. فعلى الرغم من نصائح محبي الإمام كالمخزومي وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير والفرزدق الشاعر، الذين حاولوا إقناعه بعدم الخروج إلى العراق^(٤٢٦)،

(٤٢٣) تاريخ ابن خلدون: ١٤٩/٣.

(٤٢٤) القصيدة في الكامل: ٤ / ٢٨٨، وأنساب الأشراف: ٢٩٢/٥، وشعراء أمويون: ١١٥.

(٤٢٥) حياة الشعر في الكوفة: ٣٧٩، للتوسع في دراسة حركة التوابين، ينظر ضحي الإسلام: ٣ / ٣٠٤.

(٤٢٦) الطبري: ٥ / ٣٨٢، وما بعدها.

لخوفهم من هلاكه، وإشفاقهم عليه، لأن الذين يلحون على قدميه، قلوبهم معه، وسيوفهم مع بني أمية، إلا أنه أصرَّ على موقفه حيث قدم الكوفة، وفي كربلاء وقعت المأساة الدامية، تلك الكارثة الكبرى في حياة العرب والمسلمين، حيث قتل رضي الله عنه وحزَّ رأسه الكريم، بعد أن قاتل قتال الأبطال .

وكان قبل المعركة قد مال إلى السلم فعرض على قاتليه أن يذهب إلى يزيد بن معاوية، أو يعود من حيث أتى، أو أن يدعوهم يلحق بالثغور، إلا أن عبيد الله بن زياد رفض كل عروضه، وأصرَّ على قتاله، فكانت النتيجة المعروفة.. إبان هذه الأحداث وفي أثناء فترة الحصار الذي فرضه جيش ابن زياد على الحسين وأصحابه، كان الإمام قد انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل به، فإذا هو بفسطاط مضروب ويذكر الطبري^(٤٢٧) أن الحسين رضي الله عنه قال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل لعبيد الله بن الحرِّ الجعفي، قال: ادعوه لي، وبعث إليه فلما أتاه الرسول قال: هذا الحسين بن علي يدعوك، فقال ابن الحر: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني، فأتاه الرسول فأخبره، فأخذ الحسين نعليه، فانتعل، ثم قام فجأة حتى دخل عليه، فسلم وجلس، ثم دعاه إلى الخروج معه، فأعاد عليه ابن الحر تلك المقالة، فقال: فإلا تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا، فو الله لا يسمع داعيتنا أحدٌ ثم لا ينصرنا إلا هلك، قال: أمَّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله. ثم قام الحسين (عليه السلام) من عنده حتى دخل رحله.

ومن الواضح أن ابن الحر كان مقدراً نتائج المعركة غير المتكافئة، وهو المحارب المجرب. ولعله كان واثقاً أن الحسين لن يتراجع عن قراره، ومن هنا نشأت حالة الألم النفسي نتيجة الخذلان، وربما كان تأثير هذا الموقف في نفس الشهيد الحسين أقوى منه عند ابن الحر، وذلك لأنه بعد ذلك خفق برأسه خفقة ثم انتبه، وهو يقول كما كان جواب ابن الحر: (إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين) وفعل ذلك ثلاثاً فأقبل عليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، يا أبتِ جُعِلْتُ فِدَاكَ، ممَّ حَمَدتَ الله واسترجعت؟ قال: يا بني إني خفقت برأسي فعنَّ لي فارس على فرس، فقال: القوم يسرون والمنايا تسري اليهم فعلمت أنها أنفسنا نُعيَّتُ اليها، قال له: يا أبتِ، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال: بلى: والذي إليه مرجع العباد، قال: يا أبتِ إذاً لا نبالي نموت مُحَقِّين، فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جرى ولداً عن والده^(٤٢٨).

(٤٢٧) الطبري: ٤٠٦ / ٥ .

(٤٢٨) الطبري: ٤٠٧ / ٥ .

ويذكر البغدادي أن ابن الحر قال عندما دخل الحسين (عليه السلام) طالباً مساعده: ما رقت على أحد قط رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله، فقال له الحسين ما يمنعك يا ابن الحر أن تخرج معي؟ قال ابن الحر: لو كنتُ كائنًا من أحد الفريقين لكنت معك، ثم كنت من أشد أصحابك على عدوك، فأنا أحبُّ أن تعفيني من الخروج معك، ولكن هذه خيل لي معدة، وأولاء من أصحابي وهذه فرسي المُلحقة فاركبتها، فو الله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا أدركته، ولا طلبني أحد إلا فته، فاركبتها حتى تلحق بمأمنك، وأنا لك بالعيالات حتى أؤديهم إليك، أو أموت وأصحابي عن آخرهم، وأنا كما تعلم إذا دخلت في أمر لا يضيمني فيه أحد. قال الحسين (عليه السلام): أفهذه نصيحة لنا منك يا ابن الحر؟..

قال نعم والله الذي لا فوقه شيء، فقال الحسين (عليه السلام): إني سأنصح لك كما نصحت لي. إن استطعت ألا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعنا فافعل، فو الله لا يسمع داعيتنا أحدٌ لا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنم ثم خرج الحسين (عليه السلام) من عنده. أما صاحب الأخبار الطوال^(٤٢٩) فيذكر أن الحسين رضي الله عنه أجاب ابن الحر بعد عرضه: «أما إذا رغبت بنفسك عنا، فلا حاجة لنا إلى فرسك». وقد حرصنا على إيراد الخبر كاملاً لنستنتج منه عدة حقائق، أهمها:

أولاً: إن خروج ابن الحر من الكوفة عندما أيقن أن الحسين رضي الله عنه مغلوب لا محالة، يدل أنه لا يريد أن يشارك في معركة خاسرة سلفاً، وهو إلى جانب ذلك يصرح بأنه متخرج من دم الحسين وآله. وهذا تأكيد لموقف سياسي محايد تجاه طرفي الصراع في كربلاء، إن لم يكن مشفقاً على الحسين، أو لا يريد نقض هدنة مع الأمويين. وفي ذلك تأكيد لسلوك الفارس الذي لا يعرف الغدر أو النكوص.

ثانياً: إن طلب الحسين (عليه السلام) من ابن الحر نجده، يدل على أنه يعول على الجعفي الذي ربما يغير نتيجة المعركة أو الموقف في حال المشاركة في الموقعة. وهذا دليل على قوة ابن الحر وجماعته.

ثالثاً: إن هذه الحادثة وما خلفته من نتائج دامية حزينة هي الدوافع إلى إعلان الشاعر أن قريشاً لا تتصف، وإلى الدعوة إلى الخروج عليها والتمرد، وممارسة العمل الثوري كالإغارة على مال السلطان، وتوزيع الثروة على مستحقيها من الفقراء.

أضف إلى ذلك أن بكاءه على شهداء كربلاء قد عصف بنفسية الشاعر مما أدى إلى الوقوف في وجه الأمويين. ولكن هل كان ابن الحر بهذه المنزلة حتى يعدّه الإمام الحسين مرجح النصر في كربلاء؟...

الفارس النادم على خذلان الحسين

هذا الشاعر الإنسان ربط المعنى البطولي بالبعد الأخلاقي للموقف التاريخي في موقفه من الإمام الحسين رضي الله عنه، ذلك الموقف الذي أصبح مغايراً لموقفه منه قبل حادث الاستشهاد المؤلم، إذ وضع نفسه في جانب الناقمين، ولهذا ظلت بعدئذ قصائده في الحسين، وفي تأنيب نفسه، تفيض بمشاعر الرثاء الحزين، ومعاني الندم الممض، والشعور بالتقصير الذي أفقده كثيراً مما يجب عليه أن يؤديه، حين دعاه الحسين لنصرته، ويؤكد كذلك ما جاء في الأخبار مما يدعم الخبر الذي تضمن أن الشاعر صمّم على تركه وعدم الاستجابة؛ ولهذا كان رثاؤه للحسين نسيجاً من مشاعر التلهف إلى التفكير عن هذا الخطأ القاتل، واللوعة التي يبعثها تذكر الحادثة وما جرى فيها، وما سال من دماء الأبطال والنساء والأطفال على أيدي قساة غلاظ القلوب، وليس بينهم وبين حرمة آل البيت أي حجاب. كذلك تتعالى من هذا الشعر أنفاس التأثر الذي يتجاوز حدّ الحزن السرمدي، والاندفاع الذي حدّد موقفاً سياسياً فيما بعد أدّى إلى إعلان «أن قریشاً لا تتصف». وتتجلى معاني هذا الرثاء المؤلم والندم المفجع في هذه الدراسة النقدية التحليلية لهذا الفن الذي أقامه ابن الحر على ثلاثة أركان هي: رثاء الحسين، هجاء قاتله ابن زياد، الندم والحسرة اللذان أبكيا الفارس المغوار.

ففي الأبيات التالية: التي يرثي بها الحسين بن علي رضي الله عنهما، يعبر عن ندمه على تركه إجابة الحسين حين دعاه إلى نصرته قائلاً^(٤٣٠):

فِيَا لِكِ حَسْرَةٍ مَا دُمْتُ حَيًّا *** تَرَدَّدُ بَيْنَ حَلْقِي وَالتَّرَاقِي
حُسَيْنٍ حِينَ يَطْلُبُ بَدْلَ نَصْرِي *** عَلَى أَهْلِ العَدَاوَةِ وَالتَّشَاقِ
وَلَوْ أَنِّي أُوَاسِيهِ بِنَفْسِي *** لَنِلْتُ كَرَامَةَ يَوْمِ التَّلَاقِ
مَعَ ابْنِ المِصْطَفَى نَفْسِي فِدَاهُ *** فَيَا لَلهِ مِنْ أَلَمِ الفِرَاقِ
فَمَا أُنْسَى غَدَاةً يَقُولُ حُزْنًا *** أَتَتْرُكُنَا وَتُرْمَعُ لَانْطِلاقِ
فَلَوْ فَلَقَ التَّلَهُفُ قَلْبَ حَيٍّ *** لَهَمَّ اليَوْمَ قَلْبِي بَانْفِلاقِ
فَقَدْ فَازَ الأَلَى نَصَرُوا حُسَيْنًا *** وَخَابَ الآخَرُونَ أَوَّلُوا التَّفَاقِ

لقد هزته المأساة التي تركت الحسين وأصحابه صرعى على أرض كربلاء الحزينة، فأتارت في نفسه مشاعر الحسرة التي يعبر عنها في هذه الأبيات بأسلوب فني جميل مؤثر، يحمل العاطفة الحزينة، ويبوح بكل معاني الصدق، ويرفض النفاق

(٤٣٠) وصف الجاحظ أحد رجال ابن الحر وهو الغداف، بأنه لم يكن في الأرض أشد منه، كان يقطع على القافلة وحده، بما فيها من الخفراء والحماة. انظر رسائل الجاحظ: ١ / ١٩٣، والأبيات في شعراء أمويون: ١٠١، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

والرياء. فهو لا ينكرُ تخليه عن الحسين حين طلب بذل نصره، ويصف خادعيه في القدوم إلى الكوفة وقاتليه بأهل الشقاق والعداوة، ويتمنى لو افتداه بنفسه لينال رضى الله تعالى يوم الحساب. لكن ألم الفراق وحزن الشاعر على خذلانه، أو عدم نصرته الحسين رضى الله عنه، يبدو ان في هذا المعنى النبيل المؤثر الذي يصف فيه قلبه بأنه يكاد ينفلق حسرة وندماً، فقد خسر شرف نصره الحسين، ومن ثمة الفوز بالجنة، فخاب هو كما خاب المنافقون...

إنه الفارس الذي يذرف دموع الندم، والألم والتلف والخرسان، هذه الدموع التي تركت في نفوسنا أثراً كبيراً قوياً لصدق قائلها، وهو الرجل الذي لم يعرف الهزيمة الحربية في حياته، فكيف بالهزيمة النفسية التي تبكيه...

وقد ذكرنا آنفاً أن الشاعر خرج من مجلس ابن زياد مغضباً، لأنه أئبهه على موقفه من قتله ابن المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليه الشرط فأجابهم: «أبلغوني أنني لا آتية طائعا أبداً»^(٤٣١)، وقال: لئن استطعت أن لا أرى له وجهاً لأفعلن، ورثي الحسين وأصحابه الذين قتلوا معه بادئاً القصيدة بهجاء ابن زياد قائلاً:

يقول أمير غادر وابن غادر *** ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة

ونفسي على خذلانه واعتزاله *** وبيعة هذا الناكث العهد لائمة

فيا ندمي ألا أكون نصرته *** ألا كل نفس لا تشدد نادمة

وإني لأني لم أكن من حماته *** لذو حسرة ما إن تفارق لازمة

هل ثمة تعبير يفي بمعاني التقرع أشدّ وضوحاً من هذا؟!.. اللوم، الندم، الخذلان، هي مقومات هذا التعبير المؤثر، ثم يتابع وصفه لآلام الحسرة، فيدعو بالسقيا لأرواح الذين نصره من الشهداء الصادقين الذين وقف الشاعر على مصارعهم قائلاً:

سقى الله أرواح الذين تآزروا *** على نصره سقيا من الغيث دائمة

وقفت على أجدائهم ومجالهم *** فكاد الحشا ينقض والعين ساجمة

ثم يصف استبسالهم وتضحيتهم بأنفسهم في سبيل نصره ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملتفتاً إلى مشاعره التي تفيض بالأسى والحزن والدموع:

لعمرى لقد كانوا مصاليت في الوغى *** سراعاً إلى الهيجا حماة خضارمة

تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم *** بأسياقهم آساد غيل ضراغمة

ثم ينتقل من وصف مشاعره الخاصة تجاههم إلى وصف مشاعر الناس عامة نحوهم: فكل نفس مؤمنة على الأرض أضحت حزينة باكية لمقتلهم، ليس لأنهم شهداء فحسب، بل لأنهم أفضل الناس طراً:

(٤٣١) الخبر والأبيات في الطبري: ٤٧٠/٥، الكامل في التاريخ: ٢٩٨/٤ - ٢٩٩، مع اختلاف في بعض الألفاظ عن روايتها في شعراء أمويون: ١١٥، وأشعار اللصوص: ٢٨٣/١.

فإن يُقتلوا فكل نفس تقيه *** على الأرض قد أضحت لذلك واجمه
وما إن رأى الرّاؤون أفضل منهم *** لدى الموت سادات وزهراً قماقمة
ويوجّه الكلام من جديد إلى الأمير الغادر القاتل الذي يعاتب ابن الحر ويرجو
وداده، فيعلن أنه لن يكون معه أبداً، لأنه من الناقلين عليه، بل إنه يفكر في أن يشن
عليه حرباً تطحنه، فتقضي على ظلمه وباطله وغدره، وكأنّ هذا الوعيد مما يخفف
عن الشاعر بعض آلام الندم، ويواسيه في حسرته:

أقتلهم ظلماً وترجو ودادنا *** فدع خطة ليست لنا بملائمة
لعمري لقد راغمتونا بقتلهم *** فكم ناغم منا عليكم وناقمة
أهمُّ مراراً أن أسير بجحفل *** إلى فئة زاغت عن الحقّ ظالمة

إنه التعبير القوي الجريء عن السخط الشديد الممتزج بالحسرة والندم والبكاء
الحار، تلك المشاعر والانفعالات التي لم تقارق ابن الحر حتى لو غادر الديار التي
تطهرت بدماء الشهداء من أهل الحسين وأصحابه إلى المدائن أو غيرها. إنها أحزان
ينتقد فيها لهيب الغضب، وتشع منها روح الثورة والسخط، دون خوف من بطش ابن
زياد الذي يصفه بالغدر واللؤم والظلم، والمراوغة، والخسة، وكأننا إزاء رجل يُحمّل
نفسه تبعات هزيمة منكرة، ولا يجد ما يكفر به عن آلامه سوى الدعاء بالسقيا، وهذه
التحية النبيلة يلقيها على الأجداث الطاهرة، أو الإعداد لحرب تزيل من الوجود دولة
ابن زياد الزائغة عن الحق، بجيش ضخم قوي أشد عليهم من جيوش أعدائهم.

ومن ناحية أخرى فإن القصيدة تبوح بموقف سياسي جديد لابن الحر يتجلى في
عدائه للأمويين، لعل ذلك يؤكد معاني الندم التي ما فتئ يعبر عنها ويكررها في كل
تجربة شعرية، وهذا الملمح التعبيري يعطي القصيدة الميمية هذه صفة الايجابية،
وبذلك تختلف عن القصيدة السابقة (القافية)، التي اتصفت بسلبية الموقف السياسي
والتعبيري.

وكما ذكرنا فإن الشاعر لا يمل من تكرار هذا المعنى في أبياته الشعرية، وكأن
هجاء لابن زياد يخفف بعض آلام سياط النفس، ويهدد آلام الخذلان التي استقرت
في أعماقه فأفضت مضجعه، وقربته زلفى من دائرة التصديق. فهو في الأبيات التالية
يقارن بين مشهدين متناقضين تماماً، الأول: يمثل الأمويين وهم نائمون سعداء
يعيشون نشوة النصر، وهم بذلك مضيعو الإسلام؛ لأنهم يؤمّرون الحمقى على الناس،
ومع ذلك يدوم نعيمهم على الرغم من ظلمهم وضلالهم وفساد حكمهم، والثاني: مشهد

أولئك الشهداء الأبرار الذين تضرجت أجسادهم الطاهرة بدماء الشهادة، وبقتلهم ضاعت قيم الدين الحنيف، وتحول العدل إلى الظلم، والخير إلى الشر، يقول (٤٣٢):

بييت النشاوى من أمية نوّما *** وبالطفّ قتلى لا ينام حميمها
وما ضيّع الإسلام إلا قبيلة *** تأمر نوكاها ودام نعيمها
وأضحت قناة الدين في كف ظالم *** إذا اعوج منها جانب لا يقيمها
وكعادته في خاتمة أنغامه الشعرية الشجية، يهدد الأمويين ويتوعدّهم بأنه سيحاربهم وإلا فسوف تظل دموعه على الحسين منهمة:

فأقسمت لا تنفك عيني حزينة *** وعيّنّي تبكي لا يجف سجومها
حياتي أو ملقي أمية جزية *** يذلّ بها حتى الممات عميمها
ومثلما قارن قبل قليل بين مشهدين متناقضين، يعلن هنا أنه سيظل باكياً متحسراً إلى أن يذل رأس الأمويين بإرغامهم على دفع الجزية جزاء لما اقترفوه من آثام بحق الأمة عامة، وأطهر شهدائها الحسين (عليه السلام)، بصورة خاصة.

وكما ذكرنا آنفاً فإن هذه الأنغام الحزينة التي بثت لنا رثاء الحسين رضي الله عنه، وأصحابه وأطفاله وآل بيته، لا يمكن أن تكون بهذا الكم القليل؛ وذلك لأن هذا الغرض الشعري الوجداني الصادق يفتح المجال واسعاً أمام قيم تعبيرية وفنية تحملها لتعبّر عن رغبة الشاعر في الاعتراف بذنبه تكفيراً عنه. يؤيد هذا الرأي ربط الرثاء بهجاء الأمويين وهم الحكام المنتصرون، الأقوياء، وكذلك بالتهديد الدائم بالحرب، وبشن الغارات ضدهم، وهو الشاعر الفارس (الفاتك) الذي كان شعره صدى لمسيرة حياته، يضاف إلى ذلك أنه ما برح يذكر هذه الحادثة الجليّة في كل مناسبة. فعندما دعاه مصعب إلى نصرته في قتاله للأمويين وأهل الشام مقابل أن يكون لابن الحر خراج مقاطعة (بادوريا) أجابه الجعفي قائلاً (٤٣٣):

أيرجو ابن الزبير اليوم نصري *** لعاقبة ولم أنصر حسينا؟
فهل يرتقي طلب مصعب إلى منزلة طلب الحسين، وهل ينصره بعد أن خذل حب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وقد علمنا كيف كان يزدرى مصعباً ويعاتبه ويعرّض بخزيه، وثمة غرض شعري يهجو فيه ابن الحر مصعباً ويفتخر بانتصاراته المتعددة عليه.

وهكذا تبدو أماننا ملامح عامة لفن الرثاء الممض الذي تقرّب به ابن الحر زلفى من دائرة الغفران لذنب بدأ بخذلانه الحسين واستمر بعد مقتله، وفي رثاء الحسين

(٤٣٢) شعراء أمويون: ١١٥، وفي أشعار اللصوص: ٢٨٣/١: حياتي أو ملقي أمية خزية.... ولعل رواية القيسي أصوب.

والعميم: كل ما اجتمع وكثر.

(٤٣٣) شعراء أمويون: ١١٧.

أحسنا برياح الثورة على العنف والظلم وقسوة القلوب، بل إن معاني هذا الفن - على قلة عدد أبياته - جعلتنا نشارك الشاعر وجدانياً، فنشفق عليه لما لاقاه من عذاب الضمير وآلام الحسرة والألم، والصراع الحاد بين نشوة الانتصارات وعذاب النفس المتخاذلة.

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الملحمة الحسينية

في فكر الشهيد مطهري

نبيل الحلباوي

الملحمة الحسينية في فكر الشهيد مطهري

مقدمة

تهنئة بعرس التحرير القطاف الشهي الجني لكربلاء في الجنوب!
ودعوة الى الربط بين كربلاء الحسين وفرعها كربلاء الثورة الإسلامية وكربلاء الجنوب
وعلى أمل القطاف المقبل لفرع ثالث هو كربلاء فلسطين.. ليخرج الصهاينة اليزيديون من أرضنا الى الأبد.
وشكراً للمستشارية.

أولاً: التعريف بمطهري

أ - من خلال سيرته:

١ - من ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ . ق

الى ٤ جمادى الثانية ١٣٩٩ هـ . ق

٢ - فرعان الى مشهد الى قم الى طهران في أفق الحوزة وعلى أيدي أساتذة كان من أثرهم لديه: الطباطبائي والخميني(قدس سره) امداهما بفلسفة وأخلاق.

٣ - ومن الحوزة الى الجامعة للتدريس والإشراف على عشرات الرسائل في الماجستير والدكتوراه.

٤ - ومن التأليف والبحث والتدريس والخطابة الى الانخراط في سلك الثورة الإسلامية الى قيادة مجلس الثورة باختيار من الإمام(قدس سره)..

٥ - ومن ايران الى فرنسا للقاء الإمام وتلقي توجيهاته الى ايران ولقاء الإمام فيها وانتصار الثورة الإسلامية الى الشهادة المبكرة.

ب) على لسان الإمام (قدس سره) في رثائه له:

إنه كان من النوادر في فهمه الإسلام ومختلف فنون الإسلام والقرآن الكريم.
أما أنا فقد فقدت ولداً عزيزاً وقد فجعت بوفاته فكان من الأشخاص الذين أعدهم

ثمرة حياتي.

وقد تلم في الإسلام باستشهاد هذا الولد البار والمفكر الخالد ثلثة لا يسدها شيء.

ج) على لسان مرجع مجاهد (الشيخ ناصر مكارم) صاحب الأمتل أحد أصحابه في السجن .

د) لقائي الأول من خلال أحد كتبه ومن خلال مترجمه الأبرع.
هـ) لقائي بابنه (فريمانى) بماذا أوصاه أبوه؟

ثانياً: تحليل لعنوان المحاضر

نهضة

الإمام

الحسين

في فكر

الشهيد

مطهري

ثالثاً: مرجع البحث: حماسة حسيني = الملحمة الحسينية

أ) معنى كلمة الحماسة: في معجم لسان العرب الشجاعة عند الشهيد(قدس سره):

الشدة والصلابة، لا القسوة لا الخشونة

الشجاعة والحمية، لا التهور لا البطش

ب) الشعر الحماسي: شعر تفوح منه رائحة الغيرة والشجاعة والحمية والرجولة.
ج) شخصية الإمام الحسين(عليه السلام): شخصية ملحمية حماسية لكنها ملحمة

الإنسانية.

(مطهري: انك لن تجد ملحمة حماسية مثل ملحمة الحسين(عليه السلام) سواء على صعيد درجة القوة والطاقة الكامنة أو من جهة العلو والسمو الإنسانيين، وللأسف يجب القول إننا لم نعرف بعد هذه الملحمة...

ويشير الى أننا ركزنا كثيراً على البعد المأساوي الرثائي حيث يبرز دور المجرمين الذين نكسوا رأس البشرية ولطخوا جبينها.

ويدعو الى رثاء شعري كرتاء دعبل المههد للعروش

وينتهي الى القول: فلنرثه - الحسين(عليه السلام) - بطلاً لا مسكيناً مستكيناً...).

(مطهري: ابكو البطل وأقيموا مجالس الرثاء والعزاء للبطل حتى يولدوا احساساً بالبطولة والشجاعة في أنفسكم، واجلسوا في رثاء البطل عسى أن تنعكس ظلال روح

البطل على أرواحكم وتزداد غيرتكم تجاه الحق والحقيقة وتندروا أنفسكم للعدالة وتصبحوا من المقاتلين ضد الظلم والظالمين وتصبحوا أحراراً وتقدرُوا معنى الحرية.

اجلسوا في رثاء البطل حتى تعرفوا معنى عزّة النفس وما معنى الشرف والإنسانية، حتى تعرفوا معنى الكرامة).

ويدعو الى مزيد من المطالعة والدرس والتحقيق للوجه الآخر لكريلاء وجه هذه الحماسة الإنسانية (لا الذاتية، الاسكندر ونابليون) ومن خصائصها:

١ - شخص رمز يرى البشرية بأجمعها أمامه

٢ - حدوثها أشبه بانبلاج نور كبير (لا فرقة انفعال)

(سلام على الإسلام إذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد: الحسين(عليه السلام))

في ظل هو قاتم للغاية (الظلام الأموي المهيم).

٣ - درجة الرشد في الهدف والمنهج والحركة.

(الامام الحسين(عليه السلام) سمعت من الرسول(صلى الله عليه وآله): «إن الله تعالى يحب

معالي الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها».

«هيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وظهرت»).

رابعاً: صورة مفهومة مختصرة للملحمة الحسينية، كتاب الشهيد مطهري

القسم الأول: التحريف في واقعة كربلاء

القسم الثاني: الملحمة الحسينية

القسم الثالث: عامل التبليغ في النهضة الحسينية

القسم الرابع: عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

القسم الخامس: شعارات عاشوراء

القسم السادس: تحليل واقعة عاشوراء

القسم السابع: جوهر النهضة الحسينية

أبحاث متفرقة تشمل على ملاحظات حول ما سبق ونقد لبعض الكتب حول تحليل

واقعة عاشوراء

خامساً: البعد المحوري في الكتاب

١ - فريضة إلهية كبرى بها يقام الإسلام والمجتمع الإسلامي.

- ٢ - عامل ايحائي أولي في نهضة الإمام الحسين
- ٣ - تلتقي به الأبعاد المختلفة لهذه النهضة وتنطلق منه ولا سيّما البعد التبليغي.
- ٤ - تمثل الشهيد مطهري وانطلق منه في حياته الفكرية وجهاده دفاعاً عن الاسلام وإيقاظاً للمسلمين ورفضاً للطاغوت.
- ٥ - بل طبقه في كشف التحريف والتزييف الذي ألم برواية أحداث النهضة الحسينية في كتب المقاتل وعلى السنة قارئ مجالس العزاء إنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادساً: ما العوامل المختلفة للثورة الحسينية؟

- ١ - طلب الى الحسين(عليه السلام) أن يبايع يزيد خليفة للمسلمين فرفض من منطلق إسلامي لا شخصي فردي.
- تلخيص الإمام الحسين(عليه السلام) لمصيبة حكم يزيد وتوقفه من البيعة له:
- «سلام على الإسلام إذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد» «ومثلي لا يبايع مثله».
- «والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقر لكم أقرار العبيد».

تحليل:

- ١ - الحسين(عليه السلام) هاهنا مثال الرفض
- ٢ - يعلل هذا الرفض حركة الإمام الحسين(عليه السلام) من أواخر رجب أوائل حكومة يزيد
- ٣ - طبيعة هذا العامل: خارجي / سلبي / أولي
- نتيجة طلب جاء من الخارج / رد فعل / له أولويته الزمانية وأهميته النسبية!
- ٤ - تصرف عملي ممكن: الفرار الى اليمن والتحصن بها وترك المدينة فمكة ولا يعلل التوجه الى الكوفة
- ٢ - دعوة أهل الكوفة:

اقدم علينا فقد اخضرّ الجنب

تحليل:

- ١ - جاءت الإمام(عليه السلام) في مكة خلال شهر شعبان بعد قرابة شهرين من مغادرته للمدينة.
- ٢ - لا يمكنه عدم تقبلها مهما كانت المعاذير (ولولا الحجة بوجود الناصر) وكان سيؤاخذ تاريخياً لو أعرض عن التجاوب معها لذا قام بإرسال رسوله مسلم...

٣ - طبيعة هذا التعامل خارجي / إيحائي / ثانوي

٤ - تصرف عملي ممكن يعلل توجهه الى الكوفة ونفهم بعد انتفائه وخذلانهم محاولته لمسلم متابعة المسير الى الكوفة.

٥ - الحسين (عليه السلام) هاهنا مقصد آمال الأمة والبديل السياسي المحتمل ليزيد الظالم المنحرف

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - أعلنه الإمام(عليه السلام) ضمن عوامل ثورته في بيانه الأول «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي خرجت أمر بالمعروف وانهي عن المنكر».

٢ - مستنده نبوي سمعت جدّي رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول:

«من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».

٣ - طبيعة هذا العامل: داخلي / إيحائي / أولي

٤ - تقويمه وترتيبه بين العوامل:

هو عامل قائم بذاته كاف للتحرك حتى لو لم يطلب اليه البيعة ولم تأت دعوة أهل الكوفة وكلاهما له دور ولكن الدور الأكبر والمحور هو لهذا العامل.

س١: ما القيمة النوعية لهذا الدور الذي قام به هذا العامل المحور؟

١ - هو العلة المتبقية للإسلام

٢ - هو الرقابة الدائمة لضمان بقاء المجتمع الإسلامي وتماسكه وعزّته .

٣ - هو الدور المناط للأمة كفاً

٤ - وأحق وأجدر من فيهم الإمام المعصوم

٥ - لا بد من تقديم نموذج عملي له وللأمة، ولا يوجد ظرف أرعى اليه من ظرف

الإمام الحسين، ومن يزيد.

٦ - هو مسؤولية أمام المجتمع لا أمام الله فقط

س٢: ما تجسيده الدائم في وجدان المسلم الواعي وعلى لسانه:

الزيارة: «أشهد أنك قد أقيمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر».

والشهادة اقرار والتزام بهذا الخط وعهد بالسير على هذا المنهج

س٣: ما شرطه المعرفي: عن وعي لا عن جهل و إلا كان ما يفسده أكثر مما

يصلحه، ولكن الجهل لا يعفي من السعي الى العلم والوعي

س٤: ما مراتبه وأقسامه: العملي بالاضافة الى القولى:
«فمن كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصباحاً إن شاء الله».

س٥: ما شرطه الخارجى:
- احتمال التأثير نفاش لتعديته فهو ليس كالصلاة
- القدرة عليه (في مقابل ذلك انه له بعداً اجتماعياً مهماً لا قيمة له بدونه، ولكن لابد من التماسها والسعي الى امتلاكها والحدالمؤثر منها كاف.
- هل من شروطه عدم التعرض للخطر مطلقاً؟
إذا كان الخطر على الإسلام والمسلمين جميعاً فلا معنى لعدم التعرض للخطر بل نعم للثورة الى حد الاستشهاد والقتل في سبيل الله تعالى.
س٦: ما الذي يدخل في المعروف؟ كل الأمور الإيجابية الخيرة.
... المنكر؟ كل الأمور السلبية السيئة.

س٧: ما أهميته على المستوى الاجتماعى؟ يُحقق البعد الاجتماعى للدين الإسلامى ويصون المجتمع الإسلامى ويحقق الأهداف الإسلامىة من التضامن والتعاقد والتعاون والتعارف

س٨: ما تأثير الثورة الحسينية في تجسيده وما أبعاد هذا التجسيد؟
١ - رفعت من مقام هذا الأصل الأصيل في مقام الإثبات (لنا في علم المسلمين) لا في مقام الثبوت (في ذاته، في الإسلام).
٢ - قدمته لنا من خلال إمام معصوم نهض به الى أبعد مداه ومستواه
٣ - تلاقى عليه وانطلق منه رجال :
من أوفى الأصحاب، من خيرة أهل البيت
ونساء وأطفال ليحققوا به ومعه البعد التبليغى لكرىلاء ولا سيما بعد استشهاد الحسن وبقية الشهداء ونهض به الجميع لا سيما زينب من خطبتها فأسرهم كان عاملاً مهماً في انتقال وقائع عاشوراء الحقيقية الى الناس ورسالة عاشوراء.
٤ - جعلته حجة علينا ومسؤولية لا يقع منها في أى مستوى وضمن أى إطار
«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

سابعاً: ما مدى تمثّل الشهيد مطهري له في كتابه؟

١ - موقفه من التزييف والتحريف:

أ - رفض التحريفات اللفظية

ومن أمثلتها:

١ - موكب نساء أهل البيت وفخامته.

٢ - قصة عرس القاسم وتفصيلها.

٣ - قصة حضور لعلي في كربلاء ونشرها شعرها وشعرها نذر عليّ لئن عادوا وان رجعوا لأزرعن طريق الطف ریحانا.

٤ - خرافات عددية ٨٠٠ ألف من الأعداء يوم عاشوراء لفترة ٢٧ ساعة.

٥ - اظهار أهل البيت بصورة الأذلاء الملتسمين لشربة ماء و اظهار النساء في

مواقف لا تليق بنساء أهل البيت وشموخهن وغيره الحسين(عليه السلام)عليهن.

ب - رفضه التحريفات المعنوية

ومن أمثلتها:

١ - إن قيام الحسين(عليه السلام) حالة استثنائية وبأمر سري خاص من الله فلا يسري على أحد سواه وبعده.

٢ - إن الإمام الحسين(عليه السلام) افتدى ذنوب الأمة جميعاً بمقتله كما افتدى المسيح ذنوب البشرية بصلبه. (وما صلبوه ولكن شبه لهم)

٣ - إن حضور المجالس الحسينية ودمعة واحدة منها كاف لغفران الذنوب مهما عظمت من (كذب، خيانة، ظلم، قتل).

٤ - إن الغاية تبرر الوسيلة فالمهم بكاء الناس على الحسين ولو بالقصص المختلفة والخرافات الباطلة.

٥ - وأن اظهار التفجع على الحسين(عليه السلام) يسمح بمخالفة الشرع والعقل (في التمثيل وبالتالي الضرب المؤذي).

٦ - فإن النار ليس تمس جسماً عليه غبار زوار الحسين.

(في قاطع الطريق المفسد الذي مسّه غبار زوار الحسين في قافلته فرأى في المنام، أن النار رفضت استقباله).

٣ - كشف الكتب التي أسست لهذه التحريفات ومنها:

١ - كتاب روضة الشهداء للملا حسين الكاشفي توفي حوالي ٩١٠ هـ ومنه إسماء قارئ العزاء / روضة خوان.

٢ - كتاب أسرار الشهادة للملا آقاي الدربندي قبل حوالي ستين أو سبعين عاماً.

٣ - وقد ضم في طياته كتاباً كله أكاذيب لم يتنسب إلى مؤلف معروف.

٤ - ذكر الكتب التي تعرضت لأكاذيب تلك الكتب وتحريفاتها ونقل نماذج من كشفها للأكاذيب

كتاب (اللؤلؤ والمرجان) للميرزا حسين النوري

٥ - ذكر الكتب التي قدمت كربلاء بمسیراتها التاريخية ونقائنها من الزيف .

كتاب (دراسة تاريخ عاشوراء) للدكتور آيتي:

٦ - بيان عوامل التحريف والتزييف:

١ - تأثير الدعايات العدو المضادة بطريقة غير مباشرة

٢ - ميل البشر إلى الأساطير

٣ - تحوّل مجالس العزاء عن أهدافها (فالحسين) (عليه السلام) أسس مدرسة عملية في الإسلام، وثورته نموذج عملي للثورات الإسلامية والتعليمات الدينية تهدف إلى المحافظة على هذه المدرسة حيّة).

لا أن تصبح غاية تسوغ لأجلها كل الوسائل ولو الكذب والتحريف والاختلاق.

٢ - جهان الفكري محاضرة وتدریساً وتالیفاً

كما لخص في نبذة من حياته في كتاب صدر عن المستشارية الثقافية مؤسسة عام ١٩٩١ / ١٤١١ هـ .

أ - على مستوى رد الفعل المباشر كما تجلى في كتبه (حقوق المرأة في الإسلام) (مسألة الحجاب) الخدمات المتقابلة بين إيران والإسلام) (ختم النبوة) (الرسول الأمي) (السلوك الجنسي في الغرب).

في مقال شبهات أثارها النظام الشاهنشاهي وعملاؤه لتضعيف الدين الإسلامي. (ب) على مستوى الفعل وبيان عظمة الإسلام ومعركة الفكر المضاد للإسلام عموماً.

١ - في مواجهة الخط الالتقاطي الغربي كما في (أصول الفلسفة الواقعية).

٢ - في مواجهة الماركسية (الدوافع نحو المادية) (التفسير التوحيدي للكون).

والخط الالتقاطي الشرقي (المادية في إيران) (الإنسان والإيمان).

(الإنسان من وجهة نظر الماركسية في الإسلام) (العدل الإلهي) (المجتمع والتاريخ).

٣ - التعرف على العلوم الإسلامية (كتب للتعريف بالعلوم الإسلامية كالفقه وأصول الفقه والمنطق والفلسفة والعرفان).

٤ - مشاركته في النشاط الثوري الإسلامي وقيادته لمجلس الثورة الإسلامية.
٥ - تقديمه مجالس حسينية عزائية من نماذج تحليلية علمية المضامين تبدأ بآية قرآنية بعد التحميد لله والصلاة على الرسول الأكرم وتنطلق في بحث تحليلي وتختتم بفقرة عزائية من المقتل، فدعاء).

ثامناً: من خصائص الشهيد مطهري في كتابه الملحمة الحسينية

١ - القدرة التحليلية: كما تظهر في تحليله لعوامل الثورة الحسينية وتحليل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٢ - الحساسية القيمية: فهو يرفض الكذب والتحريف في وقائع ثورة الإمام الحسين ويحمل على أصحابها بشدة.

(وعليه فإن مجالس الروضة المعروفة لدينا في إيران تعني قراءة كتاب روضة الشهداء أي قراءة كتاب الأكاذيب والوضع والتحريف، ومنذ أن وضع هذا الكتاب بأيدي الناس لم يعد أحد يطالع أو يراجع حقيقة واقعة الطف).

(وإنني يجب أن أقول الحقيقة فإن محتويات هذا الكتاب - يقصد أسرار الشهادة - تدفع الإنسان للبكاء على الإسلام).

٣ - منطلق الشهيد: لا يرقى إلى الحديث عن الشهيد وتفهم منطقته الأسمى الأعلى في مرتبة الإنسانية إلا من هو شهيد بالقوة وقد كان الشهيد مطهري ريثما صار الشهيد بالفعل.

ومن اللطيف أنه طبع مطهري كتاب فيما هو بعنوان «شهادته يتحدث عن الشهيد». وهو يرى في كتابه الملحمة أنه أعظم خدمات قدمت للبشرية لم تكن من خلال العلماء والمكتشفين بل من قبل الشهداء.

٤ - الشجاعة المعنوية: وتبتدىء في مواجهة العلماء والناس بمسؤولية التحريف والتزييف.

أ - ونقد سلبيات المجتمع الإيراني كما في الاستلاب (التأثر بالغرب والتخلي عن الشخصية الإسلامية في المظهر والسلوك) وتعبيره عن الإمام زين العابدين بالعليل ولم يكن مريضاً إلا في يوم عاشوراء لحكمة يراها الله تعالى.

٣ - نقد مخططات السلطة الشاهنشاهية من خلال مجالسه الحسينية (كترك الحروف العربية) ص ١٢٧ / ١ .

(نعم فلو كان الحسين بيننا اليوم لقال لنا: إذا كنتم تريدون اقامة العزاء الحسيني عليّ، فان شعاركم لابد أن يكون فلسطينياً... فشمّر اليوم هو بوش ويدعو الى نجدة الفلسطينيين بالمال .

دفاعه عن قضية فلسطين دفاعاً مستتبساً عاشقاً

نقد كتباً حول الثورة الحسينية وأشاد بإيجابياتها .

كتاب الشهيد الخالد لنعمة الله نجف آبادي.

٢ - استشهد بشريعتي في محاضراته حول حس خلق الأسطورة وعبادة الأبطال ونقد كتابه الحسين وارث آدم وتأثره بالماركسية.

٦ - الانفتاح الفكري

١ - ويظهر من أشادته بإقبال وشعره الرثائي والعديد من أفكاره

٢ - ومن إشادته بالعقاد وتحليلاته ومنها

(انه بدا في يوم عاشوراء وكأنه نوع من السبق أو المباراة قد برز من الخصال الحسينية، أي أن الفضائل الحسينية في ذلك اليوم أرادت أن تسبق كل واحدة منها الأخرى)، (ويضرب المثل بصبره ورضاه وبرضا الله وإخلاصه وشجاعته).

٣ - التعريف بالخطيب في فضائل قارئ العزاء وتمثيله بالخطيب الرازي وإشادته بتفسيره (ان كل واحد من هؤلاء الذين لقبوا بالخطباء كان بحد ذاته بحراً من العلم).

تاسعاً: تساؤلات محبة:

الف - في المضمون:

هل يرجح ما ذكر من أن أم البنين كانت تجلس لندب أبنائها الأربعة في المدينة وأن مروان بن الحكم كان يتأثر فيبكي لمصابها؟

٢ - هل ينسجم ما ذكر من قول الإمام الحسين(عليه السلام) لزينب، أخية لا يذهبنّ بحلمك الشيطان ففي مواقف زينب الشامخة في كربلاء وفي مجالس عبيدالله ويزيد.

٣ - هل لـ (نصب) أمر يأتي على صيغة ما نصب ليكون احتمالاً للآية (فإذا فرغت فانصب) في أنه نصب الرسول علياً(عليه السلام) ولياً من بعده.

ب) في منهج الكتاب وترجمته:

١ - أليس لأغلب الكتاب مجالس ألقيت ولم تكتب ثم جمعت؟
٢ - أليس الجزء الثالث من «لغات متفرقة وملاحظات» عرض أكثرها في المجالس؟

٣ - أليس ثمة تكرار كثير بنتيجة الملاحظتين السالفتين؟
٤ - أليس في الترجمة ضعف وحرفية في مواضع كثيرة؟
فإلى اقتراح:

أن تتولى لجنة نشر آثار الشهيد مطهري وقد أصدرت مجلدات عديدة منها:
بذل جهد أكبر بإشرافها وبالتعاون مع أهل الفكر والمترجمين البارعين لتحويل المجالس إلى كتب بنحو أفضل وجهد أكبر وترجمة أدق وأسلم.

* * *

الفهرس التفصيلي

الفهرس التفصلي

خصائص يوم عاشوراء / الشيخ محمد مهدي الآصفي

- الولاء والبراءة أبرز خصائص يوم عاشوراء... ١٦
- الخصائص الثلاثة لساحة الطف... ١٩
- ١ - الساحة الوارثة... ٢٠
- الساحة الفاصلة... ٢٥
- ٣ - الساحة المورثة... ٢٩
- المعايشة الوجدانية لمأساة الطف في زيارة عاشوراء... ٣٣
- مشاهد الولاء والبراءة في زيارة عاشوراء... ٣٥
- الولاء والبراءة والعداء... ٣٧
- السلام واللعن... ٣٧
- السلم والحرب... ٣٨
- المعية والمفاصلة... ٣٩
- التفجّع والثأر... ٤٢
- الولاء والبراءة وجهان لقضية واحدة... ٤٥
- تكريم الله للإنسان بالولاء والبراءة في زيارة عاشوراء... ٤٧
- تعميمات الولاء والبراءة في زيارة عاشوراء... ٥٢
- عامل التعميم... ٥٢
- الإشراك ب (الرضا)... ٥٤
- المشاركة في الرضا والسخط... ٥٥
- تعميمات الولاء في زيارة عاشوراء... ٥٦
- تعميمات البراءة في زيارة عاشوراء... ٥٧
- التعميم الأوّل للبراءة... ٥٧
- التعميم الثاني للبراءة... ٥٨
- التعميم الثالث للبراءة... ٥٨
- التعميم الرابع للبراءة... ٥٩
- التعميم الخامس للبراءة... ٥٩

- التوحيد والاخلاص في الولاء في زيارة عاشوراء ... ٦٠
- الولاء من مقولة التوحيد ... ٦٠
- التوحيد والاخلاص في البراءة في زيارة عاشوراء ... ٦٥
- الاخلاص في البراءة ... ٦٧
- لا يجتمع ولاء ان في قلب عبد مؤمن ... ٧١
- معارج الولاء والبراءة في زيارة عاشوراء ... ٧٣
- التكريم والوجاهة ... ٧٤
- الثأر لمصرع الحسين(عليه السلام) ... ٧٤
- معية أهل البيت وقدم الصدق عندهم ... ٧٨
- معية الصادقين ... ٧٨
- المقام المحمود ... ٨٠
- الاخلاص لله في المحيا والممات ... ٨١
- الأجر والثواب اللامحدود من عند الله ... ٨٢
- مرقاة القرب الى الله ... ٨٧

الإمام الحسين(عليه السلام) عطاء مستمر في حياة الأمة وعزتها/ الشيخ محمود محمدي عراقي

٨٩ ...

عاشوراء وثقافة الشهادة/ الشيخ نعيم قاسم نائب الأمين العام لحزب الله لبنان

٩٥ ...

١ - الشهادة والنصر متلازمان ... ٩٧

٢- النموذج الفعّال ... ٩٩

٣ - الشهادة بناء واختيار ... ١٠٢

٤- القوة البديلة ... ١٠٤

كلمة وزير الأوقاف في الجمهورية العربية السورية/الدكتور محمد زيادة

...

مجلس الوالي عبيد الله بن زياد ... ١١٣

مجلس يزيد في دمشق ... ١١٤

الكوفة وثورة الحسين / إبراهيم بيضون أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الكوفة وثورة الحسين ... ١٢٣

أين كان الإمام الحسين حينذاك؟ ... ١٢٧

ثورة الحسين في الشعر والأدب/ د. أنسية خزعلي جامعة الزهراء - طهران

ثورة الحسين في الشعر ... ١٤٧

الإمام الحسين في الشعر العربي المعاصر ... ١٥٢

أغراض الشعر الحسيني ... ١٥٤

مواضيع الشعر الحسيني ... ١٥٩

نظرة في الشعر الحسيني «الكلاسيكي والحر» ... ١٦٣

الشعر الحر ... ١٦٦

الخاتمة ... ١٦٨

المنابع ... ١٧٠

الحسين من التربية النبوية الى الحالة الثورية/ علي أبو الخير / مصر

حياة الحسين ... ١٧٨

أولاً: حياة الحسين أثناء فترة النبوة والخلافة ... ١٧٨

ثانياً: حياة الحسين في ظل القيادة الشرعية ... ١٨٤

ثالثاً: ثورة الحسين ... ١٩٥

رابعاً: حياته بعد استشهاده ... ٢١٠

استلهام المنهج الحسيني في منع حدوث ازدواج الشخصية لدى المسلم/ د. سعيد يعقوب

ما هو ازدواج الشخصية وكيف يحدث؟ ... ٢١٥

أبو عبد الله الحسين الشهيد الخالد بسبب انحراف السلطة / أ. د. وهبة الزحيلي

جامعة دمشق - كلية الشريعة

- مقدمات كربلاء ... ٢٤١
- عدم تكافؤ القوى ... ٢٤٦
- استشهاد الحسين البطل ... ٢٤٧
- مقدمات الاستشهاد وأسبابه ... ٢٤٨
- القتلة في النار ... ٢٥٠
- إيمان صادق كالجبل الأشم ... ٢٥٠
- مضاعفات الحادث الأليم وأثره في التاريخ ... ٢٥١
- منزلة الحسن والحسين عند النبي(صلى الله عليه وآله) ... ٢٥٢
- الأحداث الثلاثة الخطيرة في الحكم اليزيدي ... ٢٥٣
- أما يوم كارثة كربلاء ... ٢٥٤
- علم الحسين وصلاحه ... ٢٥٥

أضواء على النهضة الحسينية/ د. نبيل عبدالحميد دحية

- لماذا خرج الإمام الحسين على حكم يزيد؟ ... ٢٥٩
- لماذا خرج الإمام رغم تحذيرات الكثيرين له؟ ... ٢٦٥

أبعاد المنهج العلمي في دراسة نهضة الإمام الحسين(عليه السلام)

د. ياسر محمد الصالح - د. سامي ناصر خليفة

- مقدمة... ٢٧٥
- عناصر ومكونات المنهج التفكيرى... ٢٨١
- أولاً: الهدف أو الرسالة الحسينية ... ٢٨١
- ثانياً: الجوهر والقشور في تحليل ودراسة ثورة الحسين(عليه السلام) ... ٢٨٣
- ثالثاً: مقاييس وموازن الحقيقة الصادقة وأثرها في معرفة الحق والحقيقة وتقويم الحركات والثورات التاريخية ... ٢٨٩
- فبأي شيء تعرف الحقيقة؟ ... ٢٩٠
- ما هو مصدرها؟ ... ٢٩٠
- ما هو المقياس الذي يميز به الصواب من الخطأ؟ ... ٢٩٠

الإمام الحسين على قمة هرم الحضارة الإنسانية

د. أحمد راسم النفيس الأستاذ بكلية الطب جامعة المنصورة مصر

- البشرية من القمة إلى القاع ... ٢٩٩
الإمام الحسين في عالم الشهود ... ٣٠٠
امتداد الكلمة الحسينية إلى يوم يبعثون ... ٣٠٦
الصراع بين المادية والدونية ... ٣٠٧
المسلمون والازدواجية الأخلاقية ... ٣٠٨

الإمام الحسين (عليه السلام) إمامته/ سعد محمد القاضي / مصر

- ١ - الإمامة ودورها في الحياة المعنوية والسياسية والاجتماعية للناس ... ٣١٩
٢ - موقع الإمام الحسين (عليه السلام) من صيانة مكتسبات الأنبياء الإلهيين ... ٣٢٠
٣ - موقفه من معركة الأئمة من أهل البيت ... ٣٢٠
٤ - صراعه مع البدع والتيارات المنحرفة ... ٣٢١

المد الحسيني في مصر/ صالح الورداني

- رأس الحسين ... ٣٢٧
تأثيرات ... ٣٣٠
وعلى رأس هؤلاء الأشراف ... ٣٣٠
المد الوهابي ... ٣٣٢
ملحق ... ٣٣٥

الإمام القدوة/ د. راغدة المصري / لبنان

- ١ - الإمامة ودورها في الحياة المعنوية والسياسية والاجتماعية للناس ... ٣٤٠
٢ - موقع الإمام الحسين (عليه السلام) من صيانة مكتسبات الأنبياء الإلهيين ... ٣٤٥
٣ - موقعه من حركة الأئمة من أهل البيت ... ٣٤٧
٤ - صراعه مع البدع و التيارات المنحرفة ... ٣٥٣

وقفه مع مدرسة الحسين (عليه السلام) التربوية الخلقية

إعداد: د. محمد منير سعد الدين أستاذ جامعي وباحث تربوي

- مدخل... ٣٦١
- المولد والوفاة... ٣٦٤
- الرعاية التربوية النبوية... ٣٦٤
- الرعاية التربوية الأبوية... ٣٦٨
- رعاية الأم التربوية... ٣٧٢
- إرث آل هاشم... ٣٧٤
- من أخلاقه... ٣٧٥
- علاقة الحسين بالله... ٣٧٤
- علاقة الحسين بالناس... ٣٧٨
- علاقة الحسين(عليه السلام) مع أسرته وآدابه معها... ٣٨١
- آدابه مع والده والوفاء له... ٣٨١
- آدابه مع أخيه الحسن(عليه السلام)... ٣٨٢
- العزّة والكرامة والإباء... ٣٨٣
- الشجاعة... ٣٨٥
- التواضع والزهد... ٣٨٧
- العفو عن المسيء... ٣٨٩
- الكرم وإغاثة الملهوف... ٣٩١
- الوفاء بالعهد... ٣٩٣

الحسين(عليه السلام) والعشق الإلهي/ آمال محمد

٣٩٧ ...

وقفة العز/ م. كوثر شاهين

- يا ابن النبي أيا حسين(عليه السلام) ... ٤١٩
- خرج الحسين(عليه السلام) لأجل دين محمد(صلى الله عليه وآله) ... ٤٢٣
- يا حسين... يا أبار الأحرار... ٤٢٨

ملحمة الحسين/ جورج شكور / بيروت

٤٣٣ ...

اسماء ليقظة الدم/ عبدالفتاح قلعة جي ... ٤٤١

حوار في الفوضى والنظام ... ٤٥٦

رثاء عبيدالله بن الحرّ الجعفي للإمام الحسين (عليه السلام) د. أحمد دهمان

أستاذ النقد الأدبي عميد كلية الآداب بجامعة البعث (حمص)

شخصية ابن الحر وعلاقاته في عصره ... ٤٦١

علاقته بالإمام الحسين (عليه السلام) ... ٤٦٨

الفارس النادم على خذلان الحسين ... ٤٧٣

الملحمة الحسينية في فكر الشهيد مطهري/ نبيل الحلباوي

مقدمة ... ٤٨٣

أولاً: التعريف بمطهري ... ٤٨٣

ثانياً: تحليل لعنوان المحاضر ... ٤٨٥

ثالثاً: مرجع البحث: حماسة حسيني = الملحمة الحسينية ... ٤٨٥

رابعاً: صورة مفهومة مختصرة للملحمة الحسينية، كتاب الشهيد مطهري ... ٤٨٧

خامساً: البعد المحوري في الكتاب ... ٤٨٧

سادساً: ما العوامل المختلفة للثورة الحسينية؟ ... ٤٨٨

سابعاً: ما مدى تمثل الشهيد مطهري له في كتابه؟ ... ٤٩٣

ثامناً: من خصائص الشهيد مطهري في كتابه الملحمة الحسينية ... ٤٩٧

تاسعاً: تساؤلات محبة: ... ٤٩٩

الفهرس التفصيلي ... ٥٠١